الحمّامات الدّمشقية وتقاليدها

★ ★ ★

تأليف

منير كيّال

١٩٦٤

«الصور من تصوير المؤلف»

الاهداء ...

الى استاذي الراحل المرحوم الدكتور انور النعمان .. تحية وفاء وعهد على العمل المثمر .

منير

الفصل الأول

بين يدي الحمامات

اشتهرت سورية بحماماتها العامة ، ولو استعرضنا تاريخ سورية [١] منذ بدايته لوجدنا ان الانسان فيها قد اعطى لمشكلة المياه اهمية خاصة فكان يختار مواقع مدنه قرب المياه ، لان المياه عنصر اساسي للحياة .. ثم عندما تدرج في عالم الحضارة اصبحت المياه ذات فوائد اعم ، واصبحت الحمامات احدى الابنية الهامة التي تحتل مركزها في مخططات مهندسي المدن . ولو القينا نظرة على مخططات بناء المدن السورية القديمة لوجدنا ان الحمام يشكل عنصراً رئيسياً فيها ،لان الانسان لم يبق في مقدوره الاكتفاء بما قدمته اليه الطبيعة بل اخذ يتصرف بهذه الامكانيات ليجعلها كما اراد ان تكون .

وتدلنا الاوابد على جمال الحمامات التي ما زالت خير شاهد على اهميتها في الحياة الاجتماعية في تلك الايام ، لانها لم تكن فقط للاغتسال وانما كانت ايضاً بمثابة نواد رياضية ومجتمعات يتبادل فيها المواطنون مختلف الاحاديث . كما ان

(١) — من حديث مع الاستاذ بشير زهدي محافظ آثار العهود اليونانية والرومانية والبزنطية في متحف دمشق والاستاذ المحاضر في جامعة دمشق .

الاقنية الموجودة في سورية والتي تعود الى مختلف العهود التاريخية تدل على مدى رقي اجدادنا واهتمامهم بايصال المياه الى الحمامات .

ففي العصر الروماني كثرت الحمامات العامة ، وقد قام بعض الاباطرة ببناء عدد منها في بعض المدن السورية [1] ، فحمامات انطاكية مثلاً بنيت في عهد كاليغولا (٣٧ — ٤١) وهادريان (١١٧ — ١٣٨) وانطونان (١٣٨ — ١٦١) ويذكر دوني [2] فضل يوليوس قيصر (١٠١ — ٤٤) ق.م وامره ببناء حمام لسكان الاكروبول [3] مزود بقناة ، كما اظهرت الحفريات في افاميا ابنية يعتقد انها كانت حمامات عامة تطل واجهتها الشمالية على شارع المسرح وتؤلف رواق الشارع الذي يمتد من الشرق الى الغرب . وتبين ان في تدمر حماما عاما عرف بحمام ديوكليسيان (٢٨٤ — ٣٠٥) . وفي بصرى ايضاً حمامان عامان هامان يتألف كل منها من عدة غرف ، واحدهما يقع في جهة الجنوب من القوس والاخر شمال قوس النصر قرب المعسكر مما يدعو للتساؤل فيما اذا كان هناك حمام للسكان وآخر للجنود ... وتتألف الحمامات العامة في فيليبوليس [4] من عدة غرف وتشاهد قرب اقنية مما يدل على وجود صلة للاقنية المائية بالحمامات .

وفي العصور الاسلامية اصبحت الحمامات ذات أهمية كبيرة تحقيقاً للحديث الشريف «النظافة من الايمان» وتلبية لرغبات المسلمين في القيام بالوضوء والاغتسال .

ودمشق هي احدى أمهات المدن العربية في القطر العربي السوري التي

---

(١) — الحوليات الاثرية المجلد السادس صفحة (٦٣) ، انظر بحث بناء وتنظيم المدن السورية في العصر الروماني للاستاذ بشير زهدي .

(٢) — The woter supply of Antioche on the Orontes in the antiquity

(٣) — يقصد بذلك القسم المرتفع من المدينة .

(٤) — اسمها الحالي شهبا ، وقد سميت بذلك نسبة الى الامبراطور العربي فيليب العربي الذي حكم روما (٢٤٤ — ٢٤٩) .

عرفت بحماماتها العامة والخاصة في الدور والقصور فقد كان أهل دمشق [1] يفخرون بحماماتهم منذ زمن الامويين وذكر أن الخليفة الوليد بن عبد الملك لما بنى مسجد دمشق الكبير (الاموي) تحدث الى أهل دمشق بقوله [2] .. (تفخرون على الناس بأربع خصال ، تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فاحببت أن يكون مسجدكم الخامسة) .

وقد اشتهرت هذه الحمامات في الشرق كله وانك لتجد بينها ما هو من روائع الفن الاسلامي بطرز عماراتها وروازتها وغنى زخارفها [3] ونقوشها .. ذلك أن الحمام في طرازه ونوافيره وتقسيم المياه الحارة والباردة فيه يعتبر شيئاً دقيقاً وجميلا يقوم على قواعد هندسية بارعة .

وقد تفنن الدماشقة بالحمامات حتى جعلوها آية فنية فرصعوا جدرانها بالقاشاني وأرضها بالرخام وعقدوا على أطراف قبابها وقرنها عقود الجص النافرة ذات الرسوم والتزيينات المختلفة . . كما أقاموا البحرات التي تتشامخ فيها نوافير المياه على أشكال بديعة أخاذة . وكان الناس يرتادون هذه الحمامات ليمضوا وقتاً هنياً في الاغتسال وفي تناول الطعام والاستشفاء من بعض الامراض ، وهذا ما يفسر المثل الدمشقي القديم : نعيم الدنيا الحمام .

---

(١) — صلاح الدين المنجد : حمامات دمشق · نصوص قديمة من ابن عساكر وابن عبد الهادي .

(٢) — نفس المصدر السابق ، وايضاً تاريخ مسجد دمشق في المكتبة الظاهرية . وايضاً الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي الدمشقي الجزء الثاني صفحة / ٣٨٣ / .

(٣) — للتوسع انظر · Sauvaget . rapport sur les monuments historiques de Damas . p. 11 . archives . du . s . a .

الحمّامات الدمشقية
منذ عصر ابن عساكر حتى عصرنا

آ – مع ابن عساكر :

وأول من تكلم عن هذه الحمامات الحافظ ابن عساكر (٥٧١) هـ في تاريخه الكبير (١) حيث افرد لها جانباً من بحثه عن التعريف بقني الماء التي بدمشق فذكر سبعة وخمسين حماما سوى حمامات القرى وهي :

١ – حمام ابي نصر .

٢ – حمام ابن ابي نصر .

٣ – حمام القلعة .

٤ – حمام القاضي .

٥ – حمام داخل القصاعين .

٦ – حمام درب الهاشميين .

٧ – حمام القصير .

٨ – حمام جاروخ .

٩ – حمامات الشريف وهي : العقيقي والديوان والقلانسيين عند القيسارية الفخرية وحمام الا كافين في سوق علي .

(١) – ترتيب وتصحيح عبد القادر بدران مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ .

١٣ – حمام نور الدين (بالبزورية) .

١٤ – حمام خلف سويقة الباب الصغير .

١٥ – حمام درب النخلة عند الباب الصغير . وقفه نورالدين .

١٦ – حمام سويد .

١٧ – حمام السلم في زقاق السلم عند المسلخ .

١٨ – حمام درب البقل .

١٩ – حمام الرحبة .

٢٠ – حمام باب الناطفيين ويعرف (بالمؤيد) .

٢١ – حمام الى جانبه ويعرف بالسلاريه .

٢٢ – حمام خفيف في درب خفيف يعرف بقرب باب الفراديس .

٢٣ – حمام ابن كلي .

٢٤ – حمام النحاسين بقرب سقيفة كردوس .

٢٥ – حمام آخر .

٢٦ – حمام آخر ايضاً بالقرب من الحمام السابق .

٢٧ – حمام درب الجبن خلف الحدادين .

٢٨ – حمام درب الحبالين .

٢٩ – حمام الحريميين خلف سوق المطرزين .

٣٠ – حمام المطرزين .

٣١ – حمام اللؤلؤة . كان يعرف بحمام اليزيديين وربما البريديين .

٣٢ – حمام عند منارة فيروز .

٣٣ – حمام عند كنيسة مريم .

٣٤ – حمام عند درب الحجر .

٣٥ – حمام عند رأس قنطرة سنان .

٣٦ ـ حمام بقرب كنيسة مريم .

٣٧ ـ حمام بقرب سقيفة جناح .

٣٨ ـ حمام علي المنجنيقي عند الباب الشرقي .

٣٩ ـ حمام عند باب توما .

٤٠ ـ حمام آخر ايضاً (عند باب توما) .

٤١ ـ حمام الاسد . على باب الجابية .

٤٢ ـ حمام في العقيبة .

٤٣ ـ حمام ابن زاكي .

٤٤ ـ حمام توماس بقرب الرحا البومكية .

٤٥ ـ حمام عند عونية القصارين .

٤٦ ـ حمام راهب الكلاس .

٤٧ ـ حمام آخر بقرب عونية الحمى .

٤٨ ـ حمام عند رأس بستان بكجور .

٤٩ ـ حمام آخر الى جانبه (جانب السابق) .

٥٠ ـ و ٥١ ـ حمامان عند كشملين خارج باب السلامة .

٥٢ ـ حمام آخر عند باب توما .

٥٣ ـ حمام ابن عبادة في الشاغور .

٥٤ ـ حمام القصر بالنيرب الاسفل .

٥٥ ـ حمام ابن العفيف بوادي النيرب .

٥٦ ـ حمام العقيقي .

٥٧ ـ حمام راهب في العقيبة [١] .

---

(١) ـ ذكرها المنجد (٥٥) حماماً ورجح سقوط حامين . ولدى تحقيقه لابن عساكر اثبتها (٥٧) حماماً .

ب ـ مع ابن الشداد :

ثم جاء بعده ابن شداد (٦٨٤) هـ [١] فزاد عليها حتى بلغت خمسة وثمانين حماماً ثم اضاف اليها الحمامات التي بخارج سور المدينة فبلغ مجموع ما ذكر مائة وسبعة عشر حماماً :

١ ـ حمام الكناني .

٢ ـ حمام جلم .

٣ ـ حمام عز الدين [٢] .

٤ ـ حمام تميرك .

٥ ـ حمام شركس .

٦ ـ حمام البيمارستان [٣] .

٧ ـ حمام قبيس [٤] .

٨ ـ حمام العدل .

٩ ـ حمام ست الشام [٥] .

١٠ ـ حمام درب اللبان .

١١ ـ حمام الجوهري .

١٢ ـ حمام الشريف .

١٣ ـ حمام كريم الدين .

---

(١) ـ الاعلاق الخطيرة القسم الثاني لابن شداد تحقيق الدكتور سامي الدهان .

(٢) يضيف الاربلي الى ذلك : داخل باب النصر احـد ابواب دمشق ويسمى بباب الجنان وبباب السعادة .

(٣) في الاربلي المارستان .

(٤) في الاربلي : قنيعش . وابن عبد الهادي قنيعس وذكره المنجدص ١٠ قعيس .

(٥) في الاربلي · تربة ام صالح وفي الحاشية في زقاق المحكمة قبلي المدرسة الجوهرية.

١٤ — حمام ابن يمن .

١٥ — حمام سوق علي .

١٦ — حمام نور الدين [١] .

١٧ — حمام قراجا .

١٨ — حمام سويد .

١٩ — حمام عز الدين استاذ الدار بباب الخضراء .

٢٠ — حمام السلم بجوار دار خلفاء بني أمية [٢] .

٢١ — حمام الرحبة بدرب الريحان [٣] .

٢٢ — حمام ابو شامة .

٢٣ — حمام الجبن [٤] .

٢٤ — حمام العجج .

٢٥ — حمام السنبوسك [٥] .

٢٦ — حمام البقل [٦] .

٢٧ — حمام حارة الحاطب [٧] .

٢٨ — حمام العميد .

٢٩ — حمام العسقلاني .

---

(١) زاد الاربلي : بسوق البزورين .

(٢) زاد ابن عساكر في زقاق السلم عند المسلخ .

(٣) في الاربلي · رحيبة .

(٤) زاد ابن عساكر في درب الجبن خلف الحدادين .

(٥) جاء في حاشية الاربلي · ربما كانت تسميته لكونه كان يباع الى جانبه السنبوسك ...

(٦) في ابن عساكر درب البقل . وفي الاربلي : البعل .

(٧) — فسر الاربلي المطبوع ذلك بما يسمي حارة الاصلاح في الشاغور اليوم او الزط كما تعرف .

٣٠ — حمام قراجا ايضاً .

٣١ — حمام الزلاقة .

٣٣ — حمام الزيبق .

٣٣ — حمام ابي الطيب [١] .

٣٤ — حمام اللؤلؤة [٢] .

٣٥ — حمام الصوفي .

٣٦ — حمام خلطبا [٣] .

٣٧ — حمام العلوي [٤] .

٣٨ — حمام الفايز .

٣٩ — حمام أسد الدين .

٤٠ — حمام قاضي اليمن .

٤١ — حمام كرجي .

٤٢ — حمام العزز خليل .

٤٣ — حمام الزديزير .

٤٤ — حمام الحريميين .

٤٥ — حمام المطرزين .

٤٦ — حمام العرايس .

٤٧ — حمام الصوفي [٥] .

---

(١) — في الاربلي · ابن ابي الطيب .

(٢) — زاد ابن عساكر كان يعرف قديماً بحمام اليزيديين ، وربما البريديين .

(٣) — زاد ابن عساكر بقرب كنيسة مريم .

(٤) — جاء في حاشية الاعلاق الخطيرة ان ابن عساكر زاد : خلف طريق العلوي في كنيسة خلطبا .

(٥) — ذكره ايضاً تحت رقم (٣٥) .

٤٨ ـ حمام النيطون .

٤٩ ـ حمام سعد الدين .

٥٠ ـ حمام الدولاب .

٥١ ـ حمام الزنجاري (١) .

٥٢ ـ حمام درب العجم الكبير . داخل باب جيرون (وهو النوفرة اليوم) .

٥٣ ـ حمام درب العجم الصغير .

٥٤ ـ حمام سامه (٢)

٥٥ ـ حمام الكاس (٣) .

٥٦ ـ حمام الصحن .

٥٧ ـ حمام المؤيد (٤) .

٥٨ ـ حمام السلارية .

٥٩ ـ حمام حبيب (٥) .

٦٠ ـ حمام الملك الزاهر .

٦١ ـ حمام السلطان .

٦٢ ـ حمام جاروخ (٦) .

---

(١) ـ في الاربلي الزنجالي .

(٢) حاشية الاربلي : وهو منسوب الى اسامة الجبلي احد قواد صلاح الدين ...

(٣) ـ في حاشية الاربلي شمال المدرسة البادرائية .

(٤) ـ في حاشية الاربلي وحمام باب الناطفيين يعرف بالمؤيد وهولا يزال قرب باب الناطفيين وهو باب الجامع الاموي الشمالي . ويعرف الان بالسلسلة .

(٥) ـ في ابن عساكر حمام خفيف في درب خفيف .. بقرب باب الفراديس ..

(٦) ـ في حاشية الاربلي : وهو مقابل الفرن المعروف بفرنخليفة جوار دار الامير مسعود بن الست عذراء ، وهو الان ملك زوجة ابن التعبان الطرابلسي ..

٦٣ ـ حمام القصير .

٦٤ ـ حمام ابن موسك (١) .

٦٥ ـ حمام العقيقي (٢) .

٦٦ ـ حمام القاضي (٣) .

٦٧ ـ حمام الوزير (٤) .

٦٨ ـ حمام القطيطة .

٦٩ ـ حمام درب الشعارين (٥) .

٧٠ ـ حمام الكمالي .

٧١ ـ حمام الصفي بالزلاقة (٦) .

٧٢ ـ حمام جمال الدين الرومي .

٧٣ ـ حمام ابي نصر .

٧٤ ـ حمام الاندر .

٧٥ ـ حمام القاضي الفاضل .

---

(١) ـ في النعيمي والاربلي وهو المعروف بحمام العصرونية الصغير مقابل دار الحديث النورية ..

(٢) نسبة لاحمد بن الحسين العقيقي كانمن اعلام الشيعة توفي ٣٧٨ هـ والحمام يعرف اليوم بحمام العقيق والملك الظاهر . وهو لصيق المدرسة الظاهرية ..

(٣) زاد ابن عساكر عند باب الجابية كما ورد في حاشية الاعلاق الخطيرة القسم الثاني تحقيق الدكتور الدهان .

(٤) ـ ذكره الاربلي .

(٥) ـ في حاشية الاربلي ان درب الشعارين كان يسمى بالحصرية والحمام كان على مقربة من حمام عدرا وهو يعرف بحمام صالح . وفي مختصر النعيمي انحمامصالحشمال الطيوريين داخل باب الجابية . كما ورد في حاشية الاعلاق الخطيرة في القسم الثاني .

(٦) ـ انظر رقم الحمام (٣٥ و ٤٧) عند نفس الكاتب .

٧٦ ـ حمام جديد .

٧٧ ـ حمام الهيامي .

وهنـا يتابع ابن شداد القول (وذكر ابن عساكر في تاريخه الى سنة سبعين وخمسماية ان الحمامات الموجودة بدمشق وظواهرها سبعة وخمسون حماماً فاعتبر ماهو الان موجود) . (والذي لم يعرف الى الان مما هو في البلد خاصة :) .

٧٨ ـ حمام بدرب البهاء شمس ويعرف بالهاشميين (١) .

٧٩ ـ حمام الديوان لطيف .

٨٠ ـ حمام بسوق علي ويعرف بالاكافين .

٨١ ـ حمام درب النخلة (٢) .

٨٢ ـ حمام الجمحي : ذكر انه خرب وصار داراً تعرف بابن توام . كما ورد في الحاشية .

٨٣ ـ حمام التميمي: بدار البطيخ وهو الان مساكن كما ورد في الحاشية.

٨٤ ـ حمام طويل : الى جانبه كنيسة مريم كما ورد في الحاشية .

٨٥ ـ حمام عند رأس قنطرة سنان .

ثم يذكر : (الحمامات التي بخارج المدينة (٣)) .

٨٦ ـ حمام مستجد برأس ميدان الحصا (٤) .

٨٧ ـ حمام عاتكة (٥) .

---

(١) ـ في ابن عساكر المعروف بالجديد .كما ورد في حاشية الاعلاق الخطيرة .

(٢) ـ زاده ابن عساكر عند الباب الصغير ، وقفه نور الدين .

(٣) ـ التي خارج السور .

(٤) ـ ذكره ابن عبد الهادي .

(٥) ـ جاء في مخطوطة عدة الملمات في فصل حمامات : وفي جهـة القبلة اربع حمامات الثاني حمام غازي وورد عند الاربلي تحت رقم (١٣) في مجموعة الحمامات التي هي خارج دمشق .

٨٨ ـ حمام الريس .

٨٩ ـ حمام الهندي .

وفي الشاغور :

٩٠ ـ حمام الشجري (١) .

٩١ ـ حمام اولاد ابن صاحب حمص (٢) .

وفي العقيبة :

٩٢ ـ حمام الكحال .

٩٣ ـ حمام العونية .

٩٤ ـ حمام دلدرم .

٩٥ ـ حمام الراهب (٣) .

٩٦ ـ حمام الشريف الزجاج .

٩٧ ـ حمام الرشيد .

٩٨ ـ حمام الصالح .

٩٩ ـ حمام قرقين (٤) .

١٠٠ ـ حمام الشجاع .

١٠١ ـ حمام اسرائيل .

١٠٢ ـ حمام العجمي .

١٠٣ ـ و ١٠٤ ـ حمامان لابن السرهنك .

---

(١) ـ ذكره ابن عبد الهادي : حمام ابن الشجري في الشاغور.

(٢) ـ في الاربلي : حمام صاحب حمص وعده ابن عبد الهادي حمام ابن صاحب حمص ، وصاحب حمص .

(٣) ـ ذكره ابن عساكر يعرف براهب الكلاس .

(٤) ـ جاء في حاشية الاعـلاق الخطيرة : لعله الذي ذكره ابن عساكر : حمام ابن قرقين بقرب حمام ابن تميم .

وبباب السلامة :

١٠٥ ــ حمام القاضي محيي الدين .

١٠٦ ــ حمام ابن منجا .

١٠٧ ــ حمام الوراقة . (١)

وبحكر السماق :

١٠٨ ــ حمام الحسام .

١٠٩ ــ حمام الصوفية .

١١٠ ــ حمام الميدان .

١١١ ــ حمام الظاهرية .

وبباب توما :

١١٢ ــ حمام دايم .

١١٣ ــ حمام داثر .

١١٤ ــ حمام الزنجاري .

وبباب شرقي :

١١٥ ــ حمام غلام بن يمن جوار دير الجذمي .

وبالقلعة المعمورة :

١١٦ ــ و ١١٧ ــ حمامان .

وذلك عدا حمامات المزة والنيرب والصالحية والبساتين وبيت لهيا (٢) .

ج ــ ما ذكره ابو علي الاربلي :

وفي القرن الثامن الهجري اتى ابو علي الحسن بن احمد بن زفر الاربلي الشافعي المتوفي ٧٢٦ هـ فعدد ما كان في ايامه من الحمامات فبلغت مائة وسبعة

(١) ــ يقول ابن عساكر : حمامان عند عين كشملين خارج باب السلامة .

(٢) ــ ارجع الى ماذكره الاربلي وابن عبد الهادي في الصالحية ..

وثلاثين حماماً منها اربع وسبعون حماماً داخل دمشق كما ورد في المخطوطة . . ثم ذكر تعدادها فبلغت سبعة وسبعين حماماً . ويرجح محقق المخطوطة الاستاذ محمد احمد دهمان ان حمام الصفي ذكر برقم -١٠- وكرر برقم - ٢٨ - . واقول انه ربما كرره ايضاً برقم - ٣٦ - تحت اسم الصوفي وبذلك تصبح خمسة وسبعين حماماً .

ومما يذكر في هذا المجال هو ان المحقق اختصر اسم المخطوطة الذي كان : « جزء يشتمل من محاسن دمشق على عدد من مدارسها وربطها ودور الحديث النبوي بها وعدد جوامعها ودور القرآن وعدد حماماتها » :

فجعل عنوان الكتاب ــ المخطوطة ــ (مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها) .

فالحمامات التي داخل دمشق :

١ ــ حمام الكمالي .

٢ ــ حمام الوزير .

٣ ــ حمام جاغان .

٤ ــ حمام قنيعش .

٥ ــ حمام العدل .

٦ ــ حمام ابن يمن (١) .

٧ ــ حمام سوق علي (٢) .

٨ ــ حمام الاندر .

٩ ــ حمام ابي نصر .

١٠ ــ حمام الصفي (نسبة الى الصفي ابن تنكز وزير العادل ، وكانت

(١) ــ ابرتن في المخطوطة .

(٢) ــ الراجح ان سوق علي كان في الزقاق الذي غربي سليمان باشا وقبلي الخارج من سوق الخياطين متوجهاً نحو القبلة . كما جاء في الحاشية .

داره قرب حمامه بالزلاقة ، والزلاقة هي الطريق الذي شمال الباب الصغير .)

١١ - حمام قراجا : (نسبة للامير قراجا الصلاحي صاحب صرخد ، له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة . والراجح انه قريب من الصفي وقديكون حمام الركاب شمال غرب الصيفي) .

١٢ - حمام الشريف .

١٣ - حمام البعل .

١٤ - حمام حارة الحاطب (هي في حي الشاغور ، آخر حارة الزط مما يلي حارة اليهود وقد سميت حارة الزط في عصرنا بحارة الاصلاح) .

١٥ - حمام سويد ، (هدمه نائب السلطنة تنكز وبناه دار قرآن وحديث لاتزال لزق حمام نور الدين وتعرف اليوم بالكاملية ..)

١٦ - حمام نور الدين بسوق البزورين .

١٧ - حمام السلم .

١٨ - حمام استاذ الدار (١) .

١٩ - حمام الوجيه .

٢٠ - حمام ابي شامة .

٢١ - حمام الغرز (٢) .

٢٢ - حمام العجج .

٢٣ - حمام السنبوسك « ربما كانت التسمية نسبة لكونه كان يباع الى جانبه السنبوسك وهي عجين مرقوق يقطع بالسكين على شكل مستطيل بعرض نحو اصبعين يوضع فيه مجروش الجوز او الفستق مع شيء من السكر ويلف

(١) ذكره ابن شداد باسم حمام عزالدين استاذ الدار بباب الخضراء تحت رقم (١٩) .

(٢) ذكره ابن شداد بالرقم ٤٢ باسم حمام العزز خليل .

بشكل مثلث متساوي الاضلاع ويقلي بالسمن ثم يوضع في القطر ويؤكل ..» كما ورد في الحاشية .

٢٤ - حمام الجبن .

٢٥ - حمام الشامي .

٢٦ - حمام الزيبق .

٢٧ - حمام لؤلؤة .

٢٨ - حمام الصفي (١) .

٢٩ - حمام سعيد .

٣٠ - حمام خلطبا .

٣١ - حمام الرحيبة .

٣٢ - حمام العلوي .

٣٣ - حمام أسد الدين (نسبة الى أسد الدين شيركوه على باب الجابية .)

٢٤ - حمام الفايز . (من الجائز أن يكون الملك الفايز ابن الملك العادل) .

٣٥ - حمام العرايس .

٣٦ - حمام الصوفي (٢) .

٣٧ - حمام آخر لسعيد .

٣٨ - حمام الزنجالي .

٣٩ - حمام قاضي اليمن .

٤٠ - حمام كرجي .

٤١ - حمام حُديد .

٤٢ - حمام المارستان .

٤٣ - حمام القيمرية ، ويقال له حمام نور الدين ايضا .

(١) و (٢) يرجح ان يكون مكرر رقم (١٠و٢٨) .

٤٤ ـ حمام الحريميين (وهو حي القيمرية ويسمى بالمطرزين ، ثم غلب عليه اسم القيمرية لما انشئت المدرسة القيمرية فيه) .

٤٥ ـ حمام القطيطة .

٤٦ ـ حمام الزريزير .

٤٧ ـ حمام درب العجم الكبير « هو داخل جيرون وهو ما يطلق عليه اسم حمام النوفرة شرقي باب الجامع الاموي الشرقي .

٤٨ ـ حمام درب العجم الصغير .

٤٩ ـ حمام الصحن .

٥٠ ـ حمام المؤيد .(ذكره ابن عساكر بأسم حمام باب الناطفيين يعرف بالمؤيد وهو لايزال قرب باب الناطفيين . وهو باب الجـامع الاموي الشمالي، ويعرف اليوم بحمام السلسلة) .

٥١ ـ حمام السلارية .

٥٢ ـ حمام سامه(وهو منسوب الى اسامة الجبلي احد قواد صلاح الدين) .

٥٣ ـ حمام الكأس (شمال المدرسة البادرائية) .

٥٤ ـ حمام خفيف .

٥٥ ـ حمام صاحب حمص .

٥٦ ـ حمام العقيقي « نسبه الى بانيه احمدبن الحسين العقيقي المتوفى ٣٧٨هـ ويعرف بحمام العقيق ، ولا يزال عامراً حتى الان وهو لصيق المدرسة الظاهرية ويعرف الان بحمام الملك الظاهر ..» .

٥٧ ـ حمام جاروخ « وهو مقابل الفرن المعروف بفرن خليفة جوار دار الامير مسعود بن الست عذراء ..»

٥٨ ـ حمام القاضي . ذكره ابن عساكر عند باب الجابية .

٥٩ ـ حمام (الملك) الزاهر ، « وهو مجير الدين ابو سليمان داود بن

الملك المجاهد صاحب حمص » . وزيادة الملك من عدة الملمات لابن عبد الهادي.

٦٠ ـ حمام ابن موسك (وهو المعروف بحمام العصرونية الصغير مقابل دار الحديث النورية والاصل ابو موسك والتصحيح من عدة الملمات لابن عبد الهادي).

٦١ ـ حمام القصير .

٦٢ ـ حمام تميرك .

٦٣ ـ حمام عز الدين (داخل باب النصر احد ابواب دمشق المسمى باب الجنان وباب السعادة .)

٦٤ ـ حمام دار السعادة « كان يسمى ستي عدرا ، نسبة الى عذرا بنت شاهنشاه اخي صلاح الدين..اصبح مخازن تجارية » .

٦٥ ـ حمام درب الشعارين .. « .. اي منطقة الحصرية .. على مقربة من حمام عدرا .. »

٦٦ ـ حمام القاضي خليفة .

٦٧ ـ حمام ابن ابي الطيب .

٦٨ ـ حمام درب اللبان .

٦٩ ـ حمام آخر للشريف .

٧٠ ـ حمام آخر للمارستان .

٧١ ـ حمام بدر الدين بحارة البلاطة « في زقاق المحكمة مكان المدرسة الجوهرية عن حاشية الاربلي المطبوع » .

٧٢ ـ حمام تربة ام صالح ، « في زقاق المحكمة قبلي المدرسة الجوهرية، ويعرف بحمام ست الشام » .

٧٣ ـ حمام ارجواش « الراجح انه علم الدين نائب قلعة دمشق » ..

٧٤ ـ حمام شركس .

٧٥ _ حمام انشأه القرماني « بين السورين بباب الجابية وقد تنوسي هذا الاسم الان وبقي عالقاً بزقاق بين باب الفرج والفراديس ، او ما يسمى الان المناخلية والعمارة ..»

٧٦ _ حمام مجهول بين باب الفرج وباب الفراديس كان مقابل الجامع المعلق ، وكان يدعى بحمام العيلاني .

٧٧ _ حمام درب الحجر : ويدعى حمام المسك . شرقي الثكنة العزيزية جهة الباب الشرقي .

. . .

فأما الحمامات التي هي خارج دمشق وهي في حواضرها فجملتها اربعة وثلاثون حماما وهي :

١ _ حمام حكر السماق .

٢ _ حمام خطاب «نسبة للامير عز الدين خطاب بن محمود توفي ٧٢٥هـ».

٣ _ حمام الحسام .

٤ _ حمام الحاجب .

٥ _ حمام القصر « كان جهة الثكنة السليمانية مقر أمارة زمن الفاطميين، جدده الظاهر بيبرس . . . لذا دعي بالقصر . » .

٦ _ حمام الظاهرية « بالحلبوني نسبة الى المدرسة الظاهرية التي انشأها ملك حلب الظاهر غازي بن صلاح الدين الايوبي ، وهو منسوب اليها إما لانه من أوقافها أو لكونه على مقربة منها » .

٧ _ حمام العتيقا بالشاغور .

٨ _ حمام مسجد القصب .

٩ _ حمام عز الدين الحموي « بمسجد القصب » .

١٠ - حمام الجلاطي .

١١ - حمام لاجين .

١٢ - حمام الريش .

١٣ - حمام عاتكة .

١٤ - حمام الحكر .

١٥ - حمام ديلم .

١٦ - حمام الظاهر بالطون .

١٧ - حمام المرمدة .

١٨ - حمام جرادة .

١٩ - حمام تمر الساقي .

٢٠ - حمام العقيبة .

٢١ - حمام الراهب .

٢٢ - حمام الصالح .

٢٣ - حمام الشجاع .

٢٤ - حمام قرقين .

٢٥ - حمام الجلال .

٢٦ - حمام اسرائيل .

٢٧ - حمام العونية .

٢٨ - حمام العونية الاخرى .

٢٩ - حمام الكحال .

٣٠ - حمام الجواميس .

٣١ - حمام مجهول عند بستان الدمشقي .

٣٢ ـ حمام انشأه نائب السلطنة سيف الدين تنكز بحكر السماق سنة احدى وعشرين وسبعمائـة .

٣٣ ـ حمام انشأه الامير ايلجي بفا جـــوار خان الطعم في شوال سنة عشرين وسبعمائة .

٣٤ ـ حمام انشأه الامير ابن صبح بالقرب من الشامية البرانية سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة .

فهذه جملة الحمامات التي بحواضر دمشق ..فأما الحمامات المتصلة بحواضرها فجملتها تسعة وعشرون حماما وهي :

١ ـ حمام ابن العديم .

٢ ـ حمام جديد وهذا الحمام يعد تارة من حمامات المزة فاعلم ذلك .

وبقرية المزة ثلاثة حمامات :

٣ ـ حمام المسعودي . . « نسبة للامير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي وهو صاحب الحمام بالمزة » .

٤ ـ حمام العفيف .

٥ ـ حمام العوافي وجدده فخر الدين أياس .

وبقرية كفر سوسيا :

٦ ـ حمام واحد .

وباقبيلبات « . . وهي ما يطلق عليه اسم الميدان الفوقاني » :

٧ ـ حمام قديم .

٨ ـ حمام جديد « انشأه الصاحب شمس الدين عبد الله . وهو الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن السديد المصري .

وبالسهم خمسة حمامات :

٩ ـ حمام حدوثة .

١٠ ـ حمام الاعسر .

١١ ـ حمام الزعيفرينة .

١٢ ـ حمام القواص .

١٣ ـ وقد أنشأ الصاحب بها الدين بن عليمة حماماً في بستانه .

وبالنيرب حمام واحد :

١٤ ـ حمام العز المطرز .

وبجبل قاسيون اربعة عشر حماماً .

١٥ ـ حمام الجورة (وهو الذي هدمه السلطان سليم لبناء مقام الشيخ محيي الدين بن عربي .

١٦ ـ حمام الزهور .

١٧ ـ حمام المدفف .

١٨ ـ حمام القاضي .

١٩ ـ حمام الورد .

٢٠ ـ حمام عبد الحميد .

٢١ ـ حمام الشبلية .

٢٢ ـ حمام برقا .

٢٣ ـ حمام خرنوبة .

٢٤ ـ حمام الياسمين .

٢٥ ـ حمام النحاس القديم .

٢٦ ـ حمام اخر جدده القرماني يعرف بحمام النحاس ايضاً .

٢٧ ـ حمام أنشأه الصاحب بها الدين بن عليمة ايضاً بجبل الصالحية وهو جبل قاسيون قريب من اليغمورية .

٢٨ – وحمام أنشأه ايدمر مملوك الصاحب عز الدين القلانسي على طريق الجسر الابيض بطريق جبل قاسيون .

٢٩ – وبين حرستا وارزونة حمام واحد يعرف بحمام مسيلمة .

. . .

د – مع ابن عبد الهادي :

اما يوسف عبد الهادي (٩٠٩) هـ فخلف لنا كتابا هاماً في هذا المجال اطلق عليه اسم آداب الحمام واحكامه « وهو في الواقع اجمل صورة عن التراث الشعبي في الحمامات في القرن العاشر الهجري (١) وهو يقع في خمسين بابا تحدث فيهـا المؤلف عن شروط بناء الحمام ودخول الرجال والنساء اليه ، وعن نفعه ومضرته والاوقات التي يدخل اليه فيها ، وعن حكم مائه وبيعه وشرائه وعن ارضه وبلاطه وعن حكم العورة فيه ، وعمن مدحه من السلف ومن ذمه .. وما ورد عن النبي ﷺ فيه ، وعن الصلاة وقراءة القرآن والذكر والسلام فيه ..

والجدير بالذكر ان خط هذه المخطوطة مشوش غير واضح بالنسبة لما خلفه لنا ابن عبد الهادي .

ولقد رجعنا الى مخطوطة (عدة الملمات في تعداد الحمامات) ووازنا بين الخطين فكان ابن عبد الهادي في الاخيرة اوضح بكثير من كتابه (آداب الحمام واحكامه) .ففي (عدة الملمات في تعداد الحمامات) نقل ابن عبد الهادي ما ذكره ابن شداد والاربلي فبلغ مجموع ما عدد مائة وسبعة وستين حماماً عـدا حمامات الغوطة .. وهي :

الاول – حمام الكناني ذكره ابن شداد رقم /١/ .

(١) وهـذا الكتاب لايزال مخطوطاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٤٥٤٩ /عام .

الثاني – حمام حليم ذكره ابن شداد (١) رقم / ٢ / .

الثالث – حمام عز الدين ذكره ابن شداد والاربلي وقال داخل باب النصر رقم / ٦٣ / .

الرابع – حمام تيمرك ذكره ابن شداد رقم /٤/ والاربلي رقم / ٦٢/ .

(الـ) (٢) خامس حمام شركس. ذكره ابن شداد رقم/ ٥ / والاربلي رقم /٧٤/ .

/ الـ/ (٣) سادس حمام البيمارستان ذكره ابن شداد رقم /٦/والاربلي .

السابع – حمام قنيعس (٤) ذكره ابن شداد رقم / ٧ / والاربلي رقم /٤/ .

الثامن – حمام العـــدل ذكره ابن شداد رقم / ٨ / وابو علي الاربلي رقم /٥/ .

التاسع – حمام ست الشام ذكره ابن شداد رقم /٩/ وابو علي الاربلي وقال تربة ام صالح و (يعرف) (٥) بحمام ست الشام ايضاً رقم /٧٢/ .

العاشر – حمام درب اللبان ذكره ابن شداد رقم / ١٠ / وابو علي الاربلي رقم / ٦٨ / .

الحادي عشر – حمام الجوهري ذكره ابن شداد رقم / ١١ / .

(١) ذكره ابن شداد باسم حمام حلم .
(٢) الكلام بين ( ) ممزوق من المخطوطة .
(٣) الكلام بين ( ) ممزوق من المخطوطة .
(٤) كذا في الاصل وذكره المنجد قعيس صفحة (١٠)
(٥) الكلام بين ( ) ممزوق من المخطوطة .

الثاني عشر – حمام الشريف ذكره ابن شداد رقم / ١٢ / وابو علي الا(ربلي) (١) رقم / ١٢ / .

الثالث عشر – حمام كريم الدين ذكره ابن شداد رقم / ١٣ / .

الرابع عشر – حمام ابن يمن ذكره ابن شداد رقم / ١٤ / وابو علي الاربلي رقم / ٦ / .

الخامس عشر – حمام سوق علي ذكره ابن شداد رقم / ١٥ / وابو علي الاربلي رقم / ٧ / .

السادس عشر – حمام نور الدين ذكره ابن شداد رقم / ١٦ / وابو علي الاربلي رقم / ١٦ / وزاد بسوق البزوريين وذكر ان حمام البيمارستان يقال له حمام نور الـ(ـدين) (٢) .

السابع عشر – حمام قراجا ذكره ابن شداد رقم / ١٧ / وابو علي الاربلي رقم / ١١ / .

الثامن عشر – حمام سويد ذكره ابن شداد رقم / ١٨ / وابوعلي الاربلي رقم / ١٥ / .

التاسع عشر – حمام عز الدين استاذ الدار ، ذكره ابن شداد رقم / ١٩ / وأ(بو علي الاربلي) (٣) رقم / ١٨ / .

العشرون – حمام السلم ذكره ابن شداد رقم / ٢٠ / وابو علي الاربلي رقم / ١٧ / .

الحادي والعشرون – حمام الرحبة ذكره ابن شداد رقم / ٢١ / وابو علي الا(ربلي) (٤) .

الثاني والعشرون – حمام ابو شامه ذكره ابن شداد رقم / ٢٢ / .

---

(١)و(٢)و(٣)و(٤) – ممزوقة من الاصل .

الثالث والعشرون – حمام الجبن ذكره ابن شداد رقم / ٢٣ / وابو علي الاربلي رقم / ٢٤ / .

الرابع والعشرون – حمام العجج ذكره ابن شداد رقم / ٢٤ / وابو علي الاربلي رقم / ٢٢ / .

الخامس والعشرون – حمام السنبوسك ذكره ابن شداد رقم / ٢٥ / وابو علي الاربلي رقم / ٢٣ / .

السادس والعشرون – حمام البقل (١) ذكره ابن شداد رقم / ٢٦ / وابو علي الاربلي رقم / ١٣ / .

(الـ) سابع (٢) والعشرون – حمام حارة الحاطب ذكره ابن شداد رقم / ٢٧ / وابو علي الاربلي رقم / ١٤ / .

(الثامـ) ـن (٣) والعشرون – حمام العميد ذكره ابن شداد رقم /٢٨/ .

التاسع والعشرون – حمام السقلاني ذكره ابن شداد رقم / ٢٩ / .

الثلاثون – حمام قراجا أيضاً ذكره ابن شداد رقم / ٣٠/ .

الحادي والثلاثون – حمام الزلاقة ذكره ابن شداد رقم / ٣١ / .

الثاني والثلاثون – حمام الزيبق ذكره ابن شداد رقم / ٣٢ / وابو علي الاربلي رقم / ٢٦ / .

الثالث والثلاثون – حمام ابي الطيب ذكره ابن شداد رقم /٣٣/ والاربلي رقم / ٦٧ / وقال حمام ابن ابي الطيب ولعله اصوب .

الرابع والثلاثون – حمام اللؤلؤة ذكره ابن شداد رقم / ٣٤ / وابو علي الاربلي رقم / ٢٧ / .

---

(١) ذكره البعل .

(٢)و(٣) – ممزوقة من الاصل .

الخـ(١) امس والثلاثون - حمام الصوفي ذكره ابن شداد رقم / ٣٥ / وابو علي الاربلي رقم / ١٠ و ٢٨ / .

السا (٢) دس والثلاثون - حمام خلطبا ذكره ابن شداد رقم / ٣٦ / وابو علي الاربلي رقم / ٣٠ / .

السابـع (٣) والثلاثون - حمام العلوي ذكره ابن شداد رقم / ٣٧ / وابو علي الاربلي رقم / ٣٢ / .

الثامن والثلاثون - حمام الفايز ذكره ابن شداد رقم / ٣٨ / وابو علي الاربلي رقم / ٣٤ / .

التاسع والثلاثون - حمام أسد الدين ذكره ابن شداد رقم / ٣٩ / وابو علي الاربلي (٤) رقم / ٣٣ / .

الاربعون - حمام قاضي اليمن ذكره ابن شداد رقم / ٤ / وابو علي الاربلي رقم / ٣٩ / .

الحادي والاربعون - حمام كرجي ذكره ابن شداد رقم / ٤١ / وابو علي الاربلي رقم / ٤٠ / .

الثاني والاربعون - حمام الغرز خليل ذكره ابن شـــداد رقم / ٤٢ / وابو علي الاربلي (٥) رقم / ٢١ / .

الثالث والاربعون - حمام الزريزير ذكره ابن شداد رقم / ٤٣ / وابو علي الاربلي (٦) رقم / ٤٦ /

الرابـع والاربعون - حمام الحريميين ذكره ابن شداد رقم / ٤٤ / وابو علي الاربلي (٧) رقم / ٤٤ / .

---

(١)و(٢)و(٣)و(٤)و(٥)و(٦)و(٧) - ممزوقة من المخطوطة اخذت عن المنجد.

الخامس والاربعون - حمام المطرزين ذكره ابن شداد رقم / ٤٥ / .

السادس والاربعون - حمام العرايس ذكره ابن شداد رقم / ٤٦ / وابو علي الاربلي رقم / ٣٥ / .

السابـع والاربعون - حمام الصوفي (١) ذكره ابن شداد رقم / ٤٧ / .

الثامن والاربعون - حمام النيبطون ذكره ابن شداد رقم / ٤٨ / .

التاسع والاربعون - حمام سعد الدين ذكره ابن شداد رقم / ٤٩ / .

الخمسون - حمام الدولاب ذكره ابن شداد رقم / ٥٠ / .

الحادي والخمسون - حمام الزنجاري (٢) ذكره ابن شداد رقم / ٥١ / .

الثـ (٣) اني والخمسون - حمام درب العجم الكبير ذكره ابن شداد رقم / ٥٢ / وابو علي الاربلي رقم / ٤٧ / .

(الـ) (٤) ثالث والخمسون - حمام درب العجم الصغير ذكره ابن شداد رقم / ٥٣ / وابو علي الاربلي رقم / ٤٨ / .

الرابـع والخمسون - حمام سامة ذكره ابن شداد رقم / ٥٤ / وابو علي الاربلي رقم / ٥٢ / .

(الخـ) (٥) امس والخمسون - حمام الكاس ذكره ابن شداد رقم/٥٥/ وابو علي الاربلي رقم/٥٣ / .

(السا) (٦) دس والخمسون - حمام الصحن ذكره ابن شداد رقم/٥٦/ وابو علي الاربلي رقم / ٤٩ / .

(السابـ) (٧) ـع والخمسون - حمام المؤيد ذكره ابن شداد رقم /٥٧/ وابو علي الاربلي رقم / ٥٠ / .

---

(١) مكرر رقم (٣٥) وربما هو الذي اورده باسم حمام الزلاقة رقم(٣١)والصفي بالزلاقة رقم (٧١) .

(٢) ذكره المنجد : الزنجاري .

(٣)و(٤)و(٥)و(٦)و(٧) - ممزوقة من المخطوطة اخذت عن المنجد .

الثامن والخمسون ـ حمام السلارية ذكره ابن شداد رقم / ٥٨ / وابو علي الاربلي رقم / ٥١ / .

التاسع والخمسون ـ حمام حبيب ذكره ابن شداد رقم /٥٩ / .

الستون ـ حمام الملك الزاهر ذكره ابن شداد رقم / ٦٠ / وابو علي الاربلي رقم / ٥٩ / .

الحادي والستون ـ حمام السلطان ذكره ابن شداد رقم / ٦١ / .

(الـ) (١) ثاني والستون ـ حمام جاروخ ذكره ابن شداد رقم/٦٢/ وابو علي الاربلي رقم /٥٧/ .

(الـ) (٢) ثالث والستون ـ حمام القصر ذكره ابن شداد رقم / ٦٣/ وابو علي الاربلي رقم /٦١/ .

(الـ) (٣) رابع والستون ـ حمام ابن موسك ذكره ابن شداد رقم / ٦٤ / وابو علي الاربلي رقم / ٦٠ / .

(الخام) (٤) س والستون ـ حمام العقيقي ذكره ابن شداد رقم/٦٥/ وابو علي الاربلي رقم /٥٦/ .

السادس والستون ـ حمام القاضي ذكره ابن شداد رقم / ٦٦ / وابو علي الاربلي رقم /٥٨/ .

السابع والستون ـ حمام الوزير ذكره ابن شداد رقم / ٦٧ / وابو علي الاربلي رقم / ٣ / .

الثامن والستون ـ حمام القطيطة ذكره ابن شداد رقم /٦٨/ وابو علي الاربلي رقم / ٤٥ / .

التاسع والستون ـ حمام درب الشعارين ويعرف بحمام صالح ذكره ابن شداد رقم / ٦٩ / وابو علي الاربلي رقم /٦٥/ .

---

(١)و(٢)و(٣)و(٤) ـ ممزوقة من المخطوطة .

السبعون ـ حمام الكمالي ذكره ابن شداد رقم/٧٠/ .

الحادي والسبعون ـ حمام الصفي بالزلاقة ذكره ابن شداد رقم / ٧١/ (وابو علي) (١) الاربلي رقم /١٠ و ٢٨/ .

الثاني والسبعون ـ حمام جمال الدين الرومي ذكره ابن شد(اد) (٢) رقم / ٧٢ / .

الثالث والسبعون ـ حمام ابي نصر ذكره ابن شداد رقم/ ٧٣ / وابو علي الاربلي رقم /٩/ .

الرابع والسبعون ـ حمام الاندر ذكره ابن شداد رقم / ٧٤/ وابو علي الاربلي رقم / ٨ / .

الخامس والسبعون ـ حمام القاضي الفاضل ذكره ابن شداد رقم /٧٥/.

السادس والسبعون ـ حمام جديد ذكره ابن شداد رقم /٧٦/ وابو علي الـ (اربلي)(٣) رقم /٤١/ باسم حمام حُديد .

السابع والسبعون ـ حمام الهيامي ذكره ابن شداد رقم /٧٧/ .

الثامن والسبعون ـ حمام بدرب الهاشمي ويعرف بالهاشميين ذكره ابن شداد رقم /٧٨/ وابو علي الاربلي وجدده حسن الخادم ...

التاسع والسبعون ـ حمام الديوان لطيف ذكره ابن شداد رقم /٧٩/ .

الثمانون ـ حمام سوق علي يعرف بالاكافين ذكره ابن شداد رقم /٨٠/ .

الحادي والثمانون ـ حمام درب النخلة عند باب الصغير ذكره ابن شداد رقم / ٨١ / .

(ا) لثاني (٤) والثمانون ـ حمام الجمجي ذكر انه خرب وصار داراً .. ذكره ابن شداد رقم / ٨٢ / .

---

(١)و(٢)و(٣)و(٤) ـ ممزوقة من المخطوطة .

الثا (١) لث والثانون - حمام التميمي بدار البطيخ خرب وهو الان مساكن ذكره ابن شداد رقم / ٨٣ / .

الرابع والثانون - حمام طويل جانب كنيسة مريم ذكره ابن شداد رقم / ٨٤ / .

الخامس والثانون - حمام عند رأس قنطرة سنان ذكره ابن شداد رقم / ٨٥ / .

السادس والثانون - حمام القاضي المالكي بباب الفرج عمره القــاضي التلمساني .

السابع والثانون - حمام العلاني .

الثامن والثانون - حمام الكمالي ذكره ابو علي الاربلي (٢) رقم /١/.

التاسع والثانون - حمام الهاشمي ذكره ابو علي الاربلي .

الت (٣) سعون - حمام سعيد ذكره الاربلي رقم / ٢٩ / .

(الحـ) (٤) ادي والتسعون - حمام رحيبة ذكره الاربلي رقم /٣١/ .

الثاني والتسعون - حمام آخر لسعيد ذكره الاربلي رقم / ٣٧ / .

الثالث والتسعون - حمام الزنجالي ذكره الاربلي رقم / ٣٨ / .

الرابع والتسعون - حمام خفيف ذكره الاربلي رقم / ٥٤ / .

الخامس والتسعون - حمام صاحب حمص ذكره الاربلي رقم /٥٥/ .

السادس والتسعون - حمام العقيقي ذكره الاربلي رقم / ٥٦ / .

السابع والتسعون - حمام دار السعادة ذكره الارب (٥) لي رقم /٦٤/ .

الثامن والتسعون - حمام درب اللبان ذكره الاربلي (٦) / ٦٨ / .

التاسع والتسعون - حمام آخر للشريف ذكره الاربلي (٧) رقم /٦٩/ .

المائــــة - حمام للمارستان ذكره الاربلي .

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) - ممزوقة من المخطوطة .

(٦) و(٧) - غير المنجد ترتيب هذين الحمامين فجعل الاخير في الاول .

وجاء في مخطوطة عدة الملمات : (وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه .. الى سنة سبعين وخمسمائة ان الحمامات الموجودة بدمشق وظواهرها سبعة وخمسون حماماً . وذكر ابو علي الاربلي ان الحمامات التي داخل دمشق اربعة وسبعون حماماً ، وان التي بها وبما هو متصل بها من حواضرها مائة وسبعة وثلاثون حماماً . وذكر الاربلي ان المتصل بدمشق حمام ابن العديم رقم / ١ / والحمام الجديد رقم /٢/ .

(ف) (١) صل في حمامات ، وفي جهة القبلة اربعة .

الاول حمام مستجد برأس ميدان الحصى ذكره ابن شداد رقم /٨٦/ .

الثاني حمام غازي ، ذكره ابن شداد (٢) رقم /٨٧/

الثالث حمام الريس ، ذكره ابن شداد رقم /٨٨/

(ال) (٣) - رابع ، حمام العندي ذكره ابن شداد رقم / ٨٩ / وذكر الاربلي ان / ... / (٤)

باب حمام قديم ، وحمام جديد (٥) انشأه الصاحب شمس الدين عبد الله بالرقم / ٨ / في جملة الحمامات المتصلة بحواضر دمشق .

(ف) (٦) صل وفي الشاغور حمامان

الاول حمام ابن الشجري ذكره ابن شداد رقم / ٩٠ /

الثاني حمام اولاد ابن صاحب حمص ذكره ابن شداد رقم / ٩١ / وعده الاربلي في حمامات دمشق .

---

(١) ممزوقة من المخطوطة .

(٢) باسم حمام عاتكة .

(٣) و(٤) - ممزوقة من المخطوطة .

(٥) ذكره الاربلي في جملة الحمامات المتصلة بحواضر دمشق برقم (١٣) .

(٦) ممزوقة من المخطوطة.

فصل وبالعقيبة عدة حمامات

الاول حمام الكحال ذكره ابن شداد رقم / ٩٢ / .

الثاني حمام العوينة ذكره ابن شداد رقم /٩٣ / .

الثالث حمام دلدرم ذكره ابن شداد رقم / ٩٤ /.

الرابع حمام الراهب ذكره ابن شداد رقم /٩٥/ .

الخامس حمام الشريف الزجاج ذكره ابن شداد رقم /٩٦ / .

السادس حمام الرشيد ذكره ابن شداد رقم / ٩٧ / .

السابع حمام الصالح ذكره ابن شداد رقم / ٩٨ / .

الثامن حمام قرقين ذكره ابن شداد رقم / ٩٩ / .

التاسع حمام الشجاع ذكره ابن شداد رقم / ١٠٠ / .

العاشر حمام اسرائيل ذكره ابن شداد رقم / ١٠١ / .

الحادي عشر حمام العجمي ذكره ابن شداد رقم / ١٠٢ / .

الثاني عشر والثالث عشر حمامان لابن السرهنك ذكرهما ابن شد (اد)(١) رقم / ١٠٣ - ١٠٤ /

فصل وبباب السلامة ثلاثة حمامات

الاول حمام القاضي محيي الدين ذكره ابن شداد رقم / ١٠٥ /.

الثاني حمام ابن منجا ذكره ابن شداد رقم / ١٠٦ / .

الثالث حمام الورّاقة ذكره ابن شداد تحت رقم / ١٠٧ /.

فصل وبحكر السماق حمامات

الاول حمام الحسام ذكره ابن شداد رقم / ١٠٨ / .

---

(١) ممزوقة من المخطوطة .

الثاني حمام الصوفية ذكره ابن شداد رقم / ١٠٩ / .

الثالث حمام الميدان ذكره ابن شداد رقم / ١١٠ / .

الرابع حمام الظاهرية ذكره ابن شداد رقم / ١١١ / .

فصل وبباب توما حمامات

(الا) (١) ول حمام دايم ذكره ابن شداد رقم / ١١٢ / .

(الثا) (٢) ني حمام داثر ذكره ابن شداد رقم / ١١٣ / .

الثالث حمام الزنجاري ذكره ابن شداد رقم / ١١٤ / .

فصل وبباب شرقي

حمام واحـد لغلام بن يمن جوار دير الحدى (٣) ذكره ابن شداد رقم / ١١٥ / .

فصل وبالقلعة حمامان (٤)

فصل وذكر الاربلي بالسهم خمسة حمامات (٥) .

الاول حمام حدوثة .

الثاني حمام الاعسر .

---

(١) و (٢) – ممزوقة من المخطوطة .

(٣) كذا وردت في المخطوطة الا انها وردت في مخطوطة ابن شداد (الجذمي) وكذلك اوردها المنجد .

(٤) لم يذكر ابن عبد الهادي في مخطوطته اسم هذين الحمامين أما ابن شداد فاعطاهما الرقم (١١٦ و ١١٧).ولم يذكر اسمها بل اكتفى بالقول وبالقلعة المعمورة حمامان .

(٥) لم يذكر ابن عبد الهادي في مخطوطته الا اربعة حمامات ورجعنا الى مخطوطة الاربلي فوجدنا ان عبد الهادي اسقط ذكر الحمام رقم (١٣) الذي خصه الاربلي بقوله : (وقد انشأ الصاحب بها الدين بن عليمة حماما في بستانه) .

الثالث حمام الزعيفرينة .

الرابع حمام القواس .

فصل وبالصالحية حمامات

الاول حمام الركنية .

الثاني حمام العلاني .

الثالث حمام الشبلية . ذكره الاربلي رقم / ٢١ / [١] .

الرابع حمام الكاس شرقي المدرسة .

الخامس حمام القاضي في رأس سوق الفاكهة ذكره الاربلي رقم /١٨/ [٢] .

السادس حمام الحاجب [٣] بناه الامير محمد بن مبارك حاجب دمشق .

السابع حمام الزهر ذكره الاربلي [٤] رقم / ١٦ / .

الثامن حمام الجورة عند البيمارستان ذكره الا(ربلي) [٥] رقم /١٥/ .

التاسع حمام الحنفي عند باب الباعولي .

العاشر حمام ابن الخواجا ابراهيم نحو بيته .

الحادي عشر حمام المقدم عند الجامع الجديد .

الثاني عشر حمام ابن العيني عند بيته .

الثالث عشر حمام العرايس .

الرابع عشر حمام العفيف .

الخامس عشر حمام عبد الباسط بالجسر .

السادس عشر حمام الزمرد .

---

(١)و(٢) – ذكره الاربلي في جملة الحمامات المتصلة بحواضر دمشق .

(٣) عده الاربلي في زمرة الحمامات التي هي خارج دمشق رقم (٤).

(٤) ذكره الاربلي في جملة الحمامات المتصلة بحواضر دمشق .

(٥) ممزوقة من المخطوطة .

وقد ذكر الاربلي ان بجبل قاسيون اربعة عشر حماماً فذكر الاربعة المتقدمة (١) .

والخامس هو حمام المدفف رقم / ١٧ / .

والسادس حمام الورد رقم / ١٩ / .

(والسابع حم) ام (٢) رقم / ٢٠ / .

والثامن حمام دلوقا .

والتاسع (.......) (٣) .

(والعاشر حمام) الياسمين (٤)

والحادي عشر حمام النحـ(ـاس) (٥) القديم

وحمام جدده (٦) القرماني ويعرف (بحمام (٧) النحاس ايضاً وحمام انشأه الصاحب بها الدين بن عليمة (٨) ايضاً بجبل الصالحية وهو جبل قاسيون وحمام انشأه ايدمر مملوك الصاحب عزالدين بن القلانسي على طريق الجسر الابيض بطريق) جبل قاسيون .

قال وبالنيرب حمام واحد هو حمام العز المطرز .

فصل وبالمزة حمامات :

الاول حمام المسعودي ذكره الاربلي .

---

(١) – في الاربلي : الشبلية رقم (٢١) القاضي رقم (١٨) الزهور رقم (١٦) الجورة رقم (١٥) .

(٢) – ممزوقة من المخطوطة .

(٣) – ممزوقة من المخطوطة وقد اعطاه الاربلي اسم حمام خرنوبة رقم / ٢٣ / .

(٤) و (٥) – ممزوقة من المخطوطة اخذت عن الاربلي .

(٦) و (٧) – كـــذا في الاصل ووره في القاموس : الحمام مذكر وجمعه حمامات وبهامشه قوله مذكر قال سيبويه جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكرا حيث لم يكسر جعلوا ذلك عوضاً عن التكسير .

(٨) – ممزوقة من المخطوطه اخذت عن الاربلي .

الثاني حمام العفيف وذكره الاربلي .

الثالث حمام العوافي وجدده (١) فخر الدين اياس ذكره الاربلي .

فصل بيت الاها وجوبر والعنابة حمامات :

(الا) ول ... (٢) .

وبكفر سوسيا حمام ذكره الاربلي .

فصل وبالربوة حمام :

ثم يذكر حمامات قرى الغوطة ويختم كلامه بقوله :

« هذا ما قدرنا على حصره من حمامات دمشق والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فرغ منه يوسف بن حسن عبد الهادي. والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

٥ ـ مع النعيمي الدمشقي

وقد عاصر ابن عبد الهادي ، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي / ٨٤٥ - ٩٢٧ / هـ فكتب لنا (الدارس في تاريخ المدارس) في جزئين حققهما الاستاذ جعفر الحسني وخلال ابحاثه تعرض لذكر ستة وثلاثين حماما ورد معظمها في ماكتبه من سبقه من الاوائل وهي :

١ ـ حمام سامه قريبا من دار بني القلانسي عند الرحبة التي يباع فيها

(١) ـ اورده ابن عبد الهادي دون ان يذكر اسمه في فصل وذكر الاربلي بالسهم خمسة حمامات انظر حاشيتنا عن هذا الموضوع .

(٢) ـ بياض في المخطوطة .

الصناديق وقد ذكره في معرض حديثه عن الزاوية الطيبة . في الجزء الثاني صفحة ٢٠٥ تحت رقم / ٢٢١ / .

٢ ـ حمام اسرائيل خارج دمشق . وقد ذكره في معرض حديثه عن المدرسة الدماغية في الجزء الثاني صفحة ٢٣٧ تحت رقم /٤٣/ .

٣ ـ حمام باب البريد عند المدرسة البلخية ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٤٨١ رقم /٩٢/ .

٤ ـ حمام التيروزي (التوريزي) : في سنة ثمان واربعين وثمانماية في شهر ربيع الاول فتح حمام الامير غرس الدين خليل التوريزي شرقي مدرسته وهو حمام كبير حسن ، واوجر كل يوم بأكثر من اربعين درهما ، وذلك في الجزء الثاني صفحة ٢٤٠ رقم /٢٥٤/ .

٥ ـ حمام جاروخ : في معرض حديثه عن المدرسة العذراوية ، نسبة للست عذراء بنت اخي صلاح الدين يوسف .. فاتح بيت المقدس في الجزء الاول صفحة ٣٧٥ تحت رقم/٦٥/. وورد ذكره ايضا في الجزء الثاني صفحة١٩٣ تحت رقم/٨٠٩/. في معرض حديثه عن رباط زهره ، وهو بجوار دار الامير مسعود ابن الست عذرا الانفة الذكر ، وايضا في الجزء الثاني صفحة ٣٣٨ في معرض الحديث (في ذكر المساجد بدمشق) .

٦ ـ حمام الجيعان ، ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٢٣٢ تحت رقم /٢٤٤/ في معرض الحديث عن التربة البلبانية ، كما يعرف باسم حمام الجبغاء.

٧ ـ حمام جديد في معرض حديثه : «في ذكر المساجد بدمشق،وذكر انه في سوق القناديل وكان يعرف بحمام الجديد.وقد صححه ابن عساكر كما ورد في الحاشية رقم ٢ صفحة ٣٢٥ حيث قال وحمام داخل درب الهاشميين المعروف بالجديد وذلك في الجزء الثاني صفحة ٣٢٥

٨ ـ حمام الحموي عز الدين ايبك بمسجد القصب وذلك في معرض الحديث عن التربة العزية الايبكية الحموية في الجزء الثاني الصفحة ٢٥٨ الرقم /٢٧٩/.

٩ ـ حمام خالد ذكره في معرض حديثه عن المدرسة الفتحية اذ ورد أن أبا الحسين الرازي ذكر أن الدار والحمام المعروفين بخالد في رحبة ابن اسد. وقال ابن عساكر يشبه أن يكون ذلك نسبة الى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد ، انـه كان بدمشق مع الخليفة عبد الملك . . وذلك في الجزء الاول صفحة ٥٦٠ تحت رقم / ١٢١ / .

١٠ ـ حمام خطاب : ورد في معرض الحديث عن التربة الخطابية وهو نسبة للامير عز الدين خطاب ابن محمود بن مرتعش العراقي ، وعين مكانه بحكر السماق ، وذلك في الجزء الثاني صفحة ٢٤٤ تحت رقم / ٢٦٠ / .

١١ ـ حمام الزمرد ورد في معرض الحديث عن المدرسة التقوية وقد ذكره ابن عبد الهادي بين حمامات الصالحية في (عدة الملمات) وذلك في الجزء الاول في الصفحة ٢٢٤ رقم / ٣٧ /.

١٢ ـ حمام السلسلة ورد في معرض الحديث عن دار القرآن الكريم الرشائية في الحاشية رقم / ١ / في الجزء الاول صفحة ١١ رقم / ٤ /.

١٣ ـ حمام سويد ورد في معرض الحديث عن دار القرآن والحديث التنكزية التي كانت حماما يعرف بحمام سويد وقد هدمه نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري وجعله دار قرآن وحديث . وذلك في الجزء الاول صفحة ١٢٣ رقم / ٢٤ / . وفي الجزء الثاني صفحة ٣٣١ في معرض بحثه « في ذكر المساجد بدمشق » .

١٤ ـ حمام الشجاع : ورد في معرض الحديث عن المدرسة الامينية ولعله السجاع ، وذلك في الجزء الاول صفحة ٢٠١ تحت رقم / ٣٤ / .

١٥ ـ حمام الشركسي ورد في معرض الحديث عن المدرسة الخاتونية البرانية . وعين مكانه بمحلة حجر الذهب . وذلك في الجزء الاول صفحة ٥٠٩ رقم / ١٠١ / .

١٦ ـ حمام صالح ورد ذكره في معرض الحديث عن المدرسة الشرابيشية وعين مكانه بدرب الشعارين وذلك في الجزء الثاني صفحة ٧ رقم / ١٤١ / .

١٧ ـ حمام عصفور ورد ذكره في معرض بحثه « في ذكر المساجد بدمشق » في الجزء الثاني صفحة /٣٤٥/ .

١٨ ـ حمام العقيقي ورد ذكره في معرض الحديث عن المدرسة الظاهرية الجوانية في الجزء الاول صفحة ٣٤٩ رقم / ٦٢ / وورد في الجزء الثاني في معرض بحثه « في مساجد دمشق » صفحة ٣٣٣ وجاء في الحاشية (٤) انه المعروف اليوم بحمام ملك الظاهر بجوار المدرسة الظاهرية .

١٩ ـ حمام العلاني : ورد ذكره في معرض الحديث عن الخانقاه اليونسية ، وهو من اوقاف هذه الخانقاه ويقع خارج باب الفرج والفراديس ، وذلك في الجزء الثاني صفحة ١٩٠ تحت رقم /١٨٤/ .

٢٠ ـ حمام العلائي ورد اسمه في معرض الحديث عن المدرسة الجوزية وذكر انه في شرقي الصالحية وذلك في الجزء الثاني صفحة ٥٨ تحت رقم /١٤٤/ .

٢١ ـ حمام العاوي ورد ذكره في معرض بحثه « في ذكر مساجد دمشق » في الجزء الثاني صفحة ٣٢٣ .

٢٢ ـ حمام العوافي ورد ذكره خلال الحديث عن الخانقاه الدويرية وذكر انه يقع في المزة وذلك في الجزء الثاني صفحة ١٤٧ رقم / ١٦٤ / .

٢٣ ـ حمام الفلك ورد ذكره خلال الحديث عن المدرسة اللبودية النجمية وذلك في الجزء الثاني صفحة ١٣٦ .

٢٤ ـ حمام القاسم ورد ذكره في بحث «الذيل في ذكر الجوامع» في الجزء الثاني صفحة /٣٧٦/ .

٢٥ ـ حمام قايماز ورد ذكره في معرض الحديث عن دار الحديث النورية الجزء الاول صفحة ٩٩ رقم / ٢١ / .

٢٦ ـ حمام القصير ورد ذكره في الجزء الاول صفحة ٤١١ تحت رقم/٦٨/ في معرض الحديث عن المدرسة العمادية وفي الجزء الثاني صفحة ٣٣٤ خلال بحثه «في ذكر مساجد دمشق» .

٢٧ ـ حمام ابن كلي ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٣٢٩ خلال بحثه «في ذكر مساجد دمشق» وذكر في الحاشية رقم (٣) انه ورد في ابن عساكر /١/ : /٢٢٢/ منكلي (١) .

٢٨ ـ حمام اللؤلؤ : ورد ذكره في الجز الثاني صفحة ٣١٥ خلال بحثه «في ذكر مساجد دمشق» وذكر في الحاشية رقم (١) انه ورد في ابن عساكر /١/ : /٢٠٠/ حمام اللؤلؤة .

٢٩ ـ حمام ابن ابي المطر ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٣٢٧ خلال بحثه «في ذكر مساجد دمشق» وذكر في الحاشية (١) : ٢٢١ انه حمام الطيب .

٣٠ ـ حمام الشريف : ورد في الحاشية (٤) صفحة ٣٢٧ ان ابن عساكر عده من حمامات دمشق وهو عند دار ابن البوري .

٣١ ـ حمام ابن موسك ورد ذكره في الجزء الاول صفحة ١٠٠ تحت رقم /٢١/ في معرض الحديث عن دار الحديث النورية وايضاً صفحة ٣٦٨ رقم /٦٤/ في ذكر الحديث عن المدرسة العادلية الصغرى .

---

(١) لم نجد في ابن عساكر المطبوع اسم منكلي بل ابن كلي .

٣٢ ـ حمام النحاس ورد ذكره في الجزء الاول صفحة ٤٠٦ رقم / ٦٧/ في معرض الحديث عن المدرسة العصرونية وفي الجزء الثاني صفحة ٤٤١ في معرض الحديث عن جامع النحاس . وهذا الحمام ينسب الى عماد الدين ابن النحاس وموقعه شرقي الصالحية سفح الجبل .

٣٣ ـ حمام ابي نصر ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٣٥٨ في معرض بحثه «في ذكر مساجد دمشق» .

٣٤ ـ حمام نور الدين الشهيد ورد ذكره في الجزء الاول صفحة ١٢٣ تحت رقم /٢٤/ خلال الحديث عن دار القرآن والحديث التنكزية ويقع غربها . وذكر في الحاشية رقم (٢) انه يعرف اليوم بحمام البزورية .

٣٥ ـ حمام الورد ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٦٤ رقم / ١٤٥ / خلال الحديث عن المدرسة الجاموسية، كما ذكر في الصفحة ٢٧٣ رقم /٢٩٣/ خلال الحديث عن التربة الكركية الاياسية الفخرية وكذلك في الصفحة ٢٧٤ تحت الرقم ذاته والموضوع عينه .

٣٦ ـ حمام يلبغا ورد ذكره في الجزء الثاني صفحة ٤٤٣ خلال الحديث عن جامع الثابتية .

• • •

و ـ مع ابن طولون الصالحي :

أما محمد بن طولون الصالحي (توفي ٩٥٣ﻫ) فقد عدد في كتابه (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية) . حمامات الصالحية ، ومن خلال مطالعتنا لهذا الكتاب ورد معنا ذكر احد عشر حماماً (١) ، وهذه الحمامات هي :

١ ـ حمام الزمرد بالنيرب ورد ذكره في الصفحة ١٥ - ١٦ .

٢ ـ حمام الربوة ورد ذكره في الصفحة ١٤ .

---

(١) ـ لم ينظم محقق المخطوطة الاستاذ محمد احمد دهمان فهرساً للكتاب بعد تحقيقه .

٣ ــ حمام الحاجب أمام المدرسة الحاجبية وسط الصالحية ورد ذكره في الصفحة ٥٣ والحاشية (٢) .

٤ ــ حمام الجورة ورد ذكره في الصفحة ٦٤ في معرض الحديث عن جامع الشيخ محيي الدين بن عربي .

٥ ــ حمام العرايس ورد ذكره في الصفحة ١٠٢ في معرض بحثه « في مدارس الشافعية » .

٦ ــ حمام المقدم ورد ذكره في الصفحة ١٩٠ في معرض الحديث عن الخانقاه العزية وهو وقف لتربة الجيعان وورد في الصفحة ٢٥٤ في معرض الحديث عن مساجد الصالحية .

٧ ــ حمام الكاس ورد ذكره في الصفحة ٢٤٨ في معرض الحديث عن مساجد الصالحية .

٨ ــ حمام الزهر ورد ذكره في الصفحة ٢٥٣ في معرض الحديث عن مساجد الصالحية .

٩ ــ حمام الركنية ، ١٠ حمام السبع قاعات ، ١١ حمام مقرا ورد ذكره في الصفحة ٢٦٨ في معرض الحديث عن الحماميم (١) والمسالخ في الصالحية .

• • •

ز ــ مع ابن كنّان :

وبعد قرنين من الزمن اتى محمد بن عيسى بن محمود بن كنّان (توفى ١٠٩٣ هـ) بكتابه « المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية » عدد فيه ايضا حمامات الصالحية في القرن الحادي عشر وعلق على بعض الحمامات التي ذكرها ابن طولون وهذه الحمامات هي :

(١) هكذا وردت في الكتاب المطبوع موضوع البحث .

١ ــ حمام الزمرد بالنيرب خرب وزال .

٢ ــ حمام الشبلية .

٣ ــ حمام مقرى .

٤ ــ حمام الزهر خرب وصار مكانه جنينة الناصري محمد بن تاج الدين .

٥ ــ حمام العلاني .

٦ ــ حمام الركنية .

٧ ــ حمام القاضي .

٨ ــ حمام الحاجب قرب دير الحنابلة الى الجنوب الشرقي .

٩ ــ حمام عبد الباسط بالجسر الابيض (يسمى الان حمام الجسر وقد حول الى فرن) .

١٠ ــ حمام ابن العيني .

١١ ــ حمام الحنفي .

١٢ ــ حمام العرايس قرب زقاق الشهابية الى الجنوب الشرقي .

١٣ ــ حمام العفيف .

١٤ ــ حمام المقدم .

١٥ ــ حمام النحاس .

١٦ ــ حمام الخواجا ابراهيم .

١٧ ــ حمام الجورة .

١٨ ــ حمام العلاني .

١٩ ــ حمام الكاس .

٢٠ ــ حمام الربوة .

٢١ ــ حمامات في بيوت وهي :

آ ــ حمام بيت القاضي كمال الدين .

ب ــ حمام بيت الحريري .

ج ــ حمام في بيت عند حمام المقري .

• • •

ح ــ ماذكره ايكو شار ولو كور:

وآخر من (١) افرد لحمامات دمشق كتابا المهندسان الفرنسيان ايكوشار - Ecochard ولو كور Le Cœur كان ذلك عام ١٩٤٢ ، وقد بحثا فيه عن الحمامات وتطورها في دمشق حتى القرن التاسع عشر، كما اوجزا الحديث عن مياه دمشق ووصفا الحمام واقسامه ووظيفته وجانباً مبسطاً عن الحياة الاجتماعية فيه .

ويقع هذا الكتاب في جزأين أطلقا عليها اسم «حمامات دمشق Les Bains De Damas» .

وقد عدد في هذا الكتاب حمامات دمشق في تلك الفترة فبلغت ستين حماماً (٢) وبينا الى جانب معظمها اوقات عمل الحمام بالنهار او ليل نهار وفيما اذا كان مخصصاً للرجال فقط أم أنه مشترك في فترة للرجال وهي من الصبح حتى الظهيرة وفترة للنساء من الظهيرة حتى غروب الشمس. كما بينا ان معظم تلك الحمامات لم تكن مزودة بالماء (الفيجة) ولا بالكهرباء . ولعل ذلك يعود الى أن تعميم استعمال مياه الفيجة عوضاً عن (عدانات)(٣) الطوالع من مياه الانهار لم يعمم في تلك الفترة . كما أشار الكتاب الى ان معظم هذه الحمامات وقفها اهل الخير لانها ذات نفع عام على غرار المدارس والترب والبيمارستانات ومع الايام صارت تؤجر .

(١) ــ المنجد ، حمامات دمشق .

(٢) ــ حمامات دمشق Les Bains De Damas لايكوشار ولوكور صفحة ٥٥ .

(٣) في القاموس : عدان الشيء (بالفتح والكسر) زمانه وعهده .

ونعرض فيما يلي لاسماء الحمامات التي أوردها ايكوشار ولو كور. وسنعرض بعده لما أورده الاستاذ صلاح الدين المنجد وسنوازن بينهما ثم نعرض، اخيراً للحمامات الدمشقية المعاصرة في الفصل الثاني .

فقد ذكر ايكوشار وزميله ستين حماماً وهي :

١ ــ حمام العفيف يعمل نهارا فقط قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات . وهو مزود بالكهرباء .

٢ ــ حمام المقدم يعمل نهاراً فقط قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٣ ــ حمام الحاجب يعمل نهاراً فقط قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٤ ــ حمام الجسر يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥ ــ حمام الورد يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات. وهو مزود بالكهرباء .

٦ ــ حمام الجوزة يعمل نهاراً قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات. وهو مزود بالكهرباء .

٧ ــ حمام الخانجي يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعدالظهر للسيدات وهو مزود بماء الفيجة والكهرباء .

٨ ــ حمام العمري يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات. وهو مزود بالكهرباء .

ملاحظة : الحمامات المشار لها باشارة « » والتي تعمل ليلا ونهاراً ، تعمل في الليل منذ غروب الشمس حتى منتصف الليل للرجال .

٩ – حمام أمونه يعمل نهارا . قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات وهو مزود بماء الفيجة والكهرباء .

١٠ – حمام السكاكري يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

١١ – حمام السلطاني يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

١٢ – حمام العيلاني في العقيبة .

١٣ – حمام الجورة بحي الجورة .

١٤ – حمام القرماني يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات وهو مزود بالكهرباء وماء الفيجة .

١٥ – حمام الدبس في سوق ساروجا (خان البطيخ) .

١٦ – حمام رامي في حي البحصة سنجقدار .

١٧ – حمام الناصري في حي البحصة سنجقدار .

١٨ – حمام الراس يعمل ليلا ونهارا « » للرجال فقط وهو مزوّد بالكهرباء .

١٩ – حمام المناخلية في حي العمارة الجوانية .

٢٠ – حمام الملك الظاهر يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٢١ – حمام منجك في حي سوق ساروجا [١] .

٢٢ – حمام سامي يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

---

(١) هكذا اورده ايكوشار وزميله والواقع انه في حي الكلاسة . وقدحول الى مصبغة ومستودع أخشاب .

٢٣ – حمام القيمرية يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٢٤ – حمام البكري يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٢٥ – حمام النوفرة ، في حي باب البريد [١]

٢٦ – حمام السلسلة يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٢٧ – حمام السرايا جادة القنوات .

٢٨ – حمام البوشي – شاغور جواني .

٢٩ – حمام القناطر جادة القنوات .

٣٠ – حمام الملكة جادة القنوات [٢] .

٣١ – حمام ستي عدرا – شاغور جواني .

٣٢ – حمام المرستان – باب البريد .

٣٣ – حمام القيشاني (في محلة سوق القيشاني حاليا) .

٣٤ – حمام قصر العظم (في قصر العظم) .

٣٥ – حمام القاري في حي الخراب .

٣٦ – حمام البزورية ، يعمل ليلا ونهارا « » للرجال فقط وهو مزود بالكهرباء .

---

(١) هكذا اورده ايكوشار وزميله والواقع انه في حي النوفرة .

(٢) هكذا اورده ايكوشار وزميله والواقع انه في شارع الدرويشية مقابل مدخل سوق الحميدية وقد خرّب وشيّد مكانه بناء حديث .

٣٧ ـ حمام الحدادين (درويشية) يعمل ليلا ونهارا « » للرجال فقط وهو مزود بماء الفيجة والكهرباء .

٣٨ ـ حمام القاضي (في سوق مدحت باشا) يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات وهو مزود بالكهرباء .

٣٩ ـ حمام الخياطين (في سوق الخياطين) يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للنساء وهو مزود بالكهرباء .

٤٠ ـ حمام الجديد (قماحين) يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٤١ ـ حمام السنانية يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات وهو مزود بالكهرباء .

٤٢ ـ حمام الركاب : شاغور جواني .

٤٣ ـ حمام الناصري (شاغور مأذنة الشحم) يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٤٤ ـ حمام الخراب في حي الخراب .

٤٥ ـ حمام المسك (باب توما) يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات وهو مزود بماء الفيجة .

٤٦ ـ حمام عز الدين يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات وهو مزود بماء الفيجة .

٤٧ ـ حمام الصفي يعمل نهاراً قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٤٨ ـ حمام السروجي يعمل نهاراً قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات.

٤٩ ـ حمام التيروزي يعمل ليلا ونهارا « » للرجال فقط .

٥٠ ـ حمام الزين يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥١ ـ حمام الذهب يعمل نهارا قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥٢ ـ حمام الشيخ حسن يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥٣ ـ حمام سنؤل في باب مصلى .

٥٤ ـ حمام الموصلي (١) .

٥٥ ـ حمام فتحي يعمل ليلا ونهارا « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥٦ ـ حمام الرفاعي يعمل ليلا ونهاراً « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥٧ ـ حمام العقيل يعمل نهاراً قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥٨ ـ حمام الجديد يعمل نهاراً قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٥٩ ـ حمام الدرب يعمل ليلا ونهاراً « » قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

٦٠ ـ حمام التوتة يعمل نهاراً قبل الظهر للرجال وبعد الظهر للسيدات .

وقد بين ايكو شار وزميله في الصفحة ٥٢ من الجزء الاول من كتابها (حمامات دمشق) ان اربعة وعشرين حماماً هي وقف وقفه اهل الخير لانها ذات نفع عام على غرار الترب والمدارس والبيمارستانات التي بنيت من اجل عمل الخير .

وقد حدثت ان وقف الحمامات كان سائداً في دمشق حتى ان المستحم بحمام فتحي

(١) يعرف باسم حمام ابي الوفا .

كان يستحم بدون مقابل ويأكل قرصين من الصفيحة (١) باللحم مجانا .

ط ـ اما صلاح الدين المنجد :

فقد اصدر كراساً عام ١٩٤٧ بعنوان « حمامات دمشق ، نصوص قديمة من ابن عساكر وابن عبد الهادي » ، رجعنا الى اصولها المخطوطة فوجدنا بعض التباين .. الا انه اورد في الصفحة (١٩) بحثاً بعنوان (حمامات دمشق في زمننا) عدد فيه ثمانية وعشرين حماماً ذكر مواقعها والمياه التي تشرب منها ونسب هذه المياه الى فروع بردى السبع التي تسقي مدينة دمشق ومرافقها العامة آنذاك ، وبالتالي لم يشر المنجد الى ان هنالك حماماً واحداً يتزود بمياه الفيجة او عن طريق الابار ، عوضاً عن مياه الانهار .

فاذا كان كتاب ايكو شار وزميله صدر عام ١٩٤٢ فان كراس المنجد صدر عام ١٩٤٧ اي بعد خمس سنوات ، وقد ذكر ايكو شار وزميله ان ما لا يقل عن سبع حمامات اصبحت مزودة بمياه الفيجة العذبة النقية عدا الحمامات التي بدأت تستغني عن مياه الانهار عن طريق حفر الابار . وهذا معناه انتشار الاعتماد على مياه الفيجة والابار بصورة اكثر من ذي قبل ولا ندري لماذا اصر المنجد على اعتبار الحمامات لا تزال حتى ساعة نشر كتابه تستعمل مياه بردى وفروعه .

وقبل ان نسترسل في هذا الموضوع ارى ان نعدد الحمامات التي عددها المنجد كما وردت ، ثم نستمر في عرض الموضوع على سبيل الموازنة لا غير .

فالحمامات التي ذكرها المنجد هي :

١ ـ حمام العفيف ، ٢ ـ حمام المقدم ، ٣ ـ حمام الحاجب ، وهذه الحمامات يأتيها ماؤها من نهر يزيد .

(١) هي من المأكولات الدمشقية وهي عبارة عن لحم مفروم يتبل باللبن ودبس الرمان والبصل المفروم والصنوبر والكزبرة اليابسة والعصفر مع الملح والفلفل ، يفرد على العجين المرقوق ثم يخبز ويؤكل .

٤ ـ حمام الورد ، ٥ ـ حمام الجوزة ، ٦ ـ حمام العمري ، ٧ ـ حمام أمونة ، ٨ ـ حمام الخانجي ، وماء هذه الحمامات من نهر تورا .

٩ ـ حمام القرماني ، وماء هذا الحمام من بانياس وتورا .

١٠ ـ حمام الملك الظاهر ، ١١ ـ حمام القيمرية وهو يفتح ابوابه في شهور الشتاء ، ١٢ ـ حمام البكري ، وماء هذه الحمامات من نهر بانياس .

١٣ ـ حمام السلسلة ، ١٤ ـ حمام الملكة ، ١٥ ـ حمام القاضي ، ١٦ ـ حمام السنانية ، ١٧ حمام الركاب ، ١٨ ـ حمام المسك ، ١٩ ـ حمام الصفني ، ٢٠ ـ حمام السروجي ، ٢١ ـ حمام التيروزي ، ٢٢ ـ حمام الزيني ، وماء هذه الحمامات من بانياس وقنوات .

٢٣ ـ حمام فتحي ، ٢٤ ـ حمام الرفاعي ، ٢٥ ـ حمام العاقل ، ٢٦ ـ حمام الجديد في الميدان الوسطاني ، ٢٧ ـ حمام الدرب ، ٢٨ ـ حمام التوتة ، وماء هذه الحمامات من نهر الديراني .

ولو وازنا بين ماذكره المنجد عام ١٩٤٧ وما ذكره ايكو شار وزميله قبل خمس سنوات لوجدنا ان المنجد انقص اثنين وثلاثين حماما وهي : ١ ـ حمام الجسر ، ٢ ـ حمام السكاكري ، ٣ ـ حمام السلطان ، ٤ ـ حمام العيلاني ، ٥ ـ حمام الجوره ، ٦ ـ حمام الدبس ، ٧ ـ حمام رامي ، ٨ ـ حمام الناصري (سنجقدار) ، ٩ ـ حمام الراس ، ١٠ ـ حمام المناخلية ، ١١ ـ حمام منجك ، ١٢ ـ حمام سامي (١) ١٣ ـ حمام النوفره ، ١٤ ـ حمام السرايا ، ١٥ ـ حمام البوشي ، ١٦ ـ حمام القناطر ، ١٧ ـ حمام ستي عدرا ، ١٨ ـ حمام المرستان ، ١٩ ـ حمام القيشاني ، ٢٠ ـ حمام قصر العظم ، ٢١ ـ حمام القاري ، ٢٢ ـ حمام نور الدين بالبزورية ، ٢٣ ـ حمام الحدادين ، ٢٤ ـ حمام الخياطين ، ٢٤ ـ حمام الجديد بالقماحين ، ٢٦ ـ حمام ناصري الجورة بالشاغور ، ٢٧ ـ حمام الخراب ،

(١) حول الى مصبغة ثم أعيد حماما منذ مدة وجيزة .

٢٨ ـ حمام عز الدين ، ٢٩ ـ حمام الذهب ، ٣٠ـحمام الشيخ حسن، ٣١ـحمام سنوءل ، ٣٢ ـ حمام ابو الوفا (الموصلي) .

ومن خلال تجوالنا في حمامات دمشق المعاصرة لاحظنا ان المنجد اهمل ذكر عشرة حمامات لاتزال تعمل حتى الان ومنها حمامات شهيرة في التاريخ كحمام النوفرة المسمى بحمام درب العجم الكبير ، وحمام سامي وحمام عز الدين ، هذا بالاضافة الى حمام السكاكري وحمام الجورة وحمام الحدادين وحمام الجديد بالقماحين وحمام ناصري الجورة بالشاغور وحمام الذهب وحمام الشيخ حسن .. اما سبب الاغفال فلا نجد له تفسيرا .. وذلك عدا الحمامات التي أغلقت منذ صدور كراس المنجد حتى اليوم .

* * *

الفصل الثاني

حمامات دمشق المعاصرة

الحمامات التي تعمل في زمننا :

لم تعد الحمامات تلك الاهمية الكبرى التي كانت لها في السابق ، فلم يعد يرتادها اشخاص لهم مكانة محترمة في المجتمع (١)، فاصبحت تقتصر على العامة والطارئين على دمشق ذلك لان معظم ابناء البلد ، صدف عن الحمامات العامة وقلت رغبته فيها ، لذا اتخذ اكثرها محالاً للصاغات والتجارات وخزن البضاعة ... ولقد قمنا بجولة على حمامات دمشق الحالية حاولنا فيها دراسة ما تبقى من هذه الحمامات التي كانت في يوم من الايام تمثل جانباً حساساً من التراث الشعبي لمدينة دمشق ، والتي كانت تعد من مفاخرها التي تغنى بها المؤرخون والرحالة الاجانب على حد سواء .. وقد عمدنا في ذلك الى وصف ما شاهدناه بأم أعيننا محاولين قدر الامكان الاستئناس باقوال من عاصر تلك الحمامات وبعض من عمل فيها . ويحسن ان نشير في هذا المجال الى ان القارىء لن يجد في هذا البحث تصنيفاً لاساليب البناء والعمارة والريازة ومدارسها ، ولا تراجم للاعلام الذين سيمر ذكرهم معنا ،

(١) Ecohard - Le Cœur : Les Bains De Damas —

وسيجد القارىء في هذا البحث اشياء حققها غيرنا فاثبتناها له في مواضعها توخياً للامانة العلمية .

ولقد عانينا كثيراً من المتاعب خلال تجوالنا من أجل الوقوف على الحقيقة المجردة ، مترفعين عما يتهم به (ابناء الكار) بعضهم بعضا من تهم تعود الى الحسد .

• • •

١ – حمام العفيف

يقع هذا الحمام في جادة العفيف وينسب الى الشيخ محمد العفيفي . وقد ذكره الاربلي تحت رقم /٤/ في جملة الحمامات المتصلة بجواضر دمشق (١) ويوسف عبد الهادي في (عدة الملمات) تحت رقم /١٤/ وعده في جملة حمامات الصالحية وكذلك ابن كنان في (المروج السندسية) وذكره ايكوشار وزميله في كتابهما (حمامات دمشق) وصنفه في جملة حمامات ماقبل القرن الرابع عشر الميلادي والمنجد ايضاً ذكره في بحثه حمامات دمشق في زمننا ،

مدخل هذا الحمام لا يوحي بوجود حمام في المنطقة ومنذ سنوات كانت تدل عليه لوحة ظلت معلقة على باب الحمام طوال سنين كتب عليها :

(من يطلب العافية من رب لطيف فليقصد الله ثم حمام العفيف)

البراني فيه عبارة عن مستطيل مقسوم الى ثلاثة اجنحة بقوسين يستند عليها شبه رقبة يسمونها (منور) ، لها اثنتا عشرة نافذة .

والارض مبلطة بالحجر الاسود والوردي المزي على شكل متتابع ، وفي الوسط بحرة بيضوية الشكل حجرها من النوع المزي المصقول ، وعلى الجوانب

(١) – لعله الحمام الذي ذكره ابن عساكر باسم حمام ابن العفيف رقم (٥٥) .

ثلاث مساطب تقوم خلفها خزائن مفتوحة في الجدران لحفظ المناشف (والفوط) كما يوجد تخت بسيط (للمعلم) .

ومن البراني ندخل الى ما يسمى بالوسطاني الاول ، ويحتوي على مراحيض وبحرة فسقية ملتصقة بالجدار . ثم وسطاني ثان يحوي مسطبة ومقصورة صغيرة وفيه ايضاً ممر يؤدي الى مقصورة (النورة) (١) وبلاط هذين القسمين عادي من النوع التجاري المعروف .

ومن الوسطاني الثاني ندخل الى الجواني ، ويتوسطه ممر (بيت النار) وتتصدره (مسطبة الخزانة) والى اليمين منها ردهة ذات جرن واحد والى اليسار ايضاً ردهة بجرنين احدهما (جرن الشيخ) وهنا لا تزال آثار الشموع التي كانت تنذر للشيخ باقية الا ان هذه النذور قد بطلت الان كما يوجد في هذه الردهة مقصورة ذات جرنين .

وهذا الحمام يعمل في النهار من الفجر حتى الظهر للرجال ومن الظهر حتى غروب الشمس للسيدات . وهو مزود بماء الفيجة كما ان له عدانا من نهر يزيد (٢) اما وقوده فمن النشارة والاوراق والاعشاب اليابسة ...

واصحابه الان يفكرون بازالته لانشاء بناء حديث بدلا منه مع المدرسة المجاورة .

• • •

٢ ــ حمام المقدم :

يقع هذا الحمام في حي الشيخ محيي الدين بن عربي ـ منطقة الشركسية مدارس حارة المقدم ـ . ذكره ابن عبد الهادي في (عدة الملمات) تحت الرقم

(١) تسمى مقصورة الدواء (لازالة الشعر) .

(٢) كما يذكر المنجد .

الحادي عشر وقال انه عند الجامع الجديد . وهو في جملة حمامات الصالحية ، كما ذكره ابن طولون في (القلائد الجوهرية) تحت رقم /٦/ في معرض الحديث عن الخانقاه العزية كما عده ابن كنان في (المروج السندسية) واعطاه الرقم /١٣/ ، وكذلك ذكره ايكو شار والمنجد .

ويقع الحمام في عطفة على اليمين في جادة المقدم ، وينزل اليه بدرجات تؤدي الى البراني وهو مستطيل ذو ثلاثة عقود تستند على دعائم وفي الاعلى رقبة كانت في الاصل كمايبدو قبة،وفيه ثلاث مساطب وتخت للمعلم وخزائن للمناشف ، اما ارضه فمبلطة بالحجارة السوداء والوردية ما عدا الاطار المحيط بالبحرة البيضوية الوردية ، فهو مبلط بالرخام الابيض المكحل بالاسود .

ومنه ندخل الى الوسطاني الاول وهو مخصص للمراحيض ثم الوسطاني الثاني ويضم بحرة صغيرة ومسطبة .الارض فيه مبلطة بالحجازة السوداءوالوردية . ثم هناك وسطاني ثالث الحرارة فيه مقبولة ، ويضم ممر بيت النار في الوسط وعلى اليمين ايوان يحوي جرنين ومقصورة ذات جرنين ايضاً . وعلى اليسار ايضا ايوان بجرنين احدهما جرن الشيخ وينسب الى الشيخ محيي الدين بن عربي ولا تزال النسوة الى اليوم يقدمن له النذور والشموع وتتهافتن على حجزه (يفرضن الحماية) قبل ايام سلفا .

ويوجد أيضا مقصورتان بكل منهما جرنان . ومنه ندخل الى ممر على اليسار فيه مقصورة النورة وعلى اليمين مقصورة السكب . وبعده نصل الى الجواني ويسمونه الحرارة وهو يتألف من ممر بيت النار وفي الصدر مسطبة الخزانة وعلى اليمين ايوان أيمن يضم أربعة أجران وأيسر بأربعة أجران أيضا . ويلاحظ أن أرضية الوسطاني الثالث والحرارة مبلطة بالرخام حينا وبالحجر الاسود والوردي أحيانا وثمة قطع صغيرة رصفت بالبلاط العادي الحديث من وقت قريب .

ويتزود هذا الحمام بماء الفيجة للشرب وله عدان جار من مياه نهر يزيد ، ويدعي المشرف على الحمام أن مياه النهر للشطف فقط والخوارج في حين أن مياه الفيجة للشرب والاستحمام ونحن نشك في هذا القول ، ونرجح استعمال مياه النهر أيضا للاستحمام لانها ارخص . ويؤكد هذا ان المشرف على الحمام يمتلك ثلثه :

أما مواد الوقود فهي من النشارة والبقايا المتنوعة . (والقميمي) يعمل بدون اجر تقريبا لانه يأخذ أجرة قدور الفول التي يغمرها بالجمر .

والحمام يفتح أبوابه للرجال من الفجر للظهر .وللسيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

٣ ــ حمام الورد

وهو في آخر سوق ساروجا الى جهة الغرب قليلا حيث جادة الورد ويقع الى اليمين من هذه الجادة . ويعتبر من الحمامات الاثرية المسجلة (١) لدى مديرية الاثار العامة والمتاحف تحت رقم س — ١ — ٢١٢ وقد وضع على بابه لافتة رخامية ذكر فيها أنه من القرن الثامن الهجري : وقد ذكره الاربلي في زمرة الحمامات المتصلة بحواضر دمشق وأعطاه الرقم/١٩/ .وذكر ابن عبدالهادي أن الاربلي ذكر أن بجبل قاسيون اربعة عشر حماما ومنها حمام الورد واعطاه ابن عبد الهادي الرقم السادس . كما ذكره النعيمي الدمشقي (في الدارس) في الجزء الثاني صفحة ٦٤ تحت رقم /١٤٥/ (٢) .

---

(١) تنتقي المديريةالاثار المسجلة من المباني الاثريةالقديمةالباقية،اما اهمها أو مايتمتع بصفات معمارية وفنية خاصة . وتعمل على المحافظة عليها وصيانتها وادراجها في قائمة المباني التاريخية حيث يصدر بها قرار وزاري يجعلها خاضعة لقانون حماية الاثار المحدد بالمرسوم التشريعي رقم ٢٢٢ الصادر بتاريخ ٢ / ١٠ / ١٩٦٣ / .

(٢) انظر بحث الحمامات التي ذكرها النعيمي في هذا الكتاب .

كما ذكره ايكوشار وزميله برقم / ٥ / وعده في جملة حمامات القرن الرابع عشر الميلادي والمنجد برقم / ٤ / .

يتألف البراني من صحن كبير رباعي الشكل جدرانه مؤلفة من اربعة أقواس تتلاقى منتهية بدائرة تستند عليها قبة تحيط بها ست عشرة نافذة اغلق منها ثلاث . وهذه القبة تنتهي برقبة مسدودة .

وفي هذا البراني مسطبتان وتخت للمعلم بسيط ، اما الارض فمبلطة بالحجر الاسود والوردي وفي الوسط بحرة ذات كأس وردية جميلة جدا لها ثلاث طبقات . ومنه يدخل الى الوسطاني الاول ، وهو عبارة عن ايوان بصدره مسطبة على اليمين ومسطبة على اليسار وارضه مفروشة بالحجر الاسود والوردي وبقايا الرخام القديم . ويقابلها في الطرف الاخر بحرة صغيرة داخل الجدار . ومنه يدخل الى الوسطاني الثاني حيث نجد مقصورة النورة على اليمين وثلاث مقاصير بكل منها جرن واحد ...

اما الجواني ، وهو المسمى بالحرارة فيقسمه بيت النار قسمين (ايوانين) بكل منهما جرنان ، وفي القسم الايمن مقصورتان بكل منهما جرن وعلى اليسار مقصورة ذات جرن واحد يسمى جرن الشيخ وتضاء لهذا الجرن الكهرباء ليلة الاثنين والجمعة .

وارض هذا القسم عبارة عن رخام جميل قديم مكحل بالاسود لكنه مكسر ، وبصورة عامة رغم اثرية الحمام فان العناية فيه قليلة والداخل اليه لا ينشرح صدره من مرآه ، ولعل مرد ذلك ان القائمين عليه ليسوا من ابناء المصلحة وهم كمعظم القائمين على الحمامات من اهل القلمون (١) كالمعظمية والرحيبة وعين التينة ..

يتمون هذا الحمام بالوقود كمعظم حمامات دمشق عن طريق النشارة

(١) – القاسمي · قاموس الصناعات الشامية .

والبقايا وفضلات الطعام .. اما المياه فمن بئر وتستخدم للاستحمام والمراحيض والبحرة كما تستخدم للشرب .

والحمام مخصص للرجال قبل الظهر وللسيدات بعد الظهر ، ويشتهر بسلق الفول مع حمام عز الدين والشيخ ارسلان والنوفرة والرفاعي .

. . .

٤ – حمام الجوزة

يقع في وسط سوق ساروجا ، وهو من الحمامات الاثرية المسجلة لدى المديرية العامة للاثار والمتاحف برقم س ١ – ٣١٩ – ٣٢٤ – وعلى بابه لافتة رخامية ذكر فيها انه من القرن السادس الهجري . ولم نعثر على ذكر هذا الحمام فيما كتبه القدماء .

وقد ذكره ايكوشار تحت رقم /٦/ وعده في جملة حمامات ماقبل القرن الرابع عشر الميلادي وذكره المنجد ايضاً .

وهو من الحمامات القليلة في دمشق التي تمتاز بنظافتها ، يدخل اليه بدهليز طويل الى صحن مربع الشكل هو البراني ، وهذا البراني بدون قبة ، ويضم قوسين تستند عليهما رقبة خشبية ثمانية الاضلاع وبكل ضلع منها نافذتان .

وأرض هذا البراني مبلطة بالرخام المكحل بالبني وبالحجر الاسود والمزي الوردي ، وتتوسطه بحرة تتدفق مياهها من كاس من الحجر المزي .. ويحيط بالصحن اربع مساطب (وسدة) او تخت للمعلم . اما الجدران فمزينة بمناظر وصور زيتية عادية تجارية بعضها مرسوم على الجدار نفسه .

فيه وسطاني واحد يؤدي الى الجواني حيث توجد مقصورة النورة الى اليمين ثم ايوانان بكل منهما جرنان وخمس مقاصير بكل منها جرنان .

والارض هنا مبلطة بالرخام المشقف والمكحل ، والجدران مبلطة بوزرة ترتفع حوالي المترين تعلوها مقرنصات جصية على شكل ارباع دوائر جميلة .

اما جرن الشيخ فمهمل لاتوقد له الشموع اليوم . والوقود المستخدم في هـذا الحمام هو المازوت ، ورغم مصاريف المازوت فان صاحبه يفضله لانه أنظف لحمامه ويوفر اجور عمال القميم ... لان صاحبه هو الذي يديره . وهذا ما يفسر لنا نظافة هذا الحمام، شأنه في ذلك شأن حمام السلسلة والملك الظاهر والعمري . اما المياه فهي من ثلاثة موارد ، أولها الفيجة للشرب وثانيها بئر حفرت في الحمام لتموين الاجران والمقاصير والثالث حق الحمام من مياه نهر تورا. وهذا الحمام للرجال من الفجر للظهر وللسيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

. . .

٥ ــ حمام الخانجي

يقع هذا الحمام في راس سوق الهال (الخضار) جوار دار العظم وقـد ذكره ايكوشار كما ذكره المنجـد .. يضم البراني ثلاث مساطب واحدة منها كبيرة كما يضم مكانا خاصا بالزبائن الممتازين يسمى القصر، ويضم ايضا تختاً للمعلم .. اما الجدران فمزينة بالمرايا وبمناظر منطقة الشيخ ارسلان ومنظر التكية السليمانية وقلعة صلاح الدين في مصر ومنظر (بوغاز) استانبول . ارض هـذا البراني مبلطة بالرخام المكحل والمشقف ويتوسطه بحرة ذات كاس رخامية وهذه البحرة من الرخام المكحل على شكل حشوات ومن الحجر الوردي . والسقف يشكل شبه رقبة رباعية الشكل فيها ثماني نوافذ .

والوسطاني معتـدل الحرارة فيه فسقية بالقرنة على شكل ربع دائرة ومسطبة من الموزاييك الحجري المحلي . اما الارض فمفروشة بالرخام والحجر الاسود والوردي .

اما الجواني فعبارة عن قبتين تستندان على اقواس ودعائم يتوسطه بيت النار وعلى اطرافه اجنحة تتوزع عليها الاجران ، أربعة أجران على اليمين واثنان على اليسار وفي جانب منه مقصورة صغيرة للنورة ، وثلاث مقصورات اخرى واحدة كبيرة ذات جرنين ، والاخريان لكل منهما جرن واحـد . وارض الجواني مبلطة برخام ابيض مكحل على شكل مربعات ومستطيلات يفصل بينها دروب من الحجر الاسود والوردي ، وليس في هـذا الحمام جرن للشيخ، وهو يستقبل زبائنه من الرجال قبل الظهر ويستقبل السيدات من الظهر للغروب .

ووقوده النشارة والاوراق .. اما الماء فمن الفيجة من جهة ومن بئر حفرت فيه للاستعمالات الخاصة بالحمام .

وهذا الحمام يمتاز كسابقه بالنظافة الا انه يحتاج الى عناية اكثر ..

. . .

٦ ــ حمام العمري

ويقع في العقيبة جادة ساروجا ولعل تسميته نسبة الى مقام الشيخ العمري الموجود مقابل الحمام ، ذكره ايكوشار في جملة حمامات ماقبل القرن الرابع عشر الميلادي، كما ذكره المنجد. البراني فيه مؤلف من صحن مربع في كل جدار قوس ويستند على الاقواس قبة تنتهي برقبة مسدودة ، ويوجد في القبة ثماني نوافذ . وفي الوسط بحرة من نوع الرخام المشقف على شكل حشوات من الرخام الاسود والوردي والابيض . في حين ان الارض مبلطة بالحجر المزي الوردي والاسود .

وفيه اربع مساطب وتخت للمعلم ، ومن احدى المساطب يصعد الى سقيفة واسعة تسمى القصر وهي مخصصة للزبائن الممتازين . اما الجدران فمزينة برسوم ذات مناظر قديمة .

وفي الوسطاني الاول مسطبة وبحرة ومراحيض ، اما الوسطاني الثاني فيضم ايواناً ايمن فيه جرنان وايواناً ايسر فيه ثلاثة اجران . يطلق على الصدراني منها اسم جرن الشيخ وله الى اليوم قنديل ومكان للشمع . وفي جانب من هذا الوسطاني مقصورة النورة .

اما الجواني (الحرارة) فيضم ايواناً ايمن صغيرا جداً في صدره مقصورة ذات جرنين وايواناً ايسر فيه جرنان ومقصورة ذات ثلاثة اجران . ويعمل هذا الحمام على المازوت ويتمون بالمياه من بئر في الحمام ينضح منها الماء محرك صغير ويستعمل مياه الفيجة للشرب والطوارىء وهو من الحمامات النظيفة المظهر . ويستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

• • •

٧ - حمام أمّونة

يقع في العمارة ، بوابة الاس وقد ذكره ايكوشار وعده في جملة حمامات ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي كما ذكره المنجد . وقد حول الى مصبغة ثم اعيد مؤخراً الى حمام . يتألف البراني من مربع تحيط به اربعة اقواس اثنان منها مضاعفان بقوسين ، والاقواس الاربعة تنتهي بقبة ذات ثلاث نوافذ والقبة تنتهي بنوافذ متلاقية .

والارض مبلطة بالرخام الاسود والوردي . وفي الوسط بحرة مزيّنة فيها تربيعات رخامية بيضاء مع بعض التنزيلات الحمراء والبنية من الرخام على شكل زوبعة .

وبجوار الجدران (تحت الاقواس) ثلاث مساطب ضيقة وتخت للمعلم .

وفي الوسطاني ، مقصورة النورة وجرن في القسم الايسر . اما الجواني فيتألف من ثلاث قباب ذات تشكيلات جصية تحتها ممر بيت النار وعلى جانبيه ايوان ايمن فيه جرنان ومقصورتان بكل منها جرن . وايوان ايسر فيه جرنان . ووقود هذا الحمام من النشارة والفضلات والاوراق .. ويستمد المياه من بئر فيه للاستحمام والشطف وفيجة للشرب . ويستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

ولم اشاهد في هذا الحمام ما يدل على النظافة والترتيب .

• • •

٨ - حمام السكاكري

يقع في العمارة البرانية ، جادة السكاكري مفرق القزازين ، وقد سمي بذلك ، كما حدثني القائم عليه ، نسبة الى الشيخ محمد السكاكري ... وذكره ايكوشار واغفله المنجد . وهو حمام صغير انيق نظيف ، البراني فيه مؤلف من صحن مربع الشكل مبلط بالحجر الاسود الوردي تتوسطه بحرة مضلعة من الحجر الوردي ، وفيه مسطبتان وتخت للمعلم وقصر بالاعلى . والسقف بدون قبة بل يشبه الرقبة ويسمى بالمنور وهو مربع له خمس نوافذ من الغرب والشمال والجنوب .

الوسطاني الاول ارضه مبلطة بالحجر المزي والاسود والجدران لعلو مترين مبلطة (بالبورسلان) . وفي هذا الوسطاني بحرة صغيرة ومراحيض وفوقه قبة .

اما الوسطاني الثاني فمثل الاول من حيث البلاط والنظافة الا ان فيه مسطبة وثلاثة اجران ومقصورة النورة . وفي الجواني مسطبة عند الخزانة

وايوانان على طرفي ممر بيت النار : ايوان ايسر فيه جرنان ومقصورة ذات جرن واحد ، وايوان ايمن فيه جرنان ومقصورتان احداهما تسمى مقصورة الشيخ وهي ذات جرن واحد واخرى اكبر منها وفيها جرنان . وفوق باب مقصورة الشيخ في الايوان الايمن نقوش جصية نافرة تمثل رسوماً نباتية ونجد مثل ذلك في المقصورة المقابلة في الايوان الايسر . وفوق كل مقصورة قبة كذلك توجد قبة كبرى فوق بيت النار ، ويعمل هذا الحمام على المازوت كما ان المياه فيه من بئر في الحمام وعداد للفيجة .. وقد كثر الاقبال عليه بعد اغلاق حمام السلطاني . ويستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

. . .

٩ ـ حمام الجورة

ويسمى حمام الشيخ ارسلان يقع في منطقة باب توما جادة الجورة . وقد ذكره ايكوشار ولم يذكره المنجد . وقد كان هـذا الحمام مغلقاً ومهملا بسبب كثرة انقطاع مياهه وقداستأجرته الشركة الخماسية بعض الوقت فجعل مستودعاً للسماد، فكسر رخامه وغيّرت بعض معالمه ثم أعيد فتحه ورممت الاجنحة المشوهة ولاسيما البراني منه الذي نراه مبلطاً ببلاط حديث . وهـــذا البراني يتخذ شكلا رباعياً تتوسطه بحرة مزية وردية فيها بقايا كأس وردية ، ويحيط به عدة مساطب ففي الشمال مسطبة كبيرة على شكل ايوان ، وفي الشرق مسطبة صغيرة ، وفي الجنوب على طرفي المدخل سدتان على شكل مسطبتين . والجدران مبلطة ببلاط عادي لعلو ثلاثة أمتـــار تقريباً . اما السقف فمن الخشب وهو مستو وفي وسطه منور تحيط به ثماني عشرة نافذة .

ومن هـذا البراني ندخل الى ممر صغير فيه مراحيض ، ارضه مفروشة بالرخام وجدرانه مبلطة بالبلاط العادي ويؤدي هذا الممر الى ساحة صغيرة ذات

مسطبة منها ندخل الى الوسطاني فنشاهد فيه ممر بيت النار وعلى يمينه ايوان رخامي الارض ، وجدرانه مبلطة وفيـه ثلاثة أجران احدها من الرخام الجميل ، وعلى اليسار مدخل لمقصورة النورة وفيهـــا جرن واحد ثم مسطبة ، وكل ذلك مبلط بالرخام . وبعد ذلك ندخل الى الجواني فنجد على طرفي بيت النار ايوانين ايوانا ايمن فيه جرنان رخاميان ومقصورة ذات جرن واحد تسمى مقصورة الصنعة وهي مخصصة لاعمال الريس (المصوبن) . وايوانا أيسر فيه اربعة اجران احداها رخامي ومقصورة فارغة كانت في الاصل تستعمل مغطساً . وعلى بيت النـــار مسطبة وبعدها مسطبة الخزانة .

يستعمل هذا الحمام الوقود العادي كالنشارة وقشر الجوز والمواد المشتعلة . ويتمون بالمياه من بئر خاصة به لاستعمالات الحمام اما مياه الشرب فتؤمن من مياه الفيجة وهذا الحمام يستقبل الرجال فقط ويديره السيد محمود التيناوي الشهير بالحمامي . .

. . .

١٠ ـ حمام القرماني

يقع هذا الحمام في سوق العتيق اسفل سوق ساروجا ، جادة القرماني ، وقد ذكره ايكوشار كما ذكره المنجد . وهو من أكثر الحمامات ارتياداً ونشاطاً . وذلك لوقوعه في وسط المدينة قريباً من فنادق منطقة سوق ساروجا العديدة حيث يكثر الغرباء .

والبراني فيه صحن مستدير تتوسطه بحرة من الحجر المزي . والارض ذات تشكيلات متنوعة من الرخام المشقف والحجر الوردي والاسود . يحيط بالصحن اربعة اقواس تستند عليهـــا قبة مستديرة ذات ست نوافذ بلورها ملون بالاحمر والاخضر والاصفر ، وهذه القبة موشاة برسوم نباتية تمثل مناظر عدة من دمشق

واشكال ازهار وورود وتزيينات نباتية متناظرة بشكل يجعلها من أجمل قباب حمامات دمشق . وهذه القبة تنتهي برقبة محاطة بالنوافذ .

ويتفرع عن الاقواس الاربعة ، اربع مساطب اكبرها المسطبة الشرقية التي تنتهي بايوان واسع يتفرع عنه قصران (شمالي وجنوبي) من الباور كي يخلع فيها الزبائن الممتازون ملابسهم، وبين مدخل الحمام ومدخل الوسطاني نصب (تخت) مزين بالسجاد والمرايا ذات الاطر المصدفة من نوع التنزيل المصري الجميل . ومن هذا البراني ندخل في ممر يسمى (المعدى) ينتهي بنا الى الوسطاني وفي هذا المعدى مراحيض . اما الوسطاني فيحوي بحرة صغيرة وايوانين وساحة ارضها مفروشة بالحجر الاسود والمزي وفيه ايضاً مقصورة صغيرة خاصة بالنورة .

ويضم الجواني ايوانين بكل منهما جرنان ويتفرع عن كل ايوان مقصورتان وبذلك يصبح المجموع اربع مقاصير اثنتان منها تضم كل واحدة ثلاثة اجران واثنتان بكل منهما جرنان .

اما جرن الشيخ فهو احد اجران الايوان الايمن .. وينسب الى الشيخ محمد القرماني والارض في الجواني مبلطة بالرخام الكبير المكحل بالاسود.

كان يعمل هذا الحمام للرجال قبل الظهر وللسيدات بعض الظهر وقد حول للرجال فقط منذ عام تقريبا . ويفتح ابوابه من الفجر حتى منتصف الليل . وهو يستعمل النشارة والفضلات وقودا ويستخدم مياه الفيجة للشرب وفيه ايضا بئر عليها محرك لضخ المياه التي تستهلك في استعمالات الحمام المختلفة .

. . .

١١ ــ حمام الملك الظاهر

وهو من الحمامات الدمشقية الشهيرة ، يقع في باب البريد جانب دار الكتب الظاهرية وقد ذكره ابن عساكر باسم حمـــام العقيقي، وابن شداد في

(الاعلاق الخطيرة) رقم / ٦٥/ ،والاربلي تحت رقم / ٥٦/ ،وابن عبدالهادي في (عدة الملمات) تحت رقم /٦٥/ . كما ذكره النعيمي الدمشقي في (الدارس) في معرض الحديث عن المدرسة الظاهرية الجوانية في الجزء الاول صفحة ٣٤٩ تحت رقم /٦٢/ ، وفي الجزء الثاني في معرض الحديث عن مساجد دمشق صفحة ٧٣٣، وجاء في الحاشية انه معروف اليوم بحمام الملك الظاهر بجوار المدرسة الظاهرية .

واعطاه ايكوشار وزميله في كتابها حمامات دمشق الرقم /٢٠/ وعده ايكوشار في جمـــلة حمامات ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي باسم حمام الملك الظاهر ، كذلك ذكره المنجد بنفس الاسم واعطاه الرقم /١٠/.

وينسب هذا الحمام الى احمد بن الحسين العقيقي احد اعلام الشيعة. وهو من انظف الحمامات الدمشقية الحالية واكثرها عناية وترتيباً . (صورةرقم ١)



الصورة رقم (١)

جانب من قبة حمام الملك الظاهر وتبدو فيها الزخارف والمناشف معلّقة

يتألف البراني من صحن رباعي الشكل محاط باقواس تستند عليها قبة دائرية نموذجية ، موشاة برسوم نباتية متنوعة ومناظر جميلة مختلفة ويحيط بهذه القبة اثنتا عشرة نافذة ، وهي تنتهي برقبة مضلعة ذات ثماني نوافذ . ويحيط بهذا البراني اربع مساطب انيقة حسنة الفرش ، والنظافة ، ويصعد من احداها الى سقايف تسمى القصر وهي (مشالح) مخصصة للزبائن الممتازين . وفي جانب من البراني يوجد تخت المعلم وهو مفروش بالسجاد والمساند الجميلة اما الوسط فتحتله بحرة جميلة . والارض مبلطة بالحجر الاسود والوردي .

ومن البراني ندخل الى الوسطاني الاول وهو يضم بحرة فسقية صغيرة ومراحيض ، ثم الى الوسطاني الثاني ويضم رشاشين (دشين) للماء الدافىء ومقصورة النورة .

اما الجواني او الحرارة فيضم ايوانين على طرفي ممر (بيت النار) بكل منهما جرن احدهما يسمى جرن الشيخ ، وليس لهذا الجرن ميزة تميزه على غرار ما رأينا في الحمامات السابقة فلا توقد له حاليا شمعة ولا سراج ذلك لان الحمام تحول الى حمام للرجال فقط فقلت العناية بهذا الجرن . وفي كل ايوان تتفرع مقصورتان ، ثلاث بكل منها جرن واحد والرابعة ذات جرنين . وهذا الحمام يفتح من الفجر حتى منتصف الليل للرجال فقط وهو يستعمل المازوت كمادة للوقود ويستعمل مياه الفيجة للشرب من الفيجة المجاورة له في الشارع . وفيه بئر خاصة عليها محرك وتستعمل مياهها حسب حاجات الحمام المختلفة . وقد ادى اغلاق وهدم حمام ملكة الى كثرة اقبال الزبائن عليه لنظافته .

. . .

١٢ ـ حمام سامي

وهو ايضا من الحمامات الدمشقية الشهيرة الا ان العناية فيه قليلة وقد

اهمل منذ مدة فاغلق ثم حول الى مصبغة ثم اعيد حماما منذ بضع سنوات .

وقد ذكره ايكوشار وعده في جملة حمامات ماقبل القرن الرابع عشر الميلادي اما المنجد فاغفل ذكره ، ويقع هذا الحمام في منطقة العمارة الجوانية جانب المدرسة البادرائية . وينسب الى اسامة الجبلي احد قواد صلاح الدين ، ويعرف بحمام سامة عند المؤلفين القدماء . وقد ذكره ابن شداد في (الاعلاق الخطيرة) تحت رقم / ٥٤ / ، كما ذكره الاربلي برقم /٥٢/ في زمرة الحمامات التي بداخل دمشق . وذكره ابن عبد الهادي في (عدة الملمات) برقم / ٥٤ / . وورد في (الدارس) للنعيمي الدمشقي في معرض الحديث عن الزاوية الطبية في الجزء الثاني صفحة ـ ٢٠٥ ـ رقم / ٢٢١ / حيث قال « انه قريب من دار بني القلانسي عند الرحبة التي يباع فيها الصناديق . وذكره ايكوشار باسم حمام سامي .

والبراني فيه بسيط وصغير ويأخذ شكلا مستطيلا فيه بحرة ، الاعتناء فيها شبه معدوم،وثمة مسطبة صغيرة بسيطة ايضا ودكة خاصة للمعلم كما يوجد فيه سقيفة صغيرة يسمونها القصر وهي للزبائن الممتازين وليس فيه قبة ولا رقبة بل سقف عادي مسطح .

والوسطاني صغير جدا تتصدره مسطبة ومقصورة للنورة على اليمين . اما الجواني فيتألف من ايوانين ، ايسر صغير فيه جرنان وايمن اكبر فيه ثلاثة اجران ويتفرع عن الايوان الايسر مقصورة ذات ثلاثة اجران وعن الايوان الايمن مقصورة صغيرة ذات جرن واحد ومقصورة الشيخ وفيها جرن الشيخ وجرن آخر . ثم مقصورة اخرى صغيرة للسكب(١) ذات جرن واحد .

والارض بصورة عامة مرقعة ببلاط عادي وبقايا رخامية مع بعض الحجر الوردي والاسود . اما الجدران فمن (الزريقة) العادية على شكل وزرة لعلو مترين ثم بعض المقرنصات الجصية . وهو يعمل للرجال قبل الظهر وللسيدات

---

(١) يستعملها الزبائن للتطهر من الجنابة .

بعد الظهر . ويستعمل مياه الفيجة للشرب والبئر لاستعمالات الحمام الاخرى ، كما يستعمل النشارة والفضلات والمواد السهلة الاشتعال لتسخين المياه .

. . .

١٣ ــ حمام القيمرية

ويقع في حي القيمرية زقاق الحمام ، ويقال له حمام نور الدين وقد ذكره الاربلي تحت رقم /٤٣/ وسمي بالقيمرية نسبة للمدرسة القيمرية لقربه منها وقد ذكره ايكوشار وعده في جملة حمامات القرن الرابع عشر الميلادي كما ذكره المنجد .

البراني فيه عادي جداً ، فلا قبة له ولا رقبة بل سطح مستو عادي . ويوجد فيه مسطبة وبحرة في الوسط وسدّة للمعلم .

اما الوسطاني ففيه مقصورة النورة على اليمين وجرنان عاديان . ومنه ندخل الى الجواني وفيه ايوانان يتوسطهما بيت النار فيهما اربعة اجران احدها جرن الشيخ ويقع عند مسطبة الخزانة ويسمى جرن الحرارة . كما يوجد في هذا الجواني مقصورتان واحدة ذات جرن واحد والاخرى فيها جرنان . بلاط هذا الحمام من الحجر الوردي والاسود مع بقايا من الرخام، اما الجدران فمبلطة لعلو مترين تقريبا ببلاط عادي في اعلاها تشاهد المقرنصات الجصية .

هذا الحمام يرتاده الرجال قبل الظهر والسيدات بعد الظهر حتى الغروب ، وهو يستعمل النشارة والمواد السريعة الاشتعال المختلفة الانواع والمصادر كوقود لتسخين المياه ويستعمل ماء الفيجة للشرب اما استعمالات الحمام المختلفة من المياه فحفر لها بئر خاصة كما يستفيد من مياه نهر بانياس احيانا .

. . .

١٤ ــ حمام البكري

يقع في جادة النحوى منطقة باب توما وقد ذكره ايكوشار في جملة حمامات القرن (١٦ ــ ١٧) الميلادي كما ذكره المنجد . يتألف البراني في هذا الحمام من صحن مربع تتوسطه بحرة مضلعة ثمانية الاضلاع من الحجر الوردي المزي الصقيل ، في وسطها بقايا كأس من الرخام ، ويحيط بهذه البحرة اطار مبلط من نفس الحجر بشكل مربع في كل من زواياه الاربع مثلثان متقابلان من الرخام المشقف ، اما بقية الارض فمبلطة بالرخام المكحل بالاسود ويحيط بالبراني اربعة اقواس يتفرع عنها ثلاثة اواوين بكل منها مسطبة ، وفي الايوان الغربي سلم يؤدي الى سقيفة تسمى القصر وهي فوق الايوان القبلي وفي الشرق قرب المدخل يوجد تخت المعلم .

وتنتهي جدران البراني في الاعلى بقبة مستديرة يحيط بها اربع نوافذ وفي اعلاها رقبة مسدودة (ملغاة) . ومن البراني نمر بمجاز ببلاطه مكسر فيه بقايا حجر اسود ووردي ، يضم بحرة الى اليسار ومرحاضاً الى اليمين ثم نمر بوسطاني فيه بيت النار على طرفه الايمن مسطبة وعلى طرفه الايسر ايوان انيق مبلط بالرخام الكبير المكحل بالاسود ويحيط بالرخام درب من بلاط الحجر الوردي وفيه ايضاً جرنان وحوض مياه (بانيو) وعلى اليسار ايضاً تقع مقصورة النورة وهي ذات جرن واحد وبعدها مقصورة صغيرة ذات جرن واحد ايضاً وهي مبلطة بالرخام المكحل . اما الجواني فيمر منه بيت النار . وفي صدر بيت النار مسطبة الخزانة ويتوسطها جرن الحرارة والى اليسار ممشى يتفرع عنه مقصورة بجرنين وعلى اليمين ايوان فيه جرنان في صدره مقصورة ذات ثلاثة اجران والارض في الوسطاني والجواني كلها رخامي مع دروب من الحجر المزي .

اما الجدران فمبلطة لعلو مترين ببلاط عادي . ويلاحظ انه لا يوجد فيه جرن للشيخ لوقوعه في حي مسيحي . وهذا الحمام يفتح ابوابه للرجال قبل الظهر

وللسيدات بعد الظهر ، ويوقد النشارة والمواد المشتعلة الاخرى كسائر الحمامات..
اما مياهه فمن بئر خاصة لاستعمالات الحمام المختلفة ومن مياه الفيجة للشرب . وقد
كان لهذا الحمام حاصل (مستودع) لتخزين المياه الخاصة باستعمالاتـه يكفي
حاجات الحمام ثلاثة ايام اذا انقطع النهر عنه لسبب ما يوم كان الحمام يستعمل
مياه الانهار ، اما اليوم فقد حول هذا الحاصل الى دار للسكن . وقد ادى اغلاق
حمام المسك الى (ركوب) اقبال الزبائن على هذا الحمام .

. . .

١٥ ـ حمام النوفرة

ويقع عند اسفل درج الباب الشرقي للمسجد الاموي عند بحرة تسمى
بحرة النوفرة . ويعرف قـديماً بحمام (درب العجم الكبير) وقد ذكره ابن
شداد في (الاعلاق الخطيرة) باسم حمام درب العجم الكبير تحت رقم / ٥٢ / ،
وكذلك الاربلي تحت رقم / ٤٧ / في زمرة الحمامات التي داخل دمشق . وابن
عبد الهادي في (عدة الملمات) تحت الرقم الثاني والخمسين. كما ذكره ايكوشار
اما المنجد فلم يذكره ...
وقد كان لهذا الحمام اهميـة كبيرة لموقعه عند احد ابواب مسجد دمشق
الكبير . حتى ان احد المشتغلين بمهنة التحميم حدثني انه كان لهذا الحـمام ثلاث
صبحيات الاولى قبل الفجر حيث يأتي المؤذنون لاسقاط الجنابة ، والثانية لمصلي
الصلاة الاولى للفجر والثالثة قبيل الشمس لمن لايريد ان تذهب عليه صلاة الفجر .
وقد ساعد على ذلك كون الحمام لايغلق بسبب المياه لان له حقين للمياه الاول من
نهر بانياس والثاني من نهر القنوات ، فاذا انقطعت الميـاه عن نهر ما بسبب
الكري فانها تبقى من النهر الاخر وبالتالي لايغلق الحمام .. ثم قل الاعتماد على مياه

الانهار وبعدها منعت امانة العاصمة استعمالها ، الا انه لايزال يستعملها الى جانب
مياه الفيجة للشرب ، وقل شأنه مع اتساع المدينة وانتشار الحمامات العامة اولا ،
ومن ثم انتشار حمامات الدور ثانيا ، وزاد في ذلك تعهده من قبل أناس اهملوا
ترميمه والاعتناء به وبزبائنه فقل الاقبال عليه ، ولولا قدور الفول التي يسلقها في
(القميم) لكان من الحمامات المغلقة منذ زمن بعيد .

والبراني فيه عبارة عن صحن رباعي الشكل فيه مساطب ضيقة . امـا
الجدران فعادية علق عليها بعض رسوم العـاب السيف والترس كما علق السجاد
والمرايا ، والسقف مستو . ويتوسط هذا البراني بحرة من الحجر الوردي وفي جانب
منه يوجد تخت للمعلم .

في هذا الحمام وسطاني اول يضم مراحيض ومسطبه ، ووسطاني ثاني فيه
مقصورة النورة ويمر من وسطه (بيت النار) . اما الحرارة (الجواني) ففيـه
ايوانان واربعة اجران بكل ايوان جرنان وفيه ايضا ثلاث مقاصير واحدة بجرنين
واثنتان بكل منها جرن واحد ، احداهما مقصورة الشيخ وفيها جرن الشيـخ .
وينسب الى سيدنا يحيى وقد كان لسيدنا يحيى بشكير (منشفة خاصة) وقبقاب
يترك امام الجرن (ليلة الاثنين والجمعة) ، كما كانوا يوقدون له الشموع والسرج
الا ان الاهتمام فيه انعدم .

وبلاط هذا الحمام بصورة عامة من الحجر الاسود والوردي مع بقايا الرخام ،
ورقع من البلاط العادي . ويوقد هذا الحمام الفضلات والمواد السهلة الاشتعال ولا
سيما فضلات سوق الحميدية ، وبعض النشارة وبقايا الجوز والذرة ...
وهو يستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

. . .

١٦ ـ حمام السلسلة

يقع في منطقة الكلاسة قرب الباب الشمالي للجـامع الاموي ، المسمى بباب الناطفيين اذا ذكره ابن عساكر باسم حمام باب الناطفيين ، ويعرف بالمؤيد وقد ذكره ابن شداد بهذا الاسم تحت رقم /٥٧/ في (الاعـلاق الخطيرة) . وكذلك الاربلي بنفس الاسم وبالرقم /٥٠/ وذكره ابن عبد الهادي في (عـدة الملمات) ايضا بنفس الاسم تحت رقم /٥٧/ . وذكره ايكوشار باسم حمام السلسلة وعدّه في جملة حمامات مـاقبل القرن الرابع عشر الميلادي كما ذكره المنجد بنفس الاسم .

ولعل سبب تسميته بهذا الاسم (السلسلة) مايتناقله الدماشقة من انه كان بباب الحمام قنطرة تتدلى منها سلسلة يقسم عليها القوم اذا اختلفوا في امر . فان كان القسم صدقا بقيت السلسلة على حالها ، وان كان كذبا ارتفعت. وذات مرة اختلف اثنان على دين لاحدهما فادعى المدين انه دفع ماعليه ، فاحتكما الى السلسلة التي بباب الحمام فما كان من المدين الا ان وضع ما عليه من دين في عصا محفورة واغلقها دون علم صاحبه. وما انوصلا الى السلسلة ودنا المدين يقسم حتى ناول غريمه العصا واقسم انه سلمه ماله في ذمته يدا بيد ، ثم استرد العصا فارتفعت السلسلة ولم تعد تنزل .

وقد كان لهذا الحمام نفس اهمية حمام درب العجم الكبير (النوفرة) وكان يتزود بحقين للمياه من نهر بانياس ونهر القنوات ، الا ان حظه من العناية كان اكبر لذا نراه محافظا على رونقه وبهائه ، ويعتبر من احسن وانظف الحمامات الدمشقية الحالية حتى لكأنه متحف جمع اجمل مافي حمامات دمشق من اجران رخامية انيقة واجران وردية ذات نقوش عربية وورود نافرة ، الى ارضية من

الرخام النادر. والنظافة فيه تامة حتى ان احد العاملين بالحمامات حدثني ان الانسان يتمنى ان يلحسه (يلعقه) بلسانه لنظافته .

البراني فيه صحن يضم ثلاث مساطب تنتظم ثلاثة جدران وتخت للمعلم بين المدخل الخارجي والمـدخل الى الوسطاني وهو دكة جميلة مفروشة بالسجاد والارائك ، كما يوجد تخت خاص بالعدة (المناشف) وبالاضافة الى ذلك يوجد في الجدران خزائن لحفظ العـدة على شكل (بقج) صرت فيها المناشف . وفيه جناحان من البلور يسمى الواحد منها بالقصر وهما للزبائن الممتازين . وفي وسط البراني بحرة لم ارى مثلها في حمامات دمشق وقد جمعت على طريقة الرخام المشقف الملون بشكل حشوات تملأ اضلاع هذه البحرة باشكال هندسية وخيوط عربية بديعة فريدة . اما الارض فمبلطة بالرخام ودروب الحجر الوردي . والجدران مزينة بالرسوم والسجاد ، والسقف لاينتهي بقبة بل برقبة على شكل منور يستند على قوسين يحيط بـه ثماني نوافذ كبيرة زجاجها ملون بالاحمر والاصفر والازرق والابيض .

الوسطاني : قسمان أول : ويضم بحرة صغيرة ومراحيض. وثان : يضم مقصورة النورة ومسطبة وهذا الوسطاني مبلط بالرخام وجدرانه مبلطة بالبورسلان لعلو المترين .

أما الجواني فيضم ايوانا على اليمين فيه جـرن ومقصورة ذات جرن واحد ومقصورتان متداخلتان الخارجية ذات ثلاثة اجران والداخلية ذات جرنين. وارض هـذا الجواني جميعها مبلطة بالرخام مع خيط عربي اسود يكحلها. والجدران مبلطة بالبورسلان .

وهذا الحمام يستخدم المازوت لتسخين المياه . اما مياهه فمن بئر لاستعمالات الحمام ، وفيجة للشرب . وهو يستقبل الرجـال فقط ويفتح من الفجر حتى منتصف الليل .

١٧ ــ حمام الحدادين

ويسمى حاليا حمام الدرويشية . لوقوعه في منطقة الدرويشية قريبا من مسجد درويش باشا . وقد ذكره ايكوشار ولم يذكره المنجد . وهو حمام بسيط جدا ليس فيه مايجلب النظر فالقبة معدومة في البراني وكذلك لايوجد منور ولا رقبة ، بل باحة مسقوفة مبلطة تتوسطها بحرة . وفي اطرافه عدة مساطب تستعمل (مشالح) للزبائن ، ودكة صغيرة يجلس عليها المعلم ، ارض هذا الحمام مبلطة بالحجر الاسود والوردي وفيه وسطاني واحد يضم مرحاضا ومسطبة صغيرة كما يضم مقصورة النورة . اما الجواني فيضم ايوانين يتوسطهما بيت النار بكل ايوان جرن واحد ، ومقصورة ذات ثلاثة اجران ، وبذلك يصبح مجموع الاجران ثمانية . ويلاحظ انه لايوجد فيه جرن للشيخ .

وهذا الحمام يستقبل الرجال فقط ويفتح ابوابه من الفجر حتى منتصف الليل وهو يوقد النشارة وقشر الجوز والاوراق والفضلات الممكنة الاشتعال . ويستمد مياهه من بئر محفورة فيه ، كما يستخدم مياه الفيجة للشرب .

. . .

١٨ ــ حمام الجديد (قماحين)

عندما اغلق حمام ملكة ابوابه اعلن اصحابه انه انتقل الى حمام الجديد في مدخل باب سريجة ـ قماحين ـ ، املاً منهم ان يحتل نفس مكانة حمام ملكة من حيث الاقبال الا انه ليس في درجة يمكن ان نقارنه فيها مع حمام ملكة لا من حيث جمال البناء وريازته واتساعه ولا من حيث موقعه لذا لم يوفق اصحابه الى مارموا اليه . وان وفقوا الى حدما من حيث النظافة .

وقد ذكره ايكوشار برقم / ٤ / واغفل ذكره المنجد . يتألف البراني من صحن رباعي تتوسطه بحرة مضلعة من الحجر المزي ، والارض مبلطة بالحجر الوردي والاسود . وتحيط به خمس مساطب اثنتان منها كبيرتان والجدران تنتهي بقبة تستند على اقواس وهذه القبة ذات اربع نوافذ كما انها تنتهي برقبة .

والوسطاني يتألف من جزأين : الاول يضم المراحيض وبحرة صغيرة والثاني يتوسطه بيت النار ويوجـــد على طرفيه ايوانان في الاول منهما جرنان وفي الثاني جرن واحد . كما يوجد فيه مقصورة النورة . اما الجواني (الحرارة) ففيه ايضاً ايوانان بكل منهما ثلاثة اجران واربع مقاصير بكل منها جرن واحد .

ويستقبل هـــذا الحمام الرجال فقط من الفجر حتى منتصف الليل .
ويستعمل الوقود العادي كغيره من الحمامات كما انه يعتمد على مياه البئر المحفورة فيه في الاستعمالات المختلفة ويستعمل مياه الفيجة للشرب . ويلاحظ انه لايوجد فيه جرن للشيخ .

. . .

١٩ ــ حمام الناصري

يقع في حي الشاغور زقاق الناصري ويعرف بحمام ناصري الجورة تمييزاً له عن حمام ناصري المرجة الذي خرب وشيد مكانه بناء حديث ، وقد ذكره ايكوشار ولم يشر اليه المنجد . يستدل على الحمام بواسطة لافتات باللغتين العربية والايرانية تشير الى انه الحمام المشهور بالنظافة . وهذا الحمام يدخل اليــه من دخلة ضيقة بطول اربعة امتار تقريباً حيث نجد البراني عبارة عن صحن يتوسطه بحرة من الحجر المزي في وسطها كأس من نفس الحجر صفت على اطرافها أصص النباتات وصناديق

(الكازوز) ويحيط بالبحرة بلاط من الرخام الابيض المكحل بالاسود،وماتبقى من ارض البراني مبلط بالحجر الاسود والوردي .

والى جانب الجدار الغربي مسطبة يصعد اليها بدرجتين والى جانبها تحت المعلم وفي الشمال مسطبة صغيرة امامها تحت العدة وخزائنها و كذلك يوجد في الشرق والجنوب مسطبة صغيرة .

أما الجدران فمزينة بالسجاد والصور والمرايا وخزائن العدة.أما السقف فخشبي أفقي مستو ويستندعلى قوسين مما يجعله مقسوماً الى ثلاثة أقسام في كل قسم منور صغير على شكل رقبة صغيرة بطول (١٫٥) م وعرض (١٫٥) تقريباً وتحيط بها النوافذ من اربع جهات .

ومن جانب الجدار الجنوبي ندخل الى الوسطاني الاول وهو عبارة عن صالون مستطيل فوقه قبة والى اليسار منه بحرة ملصوقة بالجدار لغسل العدة (المناشف ..) والى اليسار منها شيّد مؤخرا جدار بعلو مترين تقريباً فشكل مكاناً للنورة وفيها جرن ورشاش (دوش) .

ارض هذا الوسطاني مبلطة بالرخام ، لكن معظمه مكسر .

أما الوسطاني الثاني فيضم مسطبتين في اليمين واليسار وارضه مبلطة بالرخام ومعظمه مكسر اما الجدران فترشح منها المياه وهي بالاجمال غير نظيفة شأنها شأن جميع جدران الحمام ، وقد قيل لي انها في طريقها للاصلاح . وفي طرف هذا الوسطاني يمر بيت النار اما السقف فيشكل قبة جميلةجدا تنتهي بقرنصات .

والجواني عبارة عن باحة كبيرة ذات اقواس تلتقي فتستند على دعائم وفوق الاقواس ثلاث قباب اكبرها الوسطى وتحت نهايتها اليسرى قوس تستند عليه قبة صغيرة مستديرة مما يشكل شبه ايوان صغير يضم جرنا واحداً والى اليسار من هذا الايوان باب صغير يؤدي الى مقصورة ذات جرنين أرضها مبلطة

برخام يحيط بـه خيط من الرخام الاسود وفي الجدران بقايا رسوم جصية نافرة طمست معالمها خلال عمليات ترميم الحمام واصلاحه .

كما يوجد تحت نهاية القبة الوسطى اليمنى قوس تستند عليه ايضا قبة صغيرة مستديرة فتشكل جناحاً اشبه بالايوان ويوجد فيه جرنان من الموزاييك المحلي والارض مبلطة برخام مكسر معظمه شأن سائر بلاط الحمام . وتحت القبة الكبرى المذكورة يمر بيت النار . ولكنه لايمر من الوسط تماماً بل ينحرف الى اليمين وفي نهايته مسطبة الحرارة حيث يفصل بينها وبين القباب الثلاث المذكورة قوس يستند على دعائم وما وراءه يسمى بالايوان والى جانب مسطبة الحرارة الايسر جرن من الحجر المزي والى اليمين منها مقصورة تسمى (الصغيرة) وهي ذات جرن واحد . اما الى اليسار فيوجد مقصورة الشيخ الناصري ، وهي ذات جرن واحد لاتزال الشموع توقد له ».

يعمل هذا الحمام معتمداً على مياه البئر المحفورة فيه ومياه الفيجة للشرب. وهو يستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات بعد الظهر حتى الغروب. أما الوقود فمن النشارة والورق وما شابه ..

. . .

٢٠ ــ حمام عز الدين

يقع في جادة (باب السريجة) وقد ذكره ايكوشار ولم يذكره المنجد. وبابه على الجادة ويدخل اليه من دهليز طويل يؤدي الى البراني وسبب ذلك اقتطاع قسم من البراني وتحويله الى داري سكن . وفي هذا البراني بحرة كبيرة في الوسط ، ومساطب على الجوانب .. وفيه وسطاني خارجي يضم مراحيض ووسطاني ثان أدفأ فيه مسطبة ومقصورة النورة . اما الجواني فيضم خمس مقاصير

وايوانين يتوزع فيها ستة عشر جرناً . وينسبون جرن الشيخ الى الشيخ عز الدين المدفون في المسجد المجاور ولا يزال هنالك مكان خاص لوضع الشمع الذي يقدم لهذا الجرن على شكل نذور ..

ويعتمد هذا الحمام على بئر موجودة فيه لاستعمالاته المختلفة ومياه الفيجة للشرب . وهو يفتح من الفجر للظهر لاستقبال الرجال ومن الظهر لغروب الشمس لاستقبال السيدات وحتى منتصف الليل لاستقبال الرجال .

وهو يستخدم النشارة والفضلات والاوراق .. كمادة للوقود كما أنه يشتهر بسلق الفول ويضمنه للقميمي ضماناً حيث أن القميمي يدفع كل يوم من ايام الشتاء لصاحب الحمام في حدود سبع ليرات مقابل سلق الفول ولا يأخذ اجرة لان مردود الفول قد يصل الى خمس وعشرين ليرة سورية في اليوم وهذا يتطلب صرف (طنبر) من الوقود زيادة عن معدل الحمام العادي لان الفول يتطلب سحب الجمر من تحت حلل الماء كي تغمر به قدور الفول .

• • •

٢١ ـ حمام الصفي

وهو من الحمامات الدمشقية الشهيرة . فقد ذكره ابن عساكر باسم حمام خلف سويقة الباب الصغير ، وذكره ابن شداد باسم حمام الصفي بالزلاقة برقم /١٨/ وورد عنده ايضاً اسم حمام الزلاقة تحت رقم /٣١/ وحمام الصوفي برقم /٣٥/ وايضاً حمام الصوفي برقم /٤٧/ وربما يكون المقصود واحداً . اما الاربلي فقال حمام الصفي بالرقم /١٠/ وكرره بالرقم /٢٨/ وربما هو المقصود بالرقم /٣٦/ ولكنه اورده باسم الصوفي . اما ابن عبد الهادي فقد عدد كل ما ذكره ابن شداد والاربلي بهذا المعنى فقال : حمام الزلاقة

جانب الرقم الحادي والثلاثين عن ابن شداد وفعلا ذكره ابن شداد بالرقم /٣١/ ، وقال حمام الصوفي جانب الرقم الخامس والثلاثين وقد ذكره ابن شداد بالرقم /٣٥/ والاربلي بالرقم /٣٦/ ، وقال ايضاً حمام الصوفي جانب الرقم السابع والاربعين وقد ذكره ابن شداد بالرقم /٤٧/ وقال حمام الصفي بالزلاقة جانب الرقم الحادي والسبعين وقد اخذه عن ابن شداد الذي ذكره بالرقم /١٨/ .

وهذا ما يوحي الى ان ابن عبد الهادي لم يتحقق من وجود الحمامات التي عددها في زمانه ... وقد ورد في حاشية الاربلي المطبوع (١) انه نسبة الى الصفي بن تنكز وزير العادل وكانت داره قرب حمامه بالزلاقة . والزلاقة هي طريق شمال الباب الصغير . او ما يسمى بنهاية شارع حسن الخراط اليوم الممتد بين البزورية والباب الصغير (٢) . وقد ذكره ايكوشار وعده في جملة حمامات ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي كما ذكره المنجد .

البراني يتألف من صحن يحيط به اربعة اقواس . القوس الشرقية منها عند المدخل وتحته مسطبة مقسومة الى جناحين بسبب الممر الى البراني المبلط بالرخام . وهما الان مهملان فارغان لانها سيهدمان بسبب تنفيذ شق تتمة شارع حسن الخراط في المستقبل القريب . وتحت القوس الغربية ايوان يرقى اليه بدرجتين على اطرافه المساطب ، وتحت القوس الجنوبية مسطبة صغيرة يرقى اليها بدرجتين ايضاً اما تحت القوس الشمالية فيوجد ايوان يصعد اليه بدرجتين على

---

(١) تحقيق محمد احمد دهمان .

(٢) افادنا الاستاذ عبد القادر الريحاوي المفتش الاول لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف في القطر العربي السوري، انه نسبة الى الصفي بن القابض نائب صلاح الدين على دمشق ، وهناك الصفي بن شكر وزير الملك العادل اخو صلاح الدين . وعلى هذا يرجح ان يكون هذا الحمام من العصر الايوبي ... باعتبار ان ابن القابض وابن شكر عاشا في العصر الايوبي ...

جانب من امامه تخت المعلم وبالقرب منه تخت العدة وخلف تخت العدة خزائن العدة . اما الجدران فمزينة بالسجاد والمرايا وبعض الصور .. والسقف طوان(١) في بعض اقسامه وخشبي فوق الايوان الشرقي ، ومكان القبة انشيء سقف على شكل سفحين متلاقيين من التوتياء ويتخلل ذلك عدة نوافذ ...

والارض مبلطة بالرخام الابيض الجميل المكحل بالاسود . وفي الوسط بحرة ثمانية الاضلاع من الحجر المزي وفي كل ضلع حشوة رخامية محاطة بالميل الاسود وفي وسطها كأس من الحجر الوردي . والارض بجوار مصاعد المسطبتين والايوانين مبلطة بالحجر الوردي والاسود . والمدخل المعدى الى الوسطاني عبارة عن ممر مبلط بالحجر الاسود والوردي على شكل دروب متتالية الى اليسار منه مراحيض وبحرة صغيرة والجدران مبلطة بوزرة من البلاط العادي .

اما الوسطاني فعبارة عن باحة مسقوفة بالاسمنت المسلح وقد فتح في السقف قمريات عديدة وعلى اطرافه ثلاث مساطب الواحدة منها مبلطة بالرخام الذي انتزع من الارض قبل انشائها .. والارض مبلطة بالرخام المكحل بالاسود ثم بالاحمر الاجري وعلى الاطراف دروب من الحجر الاسود والوردي .

الجدران لاتزال فيها آثار رسوم جصية نافرة طمست معالمها خلال عمليات اصلاح الحمام وهذه الجدران ايضا مبلطة بوزرة من البلاط العادي وفي اخر الجانب الايمن تقوم بحرة عند التقاء المسطبتين . والجواني يقسم الى قسمين يتقدم القسم الاول داور صغير الارض فيه مبلطة عند فحل(٢) الحمام بالرخام وهي مبلطة في جوار الجدران بدروب من الحجر الوردي والاسود وفوقه قبة صغيرة والى اليمين مقصورة النورة .. ويواجهها قوس يؤدي الى القسم الاول من الحرارة (الجواني) ويتوسطه بيت النار الى اليمين منه مسطبه ثم جناح له قبة خاصة تحتها جرن وردي

---

(١) خشبي مبطن بقماش مشدود ...

(٢) المدخنة العامة .

هو جرن الشيخ ، اما الارض فمبلطة بالرخام المكحل بالوردي . والى اليسار من بيت النار كذلك مسطبة ثم جناح له قبة خاصة تحتها جرن وردي والارض هنا مبلطة بالرخام .. وفوق (بيت النار) قبة كبيرة يفصلها عن قبتي اليمين واليسار قوسان يستندان على دعائم والجدران كلها مبلطة بوزرة بلاط عادي في اعلاها اشكال جصية نافرة غير واضحة المعالم .

وينفصل هذا القسم عن القسم الثاني بجدار فيه باب يؤدي الى القسم الثاني وهو عبارة عن قبة مستطيلة تستند على اقواس مخفية بالجدران ويقسمها (بيت النار) الى قسمين أيسر فيه مسطبة خلف الباب وثلاثة اجران ، والارض هنا في جوار بيت النار مبلطة بالحجر الاسود والمزي ، وفي الصدر مبلطة بالرخام على شكل حشوة في الوسط يحيط بها اطار من الحجر الاسود والمزي . والقسم الايمن فيه جرنان ومسطبة والارض مبلطة بالحجر الاسود والمزي ومن الداخل مقصورة جدرانها مبلطة بالبلاط العادي حتى ارتفاع مترين تقريباً ولها قبة خاصة . وفيها جرنان احدهما رخامي جميل جداً وهو كالكأس مثقوب من اسفله ومن الخارج مزين بنقوش وازهار نافرة . وارض هذه المقصورة مبلطة بالرخام المكحل بالاحمر ويلاحظ ان هذا الحمام كثير المساطب ولا سيما في قسمي الحرارة .

وهو يستقبل الرجال في الصباح والسيدات بعد الظهر ، ويتمون بالمياه من بئر خاصة اما مياه الفيجة فللشرب . واما الوقود فمن النشارة وماشابه ...

• • •

٢٢ ـــ حمام السروجي

يقع في حي الشاغور في الطريق الواصلة بين المصلبة والمزاز جادة تحت الحمام وهو من الحمامات الاثرية المسجلة لدى المديرية العامة للاثار والمتاحف تحت

رقم س ١ ف ٢ /٣٢٦/ وعلى بابه لافتة ذكر فيها انه من القرن السادس الهجري وقد ذكره ايكوشار وصنفه في مجموعة الحمامات التي تعود الى ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي كما ذكره المنجد ايضا . ولم نعثر على ذكر هـذا الحمام فيما عدده القدماء ولربما كان له اسم غير هذا الاسم ، وهو معروف بقدمه حتى ان احد القائمين عليه حدثني انه الى اليوم يتناقل في حي الشاغور ان ابا علي الشاغوري كان يأتي بالمماليك ليغسلهم فيه .

يشكل البراني صحنا مربعا كان له قبة ، اما الان فلا وجود لها والسقف افقي مغطى بالخشب تارة وبالتوتياء تارة اخرى ، وهذا السقف يستند على ثلاثة اقواس ، وبين القوس الاخير والذي يسبقه منور مسقوف بالتوتياء تحيط به نوافذ بعضها مغلق بصفائح التوتياء .

وفي صدر البراني ايوان يفصله القوس الاخير عما يجاوره وهو يستخدم كمسطبة لخلـع الثياب . كذلك يوجد مسطبة اخرى عند الباب وفي الشمال والجنوب يوجد مسطبتان صغيرتان .

اما الارض فمبلطة بالبلاط العادي وهي بلون وردي وفي الوسط بحرة من الحجر المزي الوردي يتوسطها كأس رخامي وقد وضع على اطرافها اقفاص العصافير وصناديق (الكازوز) وعلى طرفي البحرة الشرقي والغربي بلطت الارض بدربين من الرخام في وسط كل منها تشكيلة من الرخام المشقف .

والجدران مبلطة حتى علو يقرب من ثلاثة امتار وهي مزينة في الاعلى بالسجاد والمناظر المحلية كما صف بحذاء الجدران بعض خزائن العدة نضدت فيها المناشف على شكل (بقج) .

ثم ندخل الى الوسطاني الاول وهنا يظهر ان يد الانسان المعاصر ادخلت بعض التعديل عليه فقسمته الى قسمين الاول يضم بحرة من الحجر المزي والاسود ومراحيض اما

الجدران فمزينة بنقوش جصية نافرة على شكل تزيينات نباتية لاتزال بقاياها ماثلة حتى الان . لذا منعت المديرية العامة للاثار والمتاحف الاستمرار في تشويه هـذه الرسوم والنقوش لجمالها وقيمتها الاثرية . وقد سمحت مؤخرا بتبليط اسفلها باللون الوردي .

اما القسم الثاني فيضم مسطبة وجـداراً يحجز وراءه مقصورة النورة والارض هنا مبلطة بالحجر الاسود والوردي بشكل عفوي غير منتظم ولعل ذلك ناشيء عن عمليات اصلاح ارض الحمام وعدم اعادة بلاطها كما كانت .

الوسطاني الثاني : ويشكل ايوانين يتوسطهما (بيت النـار) وفي صدره بقايا كتابة قديمة مطموسة ربما كانت تدل على تاريخ بناء الحمام . والايوان الايسر مقسوم بقنطرة الى قسمين القسم الجنوبي ويضم جرنين ، والجدران فيه مزخرفة بنقوش جصية نافرة على شكل زهرية تنبثق منها عروق نباتية واشكال تجريدية وفوق هذا القسم قبة جميـلة مزخرفة ذات مقرنصات . والقسم الثاني ايضا يضم جرنين والجدران مزينة بالزخارف التي شاهـدناها في القسم الجنوبي السابق . اما لارض فمبلطة بتشكيلة من الرخام المشقف في الوسط يحيط بها بلاطات من الحجر الوردي والاسود . اما الايوان الايمن فهو نظير الايوان الايسر الا ان الرخـام فيه عبارة عن بلاطـة مستديرة .. يشكل هـذا الوسطاني ثلاث قباب ، قبة كبيرة فوق بيت النار وقبة صغـيرة فوق كل من الايوانين الايمن والايسر .

الجواني : ويشكل ايضا ثلاث قباب يتوسط القبة الكبرى الوسطى بيت النار وعلى طرفيه ايوان أيمن وايوان أيسر فوق كل منهما قبة وهذه القباب تستند على اقواس او قناطر تسهل الاتصال والانتقال بينها ، وهذه الاقواس تستند على دعائم .. وفي الايوان الايمن جرنان احدهما جرن الشيخ وهو ينسب الى الشيخ

احمد السروجي (بطاح الجمل) ولهذا الجرن حرمة خاصة في هذا الحمام اذ لاتزال السيدات تقدمن له النذور وتوقدن الشموع .. اما الايوان الايسر فيتفرع عنه مقصورة ذات جرنين ارضها مبلطة بالحجر الاسود والوردي . وفي صـدر بيت النار مسطبة الحرارة يظللها قوس في أعلى قفلته رسم بشكل أفقي يضم تزيينات نباتية جميلة جداً وهي أوضح التزيينات النباتية الجصية في هذا الحمام .

وهذا الحمام يستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات بعد الظهر وله (قميم) كبير يدخل اليه من الجانب الاخر من الجادة او مايسمى بجادة تحت الحمام ، واذكر ان هذا القميم انهار جداره ذات مرة فوق احد ابناء القميمي فأرداه قتيلا يوم كان يستعمل الوقود (الحمارى) [١] .. امـا اليوم فيستعمل النشارة والمواد الاخرى كغيره من الحمامات .

وفي هذا الحمام بئر لتموينه بالمياه وعداد لمياه الفيجة المخصصة للشرب .

. . .

٢٣ ــ حمام التوريزي

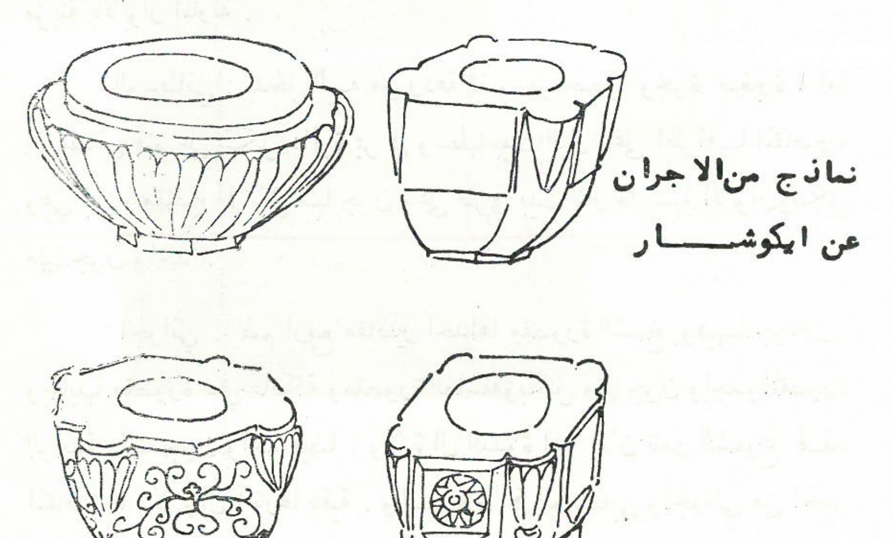
ورد في (الدارس) للنعيمي الدمشقي انه « في سنة ثمـان واربعين وثمانمائة في شهر ربيع الاول فتح حمام الاميرغرز الدين خليل التوريزي شرقي مدرسته وهو حمام كبير حسن ، واجر كل يوم باكثر من اربعين درهما [٢] » . وعلى هـذا لا نستطيع ان نعتبره ذلك الذي ذكره ابن شداد بالرقم /٤٢/ باسم حمام الغرز خليل والاربلي بالرقم /٢١/ باسم حمـام الغرز ، ولاماذكره ابن عبد الهادي في (عدة الملمات) لانه وان عاصر النعيمي الدمشقي فانه لم يذكر الحمامات في عصره

(١) المؤلف من روث الحيوانات ...

(٢) – وذلك في الجزء الثاني صفحة (٢٤٠) رقم – ٢٥٤ –

بل ذكر ما عدده ابن شداد والاربلي كما رأينا ... وكل من ابن شداد والاربلي توفي قبل التاريخ الذي ذكره النعيمي . أما ايكوشار فيجعله في زمرة حمامات القرن الخامس عشر الميلادي (١٤٤٤) ، وهو تاريخ قريب من التاريخ الذي حدده النعيمي الدمشقي ٨٤٨ هـ .

وقد اعتبرت المديرية العامة للاثار والمتاحف هذا الحمام في جملة الحمامات الاثرية المسجلة تحت رقم س ١/١ ووضعت على بابه لافتة رخامية كتب عليها : حمام التيروزي ٨٤٨ هـ بناه الاميرخليل التيروزي حاجب الحجاب .(رسم رقم ١)



الرسم رقم (١)

البراني : صحن مربع يحيط به اربعة اقواس تلتقي على دعائم وتحت كل من القوس الجنوبي والشمالي مسطبة صغيرة يرقى اليها بثلاث درجات . أما تحت كل من القوس الشرقي والغربي فيوجد ايوان يصعد اليه بثلاث درجات ايضاً .

وعلى اطراف هذين الايوانين نصبت المصاطب المفروشة بالسجاد والمناشف . وعلى هذه الاقواس الاربعة تستند قبة مستديرة تبدأ بسوار يحيط بها ثماني نوافذ تأتي بعدها القبة التي تنتهي برقبة لها ثماني اضلاع بكل منها نافذة اما سقف الرقبة فخشبي .

والجدران مزينة بالسجاد والمرايا المصدفة وصورة لسلاطين بني عثمان وآيات قرآنية وحـكم .. اما الارض فمبلطة بالحجر الاسود والوردي المزي بتشكيلات بديعة . وفي الوسط بحرة من الحجر الوردي يتوسطها كأس وردية ايضاً وعلى جوانبها صفت اصص النباتات بينما يتدلى عليها من السقف نباتات في اصص مزينة بالانوار الملونة .

الوسطاني : يدخل اليـه من ردهة تضم مراحيض وبحرة صغيرة ، اما الوسطاني فهو على شكل دائرة يمر في وسطها بيت النار وعلى اطرافهـا المقاصير ، وهي اربع مقاصير في كل منها جرن وعلى طرفي بيت النار ما يشبه الايوان وبكل منها جرن واحد .

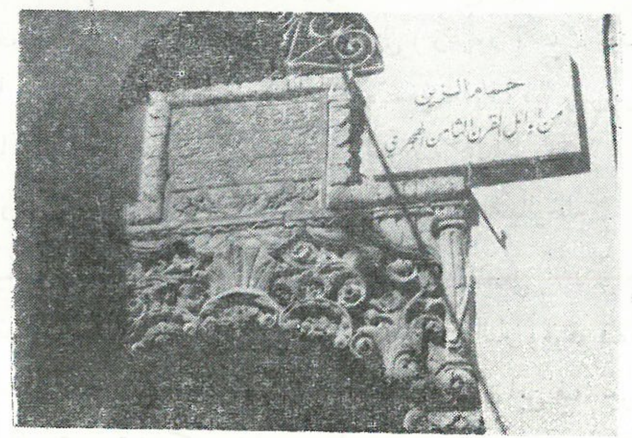
الجواني : يضم اربع مقاصير احداها مقصورة الشيخ وفيهـا جرنان ويقابلها مقصورة ستي عاتكة ومقصورة العاشقة وبكل منها جرن واحد والمقصورة الرابعة ذات جرن واحد ايضا . ولا تزال النسوة الى الان تنذر الشموع لهـذه المقاصير ، ولا تزال آثارها باقية . والبـلاط في الوسطاني والجواني من الحجر الاسود والوردي أمـا الجدران فمبلطة (بزريقة) حمراء على شكل وزرة في أعلاها مقرنصات كما توجد تلك المقرنصات في عقود الابواب وزوايا الجدران .
وهذا الحمام يستقبل الرجال حتى الظهر والسيدات من الظهر حتى العشاء وهو يستخدم النشارة والفضلات مادة للوقود وقد كان يستخدم المازوت الا انه استغنى عنه .
وهو يعتمد على مياه نهري بانياس وقنوات من جهة وعلى مياه بئر حفرت فيه كما يستخدم مياه الفيجة للشرب .

ويلاحظ ان مدخنة هذا الحمام اوطأ من الدور التي تحيط به حتى انها اوطأ من قبة البراني نفسه وهذا مما يزعج سكان الحي ويشحن الهواء ببقايا الاحتراق والدخان ..

. . .

٢٤ ـ حمام الزين

يقع في السويقة ـ قصر الحجاج جانب دار القضماني صورة رقم (٢) وقد



الصورة رقم (٢)
مدخل حمـام الزين

عـده ايكوشار في زمرة حمـامات القرن الرابـع عشر (١٣٤٨) م وعلى بابه قطعة رخامية وضعتها المديرية العامة للاثار والمتاحف تقول انه من حمامات القرن الثامن الهجري . واعتبرته اثريا وسجلته بالرقم س١/٢٠٠ كما ذكره المنجد.
وعلى مدخله لوحة ذكر فيها انه رمم في رجب عام ١٢٨٩هـ على يدي ابن النوري:

صـار حمامـا وكان حميا   يحيي العظـام وهي رميـا
شكراً لسعي الفارس النوري   على تجديده وله الثنـاء عميا

البراني : عبارة عن صحن مربع يحيط به اربعة اقواس تحت كل قوس مسطبة يصعد اليها بدرجتين ، والشرقية منها تستعمل (دكة) للمعلم والى جانبها خزانة العدة . وامام المسطبة الشمالية يوجد تحت العدة . وفي الوسط بحرة مثمنة الاضلاع من الحجر المزي يتوسط كل ضلع حشوة رخامية . وفي وسط البحرة كأس من الحجر الوردي . . وعلى البحرة تصطف اصص النباتات والكازوز كما تتدلى عليها من الاعلى اصص النباتات .

أما الارض فمبلطة بالحجر الوردي والاسود مع توبيعات رخامية ، ويدخل الى الوسطاني الاول من باب يتحرك على (زعرور) حيث نجد ردهة الى اليمين فيها مراحيض وفوقها قبة وكذلك بحرة صغيرة فوقها قبة ويمر فوقه قبة صغيرة أما الى اليسار فيوجد ايوان فوقه قبة مقرنصة جميلة جدا . تحيط به المساطب وهي من الموزاييك العادي . اما الارض فمبلطة بالرخام .

وهناك وسطاني ثان يلي الوسطاني الاول ويستعمل للاستحمام في فصل الصيف لانه الطف حرارة من الجواني ، ويتوسطه بيت النار وفوقه قبة مستديرة تستند على ثماني دعائم وعلى جانبي بيت النار ايوانان ، ايوان ايمن فيه جرن واحد ومدخلان الى مقصورتين بكل منها جرن واحد وتسمى الغربية بمقصورة الشيخ. والى اليسار ايوان صغير فيه جرن واحد ومنه يدخل لمقصورة فوقها قبة وفيها جرن واحد . وفوق كل من المقصورتين المذكورتين قبة ايضاً . والارض في هذا الوسطاني مبلطة بالحجر الاسود والوردي . (صورة رقم ٣) .

ويشكل الجواني ثلاث قباب مستديرة : الوسطى تستند على مقرنصات وهذه المقرنصات تستند على اقواس تلتقي بدعائم وبذلك تبدو هذه القبة كأنها معلقة على اظفار المقرنصات ، بشكل جميل يدعو الى التأمل ويثير الدهشة .ويمر تحت هذه القبة بيت النار وفي صدره مسطبة الخزانة وعلى طرف هذه القبة الايمن



الصورة رقم (٣)

احدى قباب حمام الزين وتبدو فيها المقرنصات

قبة اخرى ويفصل بين القبتين قوس يستند على دعائم مما يشكل ايوانا تتوزع فيه ثلاثة اجران الشمالي والغربي منها داخل (مصب) . وعلى الطرف الايسر من القبة الوسطى يوجد ايوان ايضا فوقه قبة تنفصل عن القبة الوسطى بقوس يستند على دعائم وفي هذا الايوان ثلاثة اجران وقد كان محل الجرن الغربي منها مغطس الحمام . ويتفرع عن هذا الايوان مقصورة صغيرة ذات جرن وفوقها قبة ذات مقرنصات بديعة .

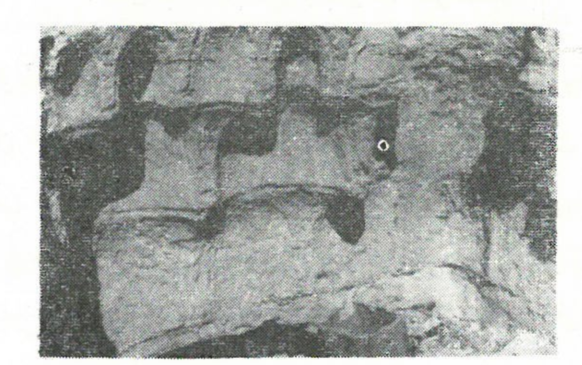
والارض في الجواني رخامية مع تشكيلات من الحجر الوردي

والاسود.وقد ترامى الينا ان هذا الحمام لايزال يستخدم مياه نهر القنوات وبانياس، اما صاحبه فينفي ذلك . كما يستخدم مياه بئر فيه . اما مياه الفيجة فللشرب .. والحمام يستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات من بعد الظهر حتى غروب الشمس.. أما الوقود فيتألف من النشارة والفضلات وكل مادة قابلة للاشتعال .

. . .

٢٥ — حمام الذهب

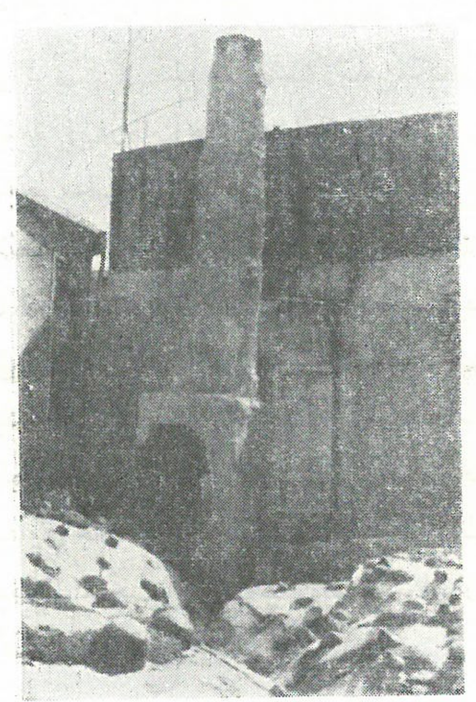
يقع في قبر عاتكة وسبب تسميته كذلك ان صاحبة الحمام خرجت لبعض امورها في السوق وتركت ابنتها لوحدها (فطلع عليها كنز) فاخذت تنقل الذهب منه الى الايوان وعندما اتت امها طرقت الباب فردت البنت فانغلق عليها الكنز فطمرها ولم يبق منها الا شعرها . وقيل انه سمع صوت البنت وهي تستغيث قائلة : عطشانـــة ... عطشانة فبنيت بحرة في مكان الشعر (صورة رقم ٤) .



الصورة رقم (٤)

بقايا حمام الذهب الاصيل

الا ان حمام الذهب الحالي غير حمام الذهب المقصود بالقصة السابقة لان حمام الذهب القديم هدم ولم يبق منه الا بقايا انقاض . فاتخذ قميما واتخذت الدار المجاورة حماما اطلق عليه الاسم نفسه ، وقد ذكره ايكوشار ولم يذكره المنجد. لكن هذا الحمام الجديد لم اجد فيه ماوجدته في غيره من الحمامات الدمشقية فهو لايستحق اسم حمام لقلة الاعتناء به . وهو يحوي مقصورة واحدة فيها جرن واحد وايوان فيه ثلاثة اجران ووسطاني فيه جرنان . ويستخدم كل مايصلح للاشتعال وقودا . وفيه بئر لاستعمالات الحمام المختلفة واشتراك بماء الفيجة ويلاحظ ان مدخنته اوطأ من الدور المحيطة به وهي قديمـــة نخرة يخشى ان تتداعى . (الصورة رقم ٥) .



الصورة رقم (٥)

تبدو فيها المدخنة والدور المحيطة بها

٢٦ – حمام الشيخ حسن

يقع في حي السويقة ، منطقة خان المغاربة ، ويظهر انه جدد في سنة ١٢٩٣ هـ من قبل آل عمر باشا فقد ثبّت فوق مدخله قطعة رخامية نقش عليها :

يا لطف حمام تجــدد صنعه   فتزايدت افراحه طول الزمن
حاز الجمال بسعي بدر زمانه   (...) عمر باشا المكرم والحسن
لما انتهى في الحسن قلت مؤرخاً   لبناه هـذا صار حماماً حسن

وقد ذكره ايكوشار واغفل ذكره المنجد . البراني فيه صحن كبير فرشت ارضـه بتشكيلات من الحجر الاسود والوردي تتوسطهـــا بركة مثمنة الاضلاع من الحجر المزي في كل ضلع منها حشوة رخامية مكحلة بالاحمر الاجري، وفي وسط كل حشوة نزل رخام آجري على شكل وردة . وفي وسط البحرة كأس وردية . ويحيط بالبحرة تربيعات من الرخام محاطة بالحجر الاسود . ويقسم هذا البراني الى ثلاثة اجزاء بوساطة قوسين كانت ترتكز عليها القبة ولكن هذه القبة نسفت خلال الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م واستعيض عنها بسقف من التوتياء على شكل سفحين متلاقيين يتخللها بعض النوافذ وتحت القوس الغربي ايوان يصعد اليه بدرجتين وقد صفت على اطرافه المساطب وامام هذا الايوان نصب (تختان) لراحة الزبائن . وتحت القوس الشرقي ايوان اصغر انتشرت على اطرافه المساطب ، وفي جانب الجدار الشمالي تخت صغير ومسطبة، اما في جانب الجدار الجنوبي فيوجـــد تخت المعلم وخزائن العدة . والجدران مزينة بالمرايا المصدفة وبعض آيات القرآن الكريم والحكم .

واذا دخلنا الى الوسطاني نمر بمجاز يضم مراحيض ثم ندخل الى الوسطاني، وهذا يمر منه بيت النار وفوقه قبة ذات مقرنصات جميلة . اما الارض فمبلطة

بالحجر الاسود والوردي مع قطعتي رخام متناظرتين على جانبي بيت النار . والى يمين بيت النار بركة صغيرة ومدخل لمقصورة صغيرة ذات قبـــة فيها جرنان ، والجدران فيها بعض المقرنصات . والى اليسار من بيت النار (الغرب) مقصورة النورة وهي ذات جرن واحد ولها قبة . ثم ايوان فوقه قبة وفيه جرنان ويقع الجرن الغربي تحت مصب فوقه نقوش نباتية جصية نافرة بديعة . اما الارض على جانبي بيت النار والمسطبة فمبلطة بالحجر الاسود والوردي ، وفي الوسط تشكيلة من الرخام الاسود والابيض والاحمر . اما الجدران فمبلطة بوزرة من البلاط العادي .

والجواني يشكل قبة كبيرة يمر من تحتهـــا بيت النار الذي تتصدره مسطبة الخزانة حيث يقوم جرن الشيخ على طرفها الايمن ، وجرن آخر على طرفها الايسر. كما توجد مقصورة ذات قبة فيها جرن واحد على طرف بيت النار الشرقي . وعلى الطرف الغربي يوجد ايوان فوقه قبة ، وفيه جرنان ويتفرع عنه مقصورة ذات جرن واحد فوقهـــا قبة . والارض كلها مبلطة بالحجر الوردي والاسود مع تشكيلات رخامية متناظرة في الشرق والغرب ، وهي في الغرب مكسرة ومرقعة ببلاط عادي يشوه جمالها . ولما سألت قيّم الحمـــام عن الوقود المستعمل قال (سيدنا سليمان مات أخضر يابس هات) بدليل انهم يوقدون كل مايقع تحت ايديهم ... اما المياه فتستمد من بئر خاصة لاستعمالات الحمام المختلفة . واما مياه الفيجة فيستفاد منها في الشرب . وهذا الحمام يستقبل الرجال قبل الظهر ويستقبل السيدات من الظهر حتى غروب الشمس .

• • •

٢٧ ــ حمام الرفاعي

يقع في الميدان الوسطاني ــ جزماتية ، وهو من الحمامات التي تعتبرها المديرية العامة للاثار والمتاحف أثرية ، وقد سجلته برقم س ٢ / ٤٣٧ . وسجلت على اللافتة التي وضعتها ملى بابه انه من القرن العاشر الهجري . وعده ايكوشار من حمامات القرن السادس عشر الى السابع عشر ، كما ذكره المنجد .

البراني : يشكل باحة مسقوفة حديثة البناء،ومرد ذلك ان البراني ضرب بالقنابل واحرق خلال الثورة السورية عام ١٩٢٥ ثم جدده رضا بك العابد . والبراني في وضعه الحالي لايختلف عن غيره ففي صدره (الشرق) ايوان تحيط به المساطب ، كما تصطف المساطب بجوار الجدار الشمالي والجنوبي ، وهنالك في الغرب (خلف مدخل الحمام) مسطبتان على طرفي الباب . والارض مبلطة ببلاط عادي وفي الوسط بركة بيضوية صغيرة من الموزاييك المحلي الحديث . ومن البراني ندخل الى ردهة صغيرة تضم مراحيض ومساطب على الجانبين وتسمى بالوسطاني الاول . ومن ثم ندخل الى الوسطاني الثاني ، ويتألف من ايوان في الشرق منه ثلاثة اجران ، أرضه رخام مكحل بالاحمر والى اليسار (الغرب) مقصورة فيها ستة اجران وارضها من الرخام المكحل بالاسود . وندخل الى الجواني من باب صغير فنجد قبة كبيرة يتوسط أرضها بيت النار وتستند على دعائم ، يتفرع عنها ايوان فوقه قبة في الشرق ولهجرن واحدوذلك بواسطة قوس يدعم القبة .وفي الجنوب الشرقي مدخل يؤدي الى مقصورة فوقها قبة وفيها جرن رخامي

بشكل كأس ذات زند،اما بلاطها فمن الرخام المشقف الملون .وفي الجنوب من هذه القبة الكبرى (الصدر) تقوم مسطبة الحرارة والى الغرب منها مقصورة الشيخ وفيها جرن الشيخ وهو ايضا من الرخام وبشكل كأس ذات زند ، وارضها رخامية وفوقها قبة والى الشرق من بيت النار يقوم ايوان ينفصل عن القبة الكبرى بقوس يستند على دعائم تدعم القبة الكبرى ، وهو مبلط بالرخام المكحل والى الشمال من هذا الايوان توجد مقصورة النورة وهي ذات جرن واحد .

وهذا الحمام يستقبل الرجال قبل الظهر والسيدات بعد الظهر وهو يعتمد على مياه بئر فيه لاستعمالاته وعلى مياه الفيجة للشرب . اما الوقود فمن النشارة والزبل والبقايا .

. . .

٢٨ ــ حمام العقيل

يقع في الميدان ــ حقلة ثالثة وقد ذكره ايكوشار كما ذكره المنجد . البراني فيه صحن مربع يقسم بقوسين الى ثلاثة اقسام ، تحت كل قوس ايوان حوله مساطب تكاد تكون خالية من الفرش ، الا بعض حشوات القش الممزقة، وذلك في الشرق والغرب ، وقد زين الجدار الغربي من الايوان الغربي بمرآة مصدفة ومنظر رسم بطريقة بدائية ، وكذلك الجدار الشرقي من الايوان الشرقي . اما في الجنوب فيوجد مسطبة من الاسمنت اتخذت دكة للمعلم وخلفها خزانة العدة . اما في الشمال فيوجد مسطبة حقيرة...خالية من الفرش تماما .. وبين القوسين (منور) بسيط . اما بين الايوانين فيوجد (صحن البراني) وتتوسطه

بركة من الحجر المزي مثمنة الاضلاع في وسط كل ضلع من اضلاعها حشوة من الرخام ، وفي وسط البحرة كأس من الرخام المزي . والارض مبلطة بالحجر الوردي حول البحرة وما تبقى من صحن الحمام مبلط بالحجر الوردي ويتخلله تشكيلات رخامية مستطيلة وبيضوية بألوان سوداء وآجرية وبيضاء . وقريبا من التقاء الجدار الغربي بالشمالي باب صغير يؤدي الى ممر مبلط على شكل دروب متتابعة من الحجر الوردي والاسود في اقصى شماله مراحيض ، وقبلها مدخل في الجدار الشرقي يؤدي الى الوسطاني ، وهو على شكل بهو فوقه ثلاث قباب ويمر من تحت طرف القبة الوسطى الجنوبي بيت النـــار ، وفوق ممر بيت النار باب في الجدار الشرقي يبدو في اعلاه رسم جصي نافر كتب عليه تاريـخ بناء هذا الحمام (١٢٢٠ ﻫ) وهذه القبـة ذات مقرنصات . وعلى طرف بيت النار الجنوبي يقوم ايوان تحيط به المساطب، فوقه قبة ذات مقرنصات تنفصل عن القبة الوسطى بقوس يستند على دعائم . وفي منتصف الجـدار الجنوبي رسم جصي نافر بشكل زهرية ذات كعب تنطلق من فوهتها عروق نباتية بشكل قريب من نبات (الحلفا) . اما ارض هذا الايوان فمبلطة بالحجر المزي . اما طرف بيت النار الشمالي فيظلله بقية القبة الوسطى.، وقبة اخرى ذات مقرنصات تنفصل عنها بقوس يستند على دعائم مما يشكل ايوانا آخر ارضه تحت القبة الوسطى فيها بقايا رخامية وما تبقى مرصوف ببلاط عادي ، والواقع ان البقايا الرخامية كانت في الاصل تشكيلة رخامية بديعة من نوع المشقف يظهر ان بعضها قلـع خلال عمليات اصلاح الحمام فتكسرت ورممت ببلاط عادي ، ويحيط بهذه التشكيلة اطار من الحجر المزي ، اما تحت القبة الشمالية فالبلاط رخامي مشقف على شكل حشوة يحيط بها الحجر الوردي . وفي الجدار الشمالي لهـذا الايوان بقايا رسوم جصية نافرة على شكل اوراق نباتية . ويتفرع عن هذا الايوان مقصورة صغيرة

ذات جرن واحد فوقها قبة مستديرة ، وارضها مبلطة بالرخام المكحل بالاجري وحوله اطار من الحجر الوردي ، وفي الغرب من الايوان مقصورة النورة. ويدخل الى الجواني من باب في الجدار الشرقي للوسطاني ، وهو عبارة عن بهو مستطيل يتوسطه بيت النار ، على طرف بيت النار يوجد ايوان تتوزع فيه ثلاثة اجران ، ارضه على شكل حشوة جميلة من الحجر المشقف الملون بالاسود والابيض والاجري والوردي ، يحيط بها اطار من الحجر الوردي ، وفي الجدار الشرقي لهـذا الايوان مدخل لمقصورة مهملة .

وفي صدر بيت النار تقوم مسطبة الخزانة في جانبها جرن واحد ، وعلى طرف بيت النار الشمالي يوجد ايوان آخر يتوزع فيه جرنان ، اما الارض فأصلها من الرخام المشقف نظير الايوان المقابل ولكن ما يؤلم هنا حقاً تشويه رخام هذا الايوان خلال عمليات اصلاحه اذ رقع بالبلاط العادي . وفي الشمال الشرقي من هذا الايوان مدخل لمقصورة صغيرة ذات قبة أرضها مفروشة بانذر ما شاهدت في حمامات دمشق من الرخام المشقف الجميل وابدعه ، فيها جرنان الجرن الشرقي من الرخام ، وعند المصب رخامة جميلة ينبع منها عرق نباتي نافر من الرخام، اما الجرن الغربي فمن الحجر الاسود المنحوت على شكل تاج عمود مقلوب عند مصبه رخامة منقوشة بالعروق والورود ، وهذه المقصورة تعرف بقصورة (العقيل) (باني الحمام) وقد خصصها لنفسه وسميت فيما بعد بقصورة الشيخ . كذلك عند الشمال الغربي من هذا الايوان مدخل لمقصورة أخرى ذات جرنين ارضها من الرخام المشقف لكنه اقل روعة من المقصورة السابقة .

يستقبل هذا الحمام الرجال في فترة ما قبل الظهر والسيدات من الظهر حتى غروب الشمس وهو يحتاج الى عناية كبيرة ليستطيع الاستمرار في كونه حماماً، لان القائمين عليه كما يبدو لا يهمهم من امر الحمام اكثر من جمع المال وباعتبار ان

مردوده قليل فان عمليات التخريب والترقيع ستستمر حتى يخرب . وهذا الحمام
يعتمد على مياه بئر فيه لاستعمالاته المختلفة ومياه الفيجة للشرب ، كذلك يستعمل
كغيره القمامة والنشارة كمادة للوقود .

. . .

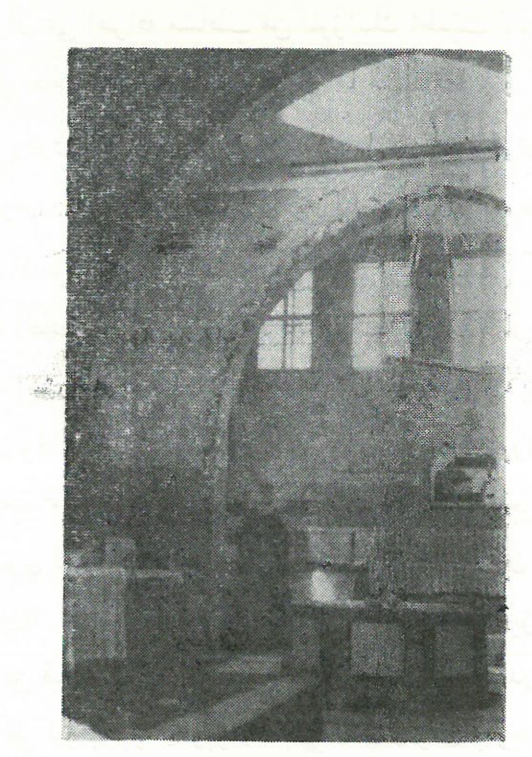
٢٩ ـــ حمام الدرب

يقع في الميدان ـ سلطاني ، وقد جدد عام ١٣٤٦ ﻫ ، جددته الحاجة
حسيبة بنت سليم النوري بعد ما ضرب وخرب اثناء الثورة السورية عام ١٩٢٥ م
ويدل على ذلك لافتة رخامية ثبتت فوق بابه كتب عليها ايضاً :

« من يطلب العافية من الرب فليقصـــد حمـام الدرب »

وقد ذكره ايكوشار كما ذكره المنجد . وادى ضرب البواني بالقنابل
الى تغيير مدخله وهذا سبب تقسيم المسطبة الشرقية الى جناحين شمالي يتخذه
المعلم تختاً ، وجنوبي جعل مسطبة اما البراني فهو عبارة عن صحن تتوسطه بركة
مثمنة الاضلاع ، وهي من الحجر المزي في كل ضلع حشوة من الرخام المكحل
بالاجري وفي وسطها كأس . والارض مبلطة بالرخام مع دروب من الحجر الاسود.
وهذا البراني مقسوم بقوسين الى ثلاثة اجنحة ، تحت القوس الغربي ايوان يرقى اليه
بدرجتين وعلى أطرافه المساطب . وبحذاء الجدار الشمالي توجد مسطبة ضيقة ،
وبحذاء الجدار الجنوبي اقيم « تخت العدة » و « تخت الناطور » وتوضع عليه
عدة الشاي (والمشروب) (١) (صورة رقم ٦) .

(١) كالكازوز وشراب عصير الليمون وما شابه .



الصورة رقم (٦)

جانب من براني حمام الدرب وتبدو فيه البحرة وجانب من
المسطبة الغربية وتخت العدة

وفوق القوس تقوم رقبة ذات ثماني نوافذ . وبالاجمال فان هذا البراني
كله حديث حتى سقفه فهو من الاسمنت المسلح، كما ان الاقواس مزينة برسوم أزهار
وزهريات حديثة التكوين . اما الجدران فقد رسم عليها منظر للمسجد الاموي
ومنظر تقريبي لناعورة وآخر للتكية السليمانية ... وفي الجدار الغربي عند الزاوية
الجنوبية مدخل يؤدي الى ردهة صغيرة مبلطة بالحجر الوردي والاسود ومنهـا
ندخل الى ممر في شماله مراحيض ، ويتفرع عنه مدخل الى الوسطاني ، وعلى طرفه

الجنوبي ايوان على اطرافه مساطب من الموزاييك الحديث . وعلى طرفه الشمالي بركة بشكل نصف دائرة من الحجر المزي اما البـــلاط فهو من الحجر المزي والاسود ، وفوق الوسطاني قبة مستطيلة تنفصل عن قبة اخرى في الجنوب فوق الايوان بقوس . وفي زوايا جدران هاتين القبتين مقرنصات جصية . وفي الجدار الغربي باب ندخل منه الى الوسطـــاني الثاني وهو يستعمل كجواني في فصل الصيف لانه ألطف حرارة . ويتوسط هذا الوسطاني بيت النار وفوقه قبة مستديرة وعلى طرف بيت النار الشمالي ايوان فيه جرنان يتوسطها باب يؤدي الى مقصورة ذات جرنين ولها قبة خاصة . اما الارض في الايوان والمقصورة فعـــلى شكل حشوة رخامية ثم اطار من الحجر الوردي يليـه اطار من الحجر الاسود . وعلى الطرف الجنوبي لبيت النار ايوان اخر صغير فيه مصبان لجرنين ملغيين ومدخل لمقصورة النورة . وفي وسط الجدار الغربي لهذا الايوان باب يؤدي الى الجواني وهو عبارة عن قبة مستطيلة مدعومة في مركزها بقوس وتتصدرها مسطبة الحرارة وهذه يقوم على طرفها جرنان ويمر امامها بيت النار والى جنوبه ايوان بلاطه عادي فيه ثلاثة اجران ومدخل لمقصورة واحدة لها قبة وبلاطها عادي وتسمى مقصورة (ام رفيق) نسبة الى سيدة كانت تحجزها لنفسها دومـــا. والجانب الشمالي لبيت النار فيه اربعة اجران وهو مبلط بالبلاط العادي ، كذلك مـدخل لمقصورة في جداره الغربي بلاطها ايضا عادي وفوقها قبـة ، وقد كانت مغطساً ثم حولت الى مقصورة خاصة (بالريس) وتسمى مقصورة (الصنعة) لان الريس يتخذهامقراً لعمله . كذلك في الجدار الشرقي مدخل لمقصورة اخرى ذات جرن واحـــد وفوقها قبة وبلاطها عادي حديث .

يستقبل هذا الحمام الرجال قبل الظهر والسيدات من الظهر حتى غروب الشمس ، ويستخدم مياه الفيجة للشرب ، وفيه بئر خاصة باستعمالات الحمام وهو

يستعمل الوقود العادي من نشارة وقمامة وكل ما هو سهل الاحتراق ، وقد تذمر اهل الحي من الحمام بسبب الدخان فحاول القائم عليه اصلاح المدخنة مراراً الا أن ذلك غير كاف لان الدور المجاورة اعلى من المدخنة . وصاحب الحمام لايفرط بحمامه ايمانا منه انه دار طهارة للغريب في حين ان ابن المنطقة لا يهمه هذا الامر لانه يستعمل حمامه الخاص في منزله .



الفصل الثالث

الحمّامات التي تخلت عن وظيفتها

ورغبة منا في اعطاء الحمامات حقها من الدراسة نرى ان نعرض للحمامات الدمشقية التي تخلت عن وظيفتها كحمامات. واتخذت محال تجارية او مستودعات او مناشر ... الخ .

قمنا بجولة على هـذه الحمامات عانينا فيها بعض العناء ، اذ قلما كنا نجد حماما يشكل وحدة قائمة بذاتها بل ان معظم هذه الحمامات مقسم بين عـدد من المحال التجارية او المستودعات والدور ، بشكل يجعلنا مضطرين لبـذل مجهود كبير من اجل اقناع من يستخدمها للدخول اليها كحمامات نريد دراستها ، وقل من يقنع وكثر من ادعى ان المعلم غير موجود وهو المعلم نفسه .. وان الصانع نسي المفتاح .. (وشرّف بكره ..) ومع ذلك استطعنا ان نقدم صورة مبسطة لتلك الحمامات نعرضها فيما يلي :

. . .

١ ـ حمام الجسر الابيض

ويعرف باسم حمام عبد الباسط بالجسر وقد ذكره ابن كنان في القرن الحادي عشر الهجري في (المروج السندسية) . كما عده ايكوشار في جملة الحمامات الدمشقية وصنفه في زمرة حمامات القرن الخامس عشر الميلادي .

يتألف البراني من صحن مربع تحيط به اربعة اقواس تتلاقى في دعائم، وفوقها سوار فيها ست عشرة نافذة ، وفوق السوارقبة مخروطية وهي على شكل اعمدة خشبية تتلاقى في القاعدة العليا الصغرى وقد غطيت الاعمـــدة برقائق من الخشب تسمى (الطبق) وفوقها من الخارج طليت بالطين المؤلف من مزيـج من الغضار والقش والارض غير واضحة المعالم ويبدو في وسطها بقايا بركة من الحجر المزي وهي مطمورة بالتراب .. وقد كان تحت القوس الجنوبي كما يبدو ايوان وكذلك تحت القوس الشمالي اما مدخل الحمام فعند الزاوية الجنوبية الغربية وعلى طرفه الشمالي مسطبة . اما المدخل الى الوسطاني فكان في جانب من الجدار الشرقي . وعندما قسم الحمام بـــين صاحبيه ، وكان ذلك منذ حوالي (٤٥ سنة) ، حول السيد ابو خليل الخيمي ، وهو صاحب البراني حصته الى محال تجارية اتخذت الان تنورا ومتجراً وبائع (فلافل) ومستودعاً . اما صاحب القسم الشرقي من الحمام الذي يضم الوسطاني والجواني فقد وهبه لابنته فوزية العشا ، وأنشأ فيه برانياً آخر حديثاً سقفه من الاسمنت المسلح وفي ارضه بركة موزاييك بيضوية حديثة، وعلى جانبه الشرقي والغربي ايوانان كان فيهما المساطب وكذلك انشأ مسطبة على طرفي الباب الذي اصبح في الشمال .

الوسطاني : وهو قبة مستديرة تحيط بها مقرنصات وتحتها ردهة يمر من وسطها بيت النار والى الغرب من هـــذه الردهة كان هنالك مدخل يؤدي الى

البراني القديم وفي الشمال الغربي مراحيض . وفي منتصف الجدار الشرقي مدخل يمر منه بيت النار ويؤدي الى الجواني وفوقه قبة ذات مقرنصات جصية ، وعلى طرف بيت النار الجنوبي شبه ايوان تتفرع عنه ردهة صغيرة ذات قبة خاصة في صدر هذه الردهة (الجنوب) جرن مطمور بالتراب . والى يمينها مقصورة اخرى في صدرهـــا ايضاً جرن مطمور بالتراب ، وكذلك الى يسار المقصورة الاولى مقصورة اخرى فيها مقصورة الخزانة ويعتقد انها مقصورة الحرارة وارضها من الحجر الوردي وفي صدرها (الجنوب) مسطبة كان فيها جرن وردي وهو الان مسدود . اما على طرف بيت النار الشمالي فيوجد ردهة او ايوان مقابل للايوان الجنوبي المار ذكره وله شبه قبة خاصة والى جانبه مقصورة لها قبة خاصة وارضها في الوسط رخامية وفي الاطراف حجر وردي واسود . والارض في الجواني من الحجر الوردي فوق بيت النار وعلى طرفيه الايمن والايسر (الشمال والجنوب) قطعتان رخاميتان حولهما اطار من الرخام المشقف اما بقية الارض فمن الحجر الوردي والمشقف والاسود .

وفي اقصى الشرق من الجواني سد جدار على مقصورة اتخذت تنوراً . ويشغل الوسطاني والجواني والبراني الحديث اليوم فرن وبقال وتنور وقـــد حول الى ذلك كما حدثث منـذ حوالي عشرين سنة حيث باعته السيدة فوزية العشا الى السيد سعيد خاطر وهو الذي حوله بعد ان استمر يعمل حماماً بشكله الجديد حوالي خمس وعشرين سنة تقريبـاً .

. . .

٢ ـ حمام السلطان

وقد سمي كذلك لان السلطان سليما كان يتردد عليه كما حدثنا ايكوشار

في بحثه عن الحياة الاجتماعية في حمامات دمشق . ويقع في طريق القصاع منطقة مسجد الاقصاب ، وله مدخلان الاول رئيسي وهـو على الجادة في جهة الشمال بالنسبة للحمام وهو مدخل جميل ذو مقرنصات متدلية والاخر في الشرق وهـو فرعي ، وقد حُدِّثْتُ ان السلطان سليما كان يدخل من الباب الجنوبي ويخرج من الباب الشرقي . وقد ذكر هذا الحمام ابن شداد في (الاعلاق الخطيرة) تحت رقم /٦١/ كما ذكره ابن عبد الهادي في مخطوطة (عدة الملمات) تحت رقم الحادي والستين وذكره ايضا ايكوشار .وتعتبره المديرية العامـة للاثار والمتاحف من الحمامات الاثرية المسجلة لديها تحت رقم س ٢ /٣٠٧ ووضعت على بابه لافتة رخامية سجل عليها « حمام السلطان ، ينسب للسلطان الملك الاشرف قايتباي كان بني سنة ٦٩٤ هـ » وصنفه ايكوشار في مجموعـة حمامات القرن الرابع عشر الميلادي .

الباب الشمالي يدخل منه الى ممر يؤدي الى البراني وهو عبارة عن صحن كبير يحيط به اربعة اقواس شمالي وشرقي وجنوبي وغربي تتلاقى على دعائم منخفضة الارتفاع بالنسبة لارض الحمام وقد كانت هنالك قبة تستند على الاقواس الاربعة المذكورة كما يبدو ، لكنها ازيلت واستعيض عنها بسقف خشبي مؤلف من قسمين يستندان على قوسين محدثين يمتدان من الغرب الى الشرق بصورة يدعم فيها هذان القوسان القوسين الشرقي والغربي ، وهكذا ينطلق القوس الشمالي المحدث من تحت الثلث الشمالي من القوس الغربي حتى الثلث الشمالي من القوس الشرقي . اما القوس الجنوبي المحدث فينطلق من تحت الثلث الجنوبي للقوس الغربي الى تحت الثلث الجنوبي للقوس الشرقي وبذلك يستند القسم الخشبي الاول من السقف على القوس الجنوبي الاصلي من جهة ، ومن جهـة اخرى على القوس المحدث الجنوبي ، اما القوس المحدث الشمالي فهو نظير القوس المحدث الجنوبي وله نفس الوظيفة من حيث

استناد القسم الثاني من السقف الخشبي . ويستند على ذروة القوسين الشرقي والغربي الاصليين وكذلك على ذروة القوسين المحدثين منور مستطيل يتوزع على اطرافه (١٤) نافذة . وعند التقاء القوس الشرقي الجنوبي الاصلي مدخل يؤدي الى فسحة فيها مراحيض . وتحت القوس الشرقي ممر يؤدي الى الباب (الشرقي) الذي خرج منه السلطان . وتحت القوس الغربي تدل البقايا على استعماله كأيوان تتوزع على اطرافه المساطب .

والوسطاني عبارة عن بهو فوقه قبـة مستديرة في جدارها الغربي باب يؤدي الى مقصورة اخرى ذات قبة مستديرة وقد شيّد في جانبها الغربي حاجز للنورة كما يمر من وسطها بيت النار وبالتالي تصعد المدخنة العامة (الفحل) في الجدار الشمالي من المقصورة. وفي الجدار الجنوبي من هذه المقصورة باب يؤدي الى الوسطاني، وهو ردهة مستديرة فوقها قبة وفيها بقايا لاربعة اجران . وفي الشرق باب يوصل الى مقصورة فوقها قبة وفي شرقها وشمالها آثار تدل على جرنين كانا هناك .وكذلك في الجنوب آثار لجرن فتح محله باب الان .

وفي جدار بهو الوسطاني الجنوبي باب يؤدي الى الجواني وهذا فوقه قبة ويتوسطه بيت النار وفي صدره (الجنوب) مسطبة الخزانه ،وتدل البقايا على جرن كان خلف باب الجواني في الشرق وآخر في الغرب ، كما كانت هنـالك اجران على جانبي المسطبة . والى جانب مسطبة الخزانة الشرقي مدخل يؤدي الى مقصورة كان فيها ثلاثة اجران ، ويقابله في الغرب باب يؤدي الى مقصورة مشابهة للمقصورة الشرقية من حيث عدد الاجران ، وفيها ايضا شبه كتبية كانت تستعمل مغطساً. ويشغل قسما من البراني منشرة والقسم الثاني مصبغة،أما الوسطاني فيشغله معمل لقصر الغزول ، ومنشرة ، ومعمل للبلاط .

• • •

٣ ــ حمام الدبس

يقع في منطقة خان البطيخ غربي سوق الهال ، يدخل اليه من باب يقع في الشرق (غرب الطريق) الى ساحة مربعة في غربها ايوان يصعد اليه بدرجتين، في جداره الشمالي نافذتان ويقابلها في الجدار الجنوبي نافذتان . وينفصل هـذا الايوان عن البراني بقوس ، وتدل البقايا على وجود ايوان اخر من الجدار الشمالي وقد سد القوس المكون لهذا الايوان بجدار ، وضم الايوان الى مخزن تجاري مجاور بابه على الطريق العام. وارض هذا البراني من الحجر المزي مع تشكيلات رخامية حول البحرة. والجدران عادية ويوجد « كتبية » صغيرة في الجدار الجنوبي. اما السقف فبدون قبة ، وهو يشكل منور جدرانه على امتداد جدران البراني وتحيط به اربع عشرة نافذة . وقد اتخذ هذا البراني ميتما لمدرسة (سيد قريش الصناعية) ويوجد في الجدار الغربي قرب الزاوية الشمالية الغربية مدخل (وهو مسدود الان) يؤدي الى (داور) صغير فوقه قبة مستديرة ومن ثم الى ممر يتجه غربا وفوقه قبة مستطيلة ، وفي جداره الشمالي مدخل الى مراحيض فوقها قبة مستطيلة ، وفي جدار الممر الجنوبي بركة صغيرة ، ثم ننعطف شمالا الى ردهة فوقها قبة مستطيلة هي الوسطاني وفي جنوبها باب يؤدي الى مقصورة صغيرة يبدو انها كانت للنوره ثم نتجه شرقاً الى الجواني ، وهو بهو مستطيل يمتد شمالا بجنوب في صدره (الشرق) كانت مسطبة الحرارة والى جانبهـا طاقة الحرارة ، والى اليسار (الجنوب) مدخل لمقصورة صغيرة ذات قبة مستديرة ، وفي الجـدار الجنوبي « كتبية » صغيرة يظهر انها كانت تستخدم لوضع السراج عليها ويتوسط هذا الجواني بيت النار ويمتد من الغرب الى الشرق . ويستخدم كل من الجواني والوسطاني كمستودع لمدرسة سيد قريش الصناعية .

* * *

٤ ــ حمام الراس

يقع هذا الحمام في رأس التقاء شارع السنجقدار بالشارع المؤدي الى جسر (الزرابلية) وطريق السروجية . ولا ندري لماذا سمي مؤخراً بهذا الاسم، وربما لانه كان يوجد على بحرة البراني فيه رأس انسان ينبثق من فمه الماء – كما قيل لي. واضطررنا لدخول اكثر من عشرين محلاً تجارياً بين مستودع ومتجر ودكان .. في محاولة لاستجماع مخطط لهـذا الحمام ولكن عبثا ذهبت كل محاولاتنا فاضطررنا للاستئناس بما كتبه (لالا مصطفى باشا) في كتاب وقفه (١) .

فقد حدده في ظاهر مدينة دمشق شمالي قلعتها بين سوقي « جسر الحديد وجسر الزلابية »(٢) . ويشتمل بناؤه على باب مربع البناء بالحجارة البلقاء المنحوتة ما بين مزية ومعدنية وصفراء ورخام وسوداء.. وبجانبه الشرقي والغربي مركزان من الحجارة البيض برسم الجلوس عليها ، وشباكان محددان بواجهة كبيرة تعلو الباب .. ورحبة (بدركاه) الحمام مبنية بالحجارة البيضاء المنحوتة وهي قسمان شرقية وغربية ، بكل رحبة منهما مقعد يمتد من الجنوب الى الشمال بقوس من الحجارة البيضاء المستخرجة من الحائطين الشرقي والغربي ، وهمـا من اركان الباب المذكور . ويعلو ذلك كله قنطرة كبيرة من الحجارة البلق. وسقف ذلك بالجسور والخشب.. والارض مبلطة بالبلاط الملون والرخام وغيره . ولكل من الشباكين والباب المذكورة باب من الخشب المنوع ... ويدخل من الباب الى مسلخ (٣) الحمام ويشتمل ارضية كبيرة مبلطة بالرخام والبلاط الاصفر والمزي والمعدني

(١) – كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا ، وقف على طبعه خليل مردم بك.

(٢) – يسمى اليوم جسر الزرابلية ، والزلابية نوع من الحلوى يظهر انها كانت تصنع هناك .

(٣) مشلح في لغة دمشق الدارجة .

والاسود القاري وغيره وبحرة كبيرة مستديرة البناء وهي مرتفعة الجوانب مبلطة بالبلاط والرخام ، يجري الماء اليها والى بقية حقوق الحمام من ماء نهر بانياس فتوح غير سدود مادام الماء جاريا في النهر المذكور ووصل جريانه الى الحمام . وبجانب مسلخ الحمام اربع مساطب تحيط به ، بصفة اواوين متقابلة مرتفعة البناء بواجهة حجارة مختلفة الالوان والرخام وغيره وبالواجهات المذكورة طاقات من الحجارة البلق لوضع الامتعة بها . وهذه الاواوين الاربعة متصلة وهي برسم سلخ الثياب ووضعها للمترددين على الحمام .. ويعلو بناء مسلخ الحمام المذكور بما اشتمل عليه قبة كبيرة معقودة البناء بالحجارة والاجر والكلس .. والحجارة البلق المنحوتة ، على اربعة عواميد من الحجارة البيض بيدنات واركان من حجـــارة بلق منحوتة والعواميد المذكورة مقيدة بقيود من الحديد» .

وخلال زيارتنا لبناء الحمام شاهدنا القبة المذكورة .. ويمكن ان نضيف الى ذلك ان القبة تنتهي برقبة محاطة بالنوافذ . كما ان القبة فيها اربع نوافذ محاطة بتزيينات مجردة مكررة وبين كل نافذتين قوس ، وبين نهاية كل قوسين قوس آخر يشكل ضلعين لنجمة في مركز القبة ذات ست عشرة ضلعا . وعند التقاء كل ضلعين من اضلاع النجمة المذكورة رسم لزنبقة تشبه شعار الكشاف، وبين كل ضلعين من اضلاع النجمة المذكورة من خارجها وحدات رسوم نباتية جميلة عدا وحدتين فقط ، فيها من الجص النافر على شكل دائرة تحيط بها زنابق ..

وبالجانب الغربي من المسلخ باب من حجارة بلق منحوته بقنطرة .. يدخل منه بدهليز ينتهي السلوك فيه الى مرتفقين لكل منها باب بواجهة من حجارة منحوتة ، ويؤدي باب قبلي (جنوبي) الدهليز المذكور الى قبة غربية بشادروان مبلط هو وارضي المجاري من داخل ذلك بالبلاط والرخام المختلف الانواع والاصناف وبه طستية من الرخام الدق المنوع يجري الماء اليها .. ويدخل من المجاز المذكور

في باب بواجهتي حجارة بلقاء من داخله وظاهره الى بيت الدواء (١) ... ثم يتوصل الى وسطاني الحمام .

ويمتد شرقا بغرب بجامات (٢) من زجاج مسدسات مختلفة الالوان كبيرات .. وهو مبني على سبع قناطر معقودة البنـاء من الحجارة البلق المنحوتة وبالرخام المنوّع وغيره . وفي الغرب ايوان كبير ذو مقرنصات جميلة جداً بواجهة تسمى وزرة من حجـــارة الرخام وغيره ، وبصدره جرن من رخام ابيض يعلوه بلاطـــة من الرخام الابيض بانبوبين من نحـــاس اصفر يخرج منهما الماء الحار والبارد من المـاء المجموع في القدور على المستوقد . وفي الشمال خلوة بقبة معقودة البناء بجامات من الزجاج وارضية مبلطـة مفروشة التبليط بالرخام والحجر المزي والمعدني والاصفر والاسود والقاري وغيره ، فيها جرن من الرخام الابيض تعلوه رخامـة بيضاء .. على غرار السابق .. وايوانان شماليان بواجهة من الحجارة البلق المنحوتة بينهما كوة (طاقة الفحل) يتوصل منها الى ازقة الحمام السفلية . وايوان قبلي (جنوبي) لطيف البناء بوزرة وواجهة من الحجارة البلق المنحوتة المختلفة الانواع والاجناس ، ولكل واحد من هذه الاواوين (الغربي والشماليين والجنوبي) جرن من رخام ابيض يعلوه بلاطة من رخـــام ابيض .. على غرار ماتقدم وصفه . وجميع ذلك مبلط بالرخام والمعدني والمزي والاسود والاصفر .. وبأرضية الحمـــام المذكور حوض من رخام برسم الماء البارد .

ويدخل منه الى باب معقود البناء بواجهة من الحجارة الملونة والرخام وغيره ثم الى بيت الحرارة . و (اوجاقات) مستخرجة من جدرانه ، ولذلك شادروان

---

(١) — النورة .

علوي البناء يصعد اليه بدرجتين من الحجارة البلق المنحوتة المستديرة البناء ، وهو خلوة وتسمى ايضا مقصورة بواجهة مبنية من الرخام والقاشاني والبلاط الملون .. وفيه بلاطتان من المرمر منقوشتان قائمتان واحدة عن يمـين الجرن واخرى عن يساره في غاية من النفاسة والحسن ، وفيه جرن من رخام ابيض يعلوه ببلاطة من الرخام الابيض ايضا بانبوبين من النحاس الاصفر يخرج منهما الماء الحار والبارد ، ويلي ذلك الاقميم (١) وهو مستوقدالحمام المقبي البناء بالحجارة والاجر والكلس.. وجميعها في ثلاثة قدور من نحاس احمر مركبات البناء علو الاقميم والمستوقد ، ولذلك كله طرق يستطرق منها الى سائر مرافقه وما اشتمل عليه ذلك، ومجاري ومصارف واقية يتصرف منها مياه الحمام المذكور ..»

وقد ذكر هذا الحمام ايكوشار وصنفه في زمرة حمامات القرن ١٦—١٧م. كما ذكره المنجد .

. . .

٥ ـ حمام المناخلية

يقع في العمارة الجوانية جنوبي باب الفرج الخارجي وقـد ذكره ايكوشار .

يتألف البراني من صحن يحيط به اربعة اقواس تتلاقى في دعائم ، تحت القوس الشرقي ركن صغير كان يستعمل مسطبة ، اما تحت القوس الجنوبي فكان ايوان يستعمل (مشلحا) وتحت القوس الشمالي مدخل الحمـام الخارجي وعلى جانبيه ـ كما حدثت ـ كان يوجد مسطبتان وتخت المعلم . وفوق هذه الاقواس شبه رقبة مسقوفة في الاعلى وتحيط بها ثماني نوافذ ، اما البحرة فأزيلت .

(١) القميم في لغة دمشق الدارجة .

يدخل الى الوسطاني من تحت القوس الغربي باربع درجات الى الاسفل حيث ندخل الى ردهـة فوقها قبة الى الجنوب منها مدخل مراحيض ، ويقابله بحرة صغيرة ثم ندخل غربا الى بهو آخر فوقه قبة بيضوية الى الشمال منها قوس يفصلها عن قبة اخرى دائرية صغيرة مما يشكل ايوانا صغيراً ، وفي الشرق مدخل لمقصورة صغيرة للنورة وهي ذات قبـة وفي وسط الجدار الغربي مدخل يؤدي الى الجواني .

وهو عبارة عن ردهة فوقها قبة مستديرة ذات مقرنصات جصية عادية مزينة برسوم جصية نافرة على شكل عروق نباتية في زهريات، والى الجنوب منه قوس تحته مسطبة الحرارة والى طرفها الغربي جرن الحرارة . وبالتالي يمر ببيت النار من الشمال حيث (القميم) الى الجنوب . وفي الجدار الغربي مدخل لمقصورة ذات قبة وهي الى يمين مسطبة الحرارة ، وفيها بقايا تدل على وجود جرنين والى جانبها مدخل لمقصورة صغيرة في سقفها بعض القمريات . وفي الشمال قوس تحته جرن . والى شرق المسطبة مدخـل لمقصورة ذات قبة صغيرة .. الارض في الوسطاني والجواني من حجر احمر ووردي واسود اما في البراني فهي عبارة عن زريقة واسمنت . وقد اتخذ هذا الحمام الان مستودعاً تجارياً .

. . .

٦ ـ حمام منجك

يقع في منطقة الكلاسة (١) ـ عمارة . في الطريق الواصلة بين الكلاسة والنوفرة شمالي شرق المسجد الاموي وله دخلة على شكل قنطرة توصل الى باب البراني . وقد كان ينزل اليه باربع درجات وهو الان ساحة حولها اربع اقواس فوقها رقبة

(١) ذكره ايكوشار في سوق ساروجا .

حولها نوافذ وتسمى (آفعة) وقد كان فيه بحرة ازيلت .. ويدخل اليه من باب في الدخلة على اليمين وهو يستخدم الان كمستودع للاخشاب ..

الوسطاني : يدخل اليه من باب تحت القوس الشرقي خلفه ردهة ذات قبة فيها آثار نقوش جصية نافرة ، وفي الغرب منها مدخل الى مراحيض ، وفي الجنوب مدخل يؤدي الى مقصورة النورة والى جانبها مدخل يؤدي الى الوسطاني وهو عبارة عن قبة مستطيلة تمتد شرقاً بغرب ويتوسطها بيت النار وفي جدارها الجنوبي (الفحل) المدخنة . اما في جدارها الشمالي فيوجد مدخل يؤدي الى الجواني وفوقه ايضا قبة مستطيلة تمتد شرقا بغرب ويتوسطها بيت النار من الشمال للجنوب وفي الصدر (الشمال) مسطبة الخزانة وطاقة الخزانة .

وبجانب طرف بيت النار الشرقي مدخل لمقصورة صغيرة ذات قبة وفي الجدار الشمالي من هذا القسم شبه كتبية كانت تستعمل مغطسا . وعلى الجانب الغربي مدخل في الجدار الشمالي لمقصورة ذات قبة مهدومة ذات مقرنصات جصية وفيها الى الان جرن وردي مستدير .

وقد حول الوسطاني والجواني من الحمام الى مصبغة .

. . .

٧ ـــ حمام القناطر

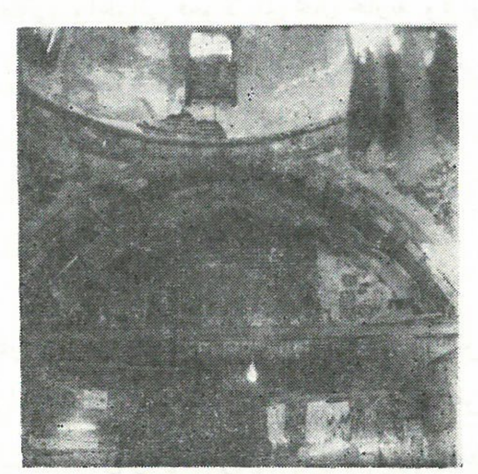
وهو من الحمامات التي صنفها ايكوشار في جملة حمامات ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي ويقع في منطقة القنوات شابكلية . ولم يبق من هذا الحمام اثر يدل عليه لامن حيث المخطط ولا من حيث البناء . والبناء الماثل الان عبارة عن دكان ومصنع لحقائب السفر ومصنع للاحذية ومكتب خطاط .

وحدثت ان هذا الحمام كان حماما (ملوكيا) في نظافته وجماله ، وحسن خدمة القائمين عليه .

. . .

٨ ـــ حمام القيشاني

وهو الذي حدثنا عنه القاسمي (١) بقوله : كان شهيرا في الحسن والرونق وجودة الخدمة . ونال حظا من الاقبال في المدة الاخيرة حتى صارت تضرب به الامثال . ثم سقط وهجر وزهد فيه نفورا من قيّم كان اداره بنفسه وليس من اهل الخبرة في التودد ، والتلطف لقاصديه ، ولا زال كذلك حتى ظهر لملاكه ان يجعلوه سوقا فحولوه الى مخازن ودكاكين وذلك عام ١٣٢٤ هـ . ويشغله اليوم سوق القيشاني . وقد ذكره ايكوشار (صورة ٧) .



الصورة رقم (٧)

يبدو في الصورة جانب من القبة وجانب من القوس الغربي وتحته بعض تزيينات القاشاني ، ومن اسفلها مدخل الحمام

(١) قاموس الصناعات الشامية . القاسمي ص (١٠٩) .

البراني لايزال الى اليوم ماثلا ببلاطه الرخامي المكحل بالاسود والمشقف والحجر الوردي الا ان البحرة الجميلة التي كانت تتسوطه ازيلت منذ حوالي خمس عشرة سنة . وهذا البراني كسائر حمامات دمشق يحيط به اربعة اقواس تحت القوس الغربي مدخل الحمام ويعلوه من الداخل والخارج تزيينات من بلاط القاشاني بديعة الرسوم باشكال نباتية وعروق تنبثق من ثلاث زهريات في الداخل، واخرى قريبة الشبه في الخارج . وعند التقاء كل قوسين رسوم متناظرة لتفريعات نباتية، وكذلك لايزال مدخلا القوسين الشمالي والجنوبي يضمان بقايا من بلاطات القاشاني . وتحت كل من هـذين القوسين كان ايوان تنتظم اطرافه المساطب . اما تحت المعلم فكان في الشرق ويقابله مسطبة ،وفوق الاقواس الاربعة تنتصب قبة معقودة يحيط بها ثماني نوافذ وفي مركزها رقبة محاطة بالنوافذ ايضاً .

اما الوسطاني والجواني فحوّلا الى محال تجارية ولا يزال المجاز المؤدي اليها ماثلا ببلاطه الرخامي البديع والحجر الوردي ممتداً من الغرب الى الشرق .

. . .

٩ ـ حمام قصر العظم

ويعتبر نموذجا لحمامات القصور الدمشقية . ويحتل جانباً من الجناح الجنوبي للقصر بواجهة حجرية ملونة ، ويدخل الى البراني من باب فوقه قوس وهو بهو مربع الشكل ، في وسطه بحرة مثمنة الاضلاع منخفضة الارتفاع وهي من الرخام المشقف الرائع الجمال وفي وسطها كأس مرمرية .وقد صف على اطراف البحرة اصص النباتات، وحول البحرة مجراة ذات بلاليع تبتلع ما يفيض من مياه البحرة،وحول هذه المجراة اطار من الحجر الوردي ويحيط بها تربيعات من الرخام

المحلى بالاسود . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية دائرتان من الرخام يحيـط بكل منهما تشكيلة من الحجر الاسود اما في الزاوية الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية فيوجد قطعة رخامية مثمنة الاضلاع يحيط بها الحجر الاسود . وفوق هذا القسم قبة ذات رقبة تحيط بها ثماني نوافذ وتستند القبة على اربعة اقواس مزخرفة برسوم هندسية عربية التكوين تتكرر متناظرة على طرفي القوس، وهذه الاقواس تتلاقى على دعامتين في الجنوب وتندمج بالجدران في الشمال . ويكون اتصال القوس بالدعامة بواسطة ساعدين ينتهيان بتاجين تستند نهاية القوس عليها وهـذان التاجان مزخرفان برسوم نافرة ويرتكزان على حجر منقوش بزخارف متناظرة .

وفي صدر هذا البراني ايوان مفروش بالسجاد ، وامام جداره الشرقي مسطبة من الخشب المحفور محلاة بالمناشف يجلس عليها تمثال لشخص انتهى من الاستحمام ويبدو وهو ملفف بالمناشف وامامه (قبقاب شبراوي) وفي الصدر (الجنوب) نصب (ببرو) من الخشب المصدف المطعم فوقه مرآة جميلة من نفس النوع . اما الجدران فمزينة بالخشب المطلي بالدهان (العجمي) المطعم ويتخلل ذلك (كتابي) نضدت فيها صرر المناشف . كما زينت الجدران في الاعلى بقطع كتب عليها (وما بكم من نعمة فمن الله) (الحمد لله رب العالمين) (الله ، محمد) .

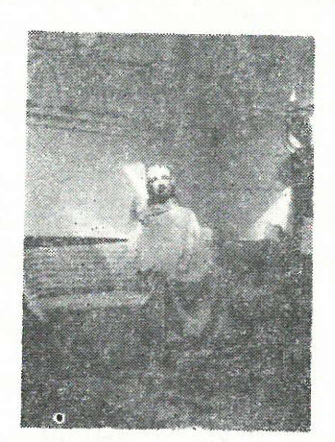
اما السقف فهو على شكل قبة معقودة تتلاقى فيها اربعة اقواس كالعقد، وهذه الاقواس مزينة برسوم جصية نافرة متلاقية وفي مركزها ما يشبه القبـة الصغيرة مثمنة الاضلاع ومحززة بحزوز تتلاقى في المركز . وتنفصل هـذه القبة عن قبة البراني بالقوس الجنوبي البراني .

ويجدر بنا ونحن في هذا المجال ان نشير الى الصندوق المصدف المنزل بالعظم والقصدير من نوع المصري على شكل عروق نباتية وورود ،هذا الصندوق

موضوع بحذاء الجدار الشرقي جانب المدخل الى الوسطاني ، كما وضعت خزانتان (جامان) من البلور عرضت فيهما نماذج مناشف ثمينة جـداً مطعمة بالذهب والفضة على شكل عروق وازهار تنطلق من زهريات ٠

ندخل من الباب المذكور آنفاً في الجدار الشرقي الى مجاز يتفرع الى الشمال والجنوب ، فمن ناحية الشمال نجد مرحاضا ومقصورة النورة ، وفوق ذلك كله قباب مستطيلة . اما ناحية الجنوب فالمجاز ايضا فوقه قبة وفي صدره جرة صغيرة والارض في المجاز كله من الحجر الوردي والاسود .

ثم ننعطف شرقا الى ممر فوقه قبة مستطيلة ايضا وفي صـــدره (مشهد) وضعت فيه (جرة) لمياه الشرب . ثم نسير الى الشمال فنواجه مدخلا يؤدي الى الوسطاني وهو على شكل بهو رباعي فوقه قبة معقودة متلاقية السفوح. وفي نهاية السفوح الدنيا مقرنصات جصية نافرة في اسفلها تزيينات جصـية اخرى نافرة على شكل زنابق . وهذا الوسطاني مقسوم الى قسمين القسم الاول (العتبة) وهو عبارة عن ممر ارضه مبلطة على شكل دروب من الرخام والحجر الوردي والاسود وفي الوسط حشوة وردية ٠ صورة رقم « ٨ »



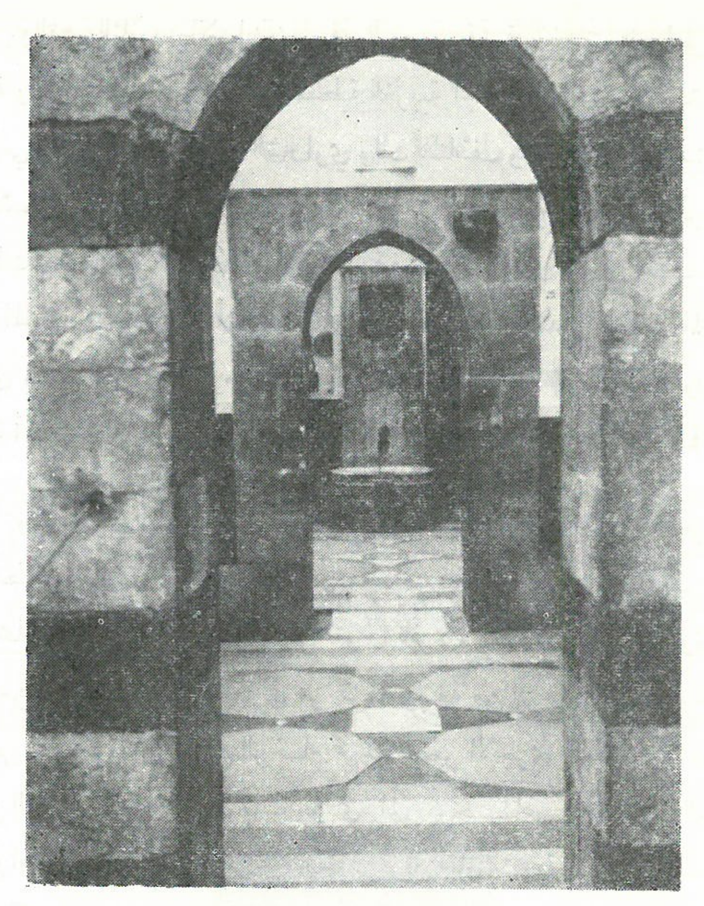
الصورة رقم (٨)

(حمام قصر العظم) مشهد من الوسطاني

والقسم الثاني (الايوان) ويرقى اليه بدرجة وقد نضدت على اطرافه الشرقية والغربية المساطب ، وعلى المسطبة الغربية اجلس تمثال لشخص يستريح في البراني وقد ارتدى القبقاب الشبراوي ولف بالمناشف والى جانبه (طربيزة) من الخشب المحفور والمنزل بالصدف على شكل زهرات صغيرات وفوق الطربيزة مرآة ذات جارور من الخشب المصدف . وفي منتصف الجدار الشمالي مصب من الرخام المشقف الجميل في اعلاه مقرنصات نافرة بديعة ، وتندلق من أعلى المصب المياه الى فسقية نادرة من المرمر لها فوهات تنطلق منها المياه على شكل نافورات متشابكة أخاذة . اما ارض هذا الجناح فمن الرخام المشقف الانيق .صوره رقم«٩»

وفي الجدار الشرقي باب فوقه قوس من الحجر الوردي والاسود ندخل منه الى الوسطاني الثاني ، وهو على شكل ردهة ذات قبة مربعـة مزينة بالجص على شكل محاريب وفي الزوايا تتخذ شكل نقوش نافرة ، والارض ذات حشوة في الوسط من الحجر الوردي مضلعة في مركزها تربيعة من الرخام الابيض ويحيط بها الحجر الاسود ودروب من الرخـام ثم من الحجر الاجري الصقيل ثم درب اخر من الرخام . وفي الشمال باب يؤدي الى مرحـــاض ومقصورة النورة المذكوران آنفا والى جانب الباب جرن رخامي فوقه رخامة مثقوبة بانبوبين من النحاس الاصفر كي يخرج منها الماء الحار والبارد ويقابله في الجنوب جرن آخر مناظر للسابق الا انه من الحجر الابيض وفوقه مشجب والى جانبيه مسطبتان تحت قوسين .

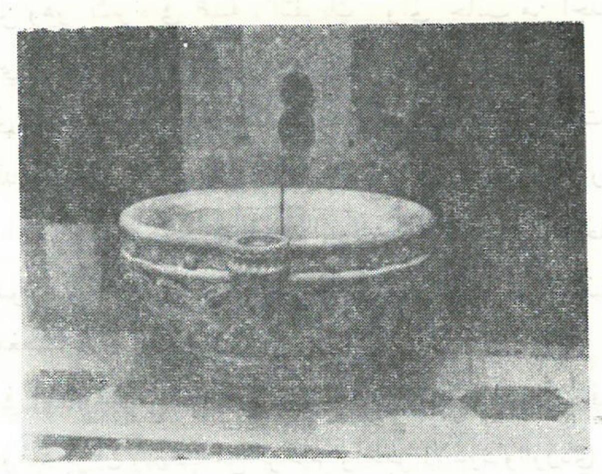
وفي الجدار الشرقي مدخل فوقه قوس من الحجر الوردي المطلي بالدهان، (الحديث) يؤدي الى الجواني وتظلله قبتان يفصل بينهما قوس يرتكز على دعائم جانبية، القبة الاولى رباعية الشكل سفوحها متلاقية وفي اعلى الجدران مقرنصات جميلة والارض تحت القبة من الحجر الوردي والاسود على شكل اربع دوائر



الصورة رقم (٩)

(حمام قصر العظم) تمثل الصورة المدخل الى الوسطاني في الامام ثم الوسطاني
ثم المدخل الى الجواني ويبدو في صدره احد الاجران

من الحجر الوردي يحيط بها ميل اسود وقطع رخاميــة بيضاء ثم دروب من الرخام والحجر المشقف حتى الجدران . في جانب الجدار الشرقي جرن رخامي بيضوي انيق ذو نقوش نافرة لازهار وعروق نباتية متناظرة (صورة ١٠) فوقه رخامة منقوشة مثقوبة بثقبين نهد منها انبوبان من النحاس ليمر منها الماء



الصورة رقم (١٠)

احد اجران قصر العظم

الحار والبارد الى الجرن وبأعلى الرخامة المذكورة طاقة الحرارة المؤدية الى حلل الماء ،والى جانبها جام محدث حفظت فيه نماذج من الصابون وعدة الحمام (الليفة ـ الكيس ـ الترابة الحلبية) . وفي الجنوب جرن آخر رخامي مضلع فوقه رخامة تشبه رخامة الجرن الشرقي بنقوشها ووظيفتها وفي اعلاها مشجب . وفي الجدار الشرقي والغربي اربع كتابي ذات اطر منقوشة بالجص النافر كانت تستعمل كما يبدو لوضع السرج لانارة الجواني .

اما القبة الثانية فتنفصل عـــن القبة الاولى بقوس مما يشكل ايوانا على طرفيه مقصورتان . وهذه القبة سفوحها متلاقية وهي ذات مقرنصات في اسفلها رسوم جصية نافرة . ارض هذا الايوان تشكل حشوة من الرخام المشقف يحيط بها درب من الحجر الوردي ثم اطار رفيع من الرخام ثم ميل آجرّي يليه درب رخامي ، وقد نصب في وسط الايوان تمثال لريس الحمام وقد اجلس امامه

احد الزبائن وهو يشرع في عملية (التفريك) والى جانب من الجدار الشرقي يبدو كرسي الريس وطاسته وخلفها جرن .

الى الشرق مدخل لمقصورة ذات جرنين فوقها قبة مستديرة ذات مقرنصات مشوهة، وقد جهد اثنـــاء ترميمها لاعادتها الى ما كانت عليه . وفي ارضها حشوة دائرية من الحجر الوردي يحيط بهـا ميل اسود ثم تشكيلة من الرخام الابيض والميل الاسود ، وفي جدارها الجنوبي (خلف حلل الماء) كتبية كانت مسدودة لتستعمل مغطسا .

وفي الجدار الغربي من الايوان مدخل لمقصورة مقابلة ذات قبة جميلة جدا بقرنصاتها وفيها جرنان وارضها من الرخام والحجر الاسود والوردي .

وقد حولت المديرية العامة للاثار والمتاحف هذا الحمام الى متحف شعبي كجزء من متحف التقاليد الشعبية في قصر العظم . وقد اعتبره ايكوشار من زمرة حمامات القرن ١٨ - ١٩ الميلادي . « انظر المخطط الموضح لهذا الحمام في نهاية الكتاب »

. . .

١٠ ـــ حمام القاري

ويقع شمالي مكتب عنبر وشرقي مسجد القاري (١) وقد ذكره ايكوشار . اما مدخله فمن شمالي الطريق الممتدة بين جامع القاري وجادة الخمارات ، وهـذا المدخل يوصل الى مجاز يتجه جنوبا الى البراني ، وهو ساحة فوقها ثلاثة اقواس متوازية من الشرق الى الغرب . وفي الجدار الشرقي مدخل يؤدي الى الوسطاني وقد استعمل البراني مستودعا للاخشاب ، اما الوسطاني والجواني فلا أثر لهـما ابدا وقد حولا الى فسحة سماوية مكشوفة تستعمل ايضا مستودعا للاخشاب .

. . .

---

(١) — جامع عمر يحيى السفرجلاني المعروف بجامع القاري ١١٠٩ هـ .

١١ ـــ حمام نور الدين بالبزورية

يقع في سوق البزورية ويعرف بحمام البزورية ، ويعتبر من اقدم الحمامات الدمشقية المعروفة فقد ذكره ابن عساكر في تاريخـه وذكره ابن شداد (في الاعلاق الخطيرة) وكذلك الاربلي ، وابن عبدالهادي في (عدة الملمات) والنعيمي الدمشقي في (الدارس) كما ذكره ايكوشار في جملة حمامات ما قبل القرن الرابع عشر ووضع امامه الرقم (١١٨٠ م) وقد اعتبرته المديرية العامة للاثار والمتاحف في جملة الاثار الهامة وسجلته تحت رقم س ٢ — ٧٩٠ وثبتت على بابه لافتة رخامية سجل عليها : حمام نور الدين بناه السلطان نور الدين محمود الشهيد ...

يدخل اليه من باب شرقي شارع البزورية وهذا الباب يؤدي الى مجاز يتجه شرقا حتى يصل الى درجات خمس تنتهي الى البراني ، وهو ارض مربعة يحيط بها ايوان من الشرق فوقه قوس ، وايوان صغير من الجنوب فوقه قوس ايضا ، وآخر في الشمال مثله ، اما في الغرب فهناك قوس تحته مدخل الحمام وعلى جانبيه كانت مسطبتـان . وفي الوســـط بحرة من الحجر الوردي ذات اثنتي عشرة ضلعـا في كل ضلع حشوة من الرخام مكحلة بالاسود وفي وسطها نزل وردة باللون الاجري ومركزها باللون الوردي .

يحيط بالبحرة درب من الحجر الوردي في زواياه قرن مشققة من الرخام الابيض والاسود مكحلة بالاسود ويحيط بذلك كله اطار من الرخام المشقف بالاسود والابيض محاط بدربين من الميل الاسود ثم تشكيلات من الحجر الوردي والاسود . وفوق الاقواس المذكورة سوار يضم اثنتي عشرة نافذة وفوقهـا قبة تضم اربع نوافذ في مركزها رقبة محاطة بالنوافذ تتدلى منها السلاسل .

وفي جانب الايوان الشرقي الشمالي مدخل يؤدي الى ردهة صغيرة في جنوبها مراحيض وفي شمالها مدخل الى الوسطاني ، وتظلله ثلاث قباب مستديرة يفصل بينها قوسان، والقبة الوسطى مستديرة فيها بعض المقرنصات أما القبة الشمالية فجميلة وهي اشبه بالمقصورة وقد تكون للنورة ، والقبة الجنوبية هي في الواقع اشبه بمجاز لهذا الوسطاني ، وفي جدارها الجنوبي فتحة فيها بحرة من الحجر الوردي .

وفي غربي القبة الوسطى المذكورة التي يتوسط ارضها بيت النار وتصعد بحاذاة جدارها الشرقي المدخنة (الفحل) قوس يؤدي الى الوسطاني الثاني . وهو على شكل قبة كبيرة ذات مقرنصات، وهذه القبة محززة جميلة، في زواياها الاربع امكنة لاربعة أجران وفي شمالها مدخل لمقصورتين متجاورتين يقابلها مقصورتان في الجنوب، والارض هنا من الرخام المكحل والعادي في المقصورة الجنوبية . وفي الجدار الغربي للوسطاني الثاني مدخل الى الجواني وفوقه قبة مستطيلة تمتد شمالا بجنوب ويتوسط ارضها من الشرق الى الغرب بيت النار والارض على طرفي بيت النار زريقة . وهناك في الطرف الشمالي الغربي مقصورة صغيرة ارضها رخام مكحل وفي الصدر (الغرب) حيث كانت مسطبة الحرارة لاتزال آثار جرن الحرارة.

وقد شوهت المخازن التجارية التي تشغل الوسطاني والجواني هذا الحمام حيث فتحت فيه منافذ وسدت مقاصير و كسرت رخام الارض . كما ان البراني مهمل جدا وجدرانه (مملحة) تكاد تتداعى اجزاؤها وحبذا لو اعارت المديرية العامة للاثار والمتاحف مزيدا من الاعتناء للمحافظة على اثرية الحمام .

• • •

١٢ ــ حمام القاضي

يقع في سوق مدحت باشا نزلة حمام القاضي ، اي في الجادة التي في شمال شارع مدحت باشا. ويعتبر هذا الحمام من الحمامات الدمشقية الهامة، وربما كان هو الذي

ذكره ابن عساكر بباب الجابية باسم حمام القاضي وابن شداد بالرقم /٦٦/ والاربلي بالرقم /٥٨/ وعنها ابن عبد الهادي ، كما ذكره ايكوشار والمنجد.

مدخله في غرب الجادة وهو على شكل قوس مزينة مزخرفة ومن هذا المدخل نجتاز مجازاً صغيراً نحو الغرب الى البراني ، وهو بهو فوقه قبة ذات نافذتين في مركزها رقبة ذات نوافذ وهي تشبه قبة حمام الخياطين في تكوينها (١) الا انها تفتقد نقوشها ، وهذه القبة تستند على اربعة اقواس تتلاقى على اربع دعائم .

وفي الوسط بحرة من الحجر المزي الوردي مضلعة في كل ضلع منها حشوة رخامية نزل في مركزها وردة باللون الوردي . وتحت القوس الجنوبية كان يوجد ايوان اما تحت القوس الشمالية فكان يوجد مسطبة وتحت القوس الشرقية عند المدخل كان يوجد ايوان امامه تخت العدة ــ كما حدثت ــ اما تحت القوس الغربية فكان يوجد مسطبتان يتوسطهما باب يؤدي الى مدخل صغير وبعده ردهة صغيرة الى يسارها بحرة صغيرة وفيها ايضا مقصورة النورة ومراحيض في الشمال والجنوب، وهذا مايسمى بالوسطاني .

اذا اتجهنا جنوبا ندخل الى الجواني وهو على شكل ردهة صغيرة فوقها قبة متداعية في صدرها مسطبة الحرارة يتوسطها بيت النار ، وعلى جانبيها الشمالي والجنوبي مقصورة ذات قبة و كذلك في الشرق يوجد مقصورة صغيرة ذات قبة .

وقد هجر هذا الحمام منذ حوالي خمس عشرة سنة واتخذ مخزنا ثم أهمل فتداعت بعض اركانه ، وشب مؤخرا في قسم منه حريق فاغلق نهائياً بانتظار تنفيذ الشارع ليصار الى بنائه دوراً للسكن .

• • •

---

(١) انظر حمام الخياطين بعد قليل .

١٣ - حمام الخياطين

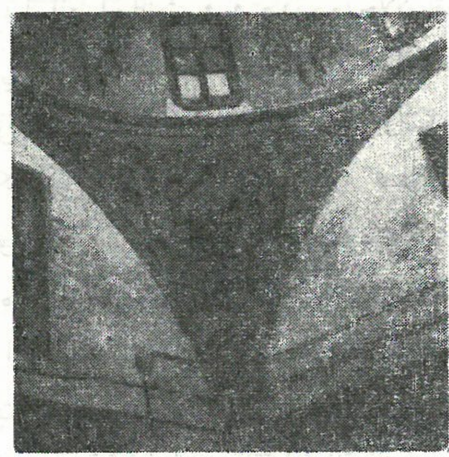
وهو من حمامات دمشق الحديثة البناء فهو لا يعود الى ماقبل القرن الثامن عشر فقد اورده ايكوشار في زمرة حمامات القرن (١٨-١٩) الميلادي كما عده المنجد ضمن الحمامات التي تعمل عام ١٩٤٧ ، ويقع في اول سوق الخياطين المتفرع عن سوق مدحت باشا ومدخله من شرقي السوق المذكور ، وهذا المدخل على شكل قوس تؤدي الى البراني وهو يكون صحنا مربعاً ذا اربع اقواس تلتقي بدعائم وفوقها قبة ذات ثماني نوافذ فوق كل نافذة تزيينات لعروق نباتية متناظرة في جميع النوافذ ، ويحيط بالنوافذ بعد التزيينات المذكورة ثماني اقواس يلتقي كل اثنتين منها على عمود ، وهذه الاقواس مزينة برسوم وورود على مهاد ازرق . وفي المركز نجمة ثمانية ينتهي كل راس منها في قمة قوس من الاقواس التي تحيط بالنوافذ ، واضلاع هذه النجمة مزينة بعروق العنب على مهاد ازرق ايضاً . وعند التقاء كل ضلعين رسم لزهرية جميلة بشكل قدح مملوء بالازهار والورود والعروق النباتية ، وبين كل ضلعين من الاضلاع الخارجية للنجمة ونهايتي قوسين من الاقواس المحيطة بالنوافذ رسم منظر جميل لاشجار او دور وقصور . وفي اسفل احد المناظر الغربية كتب باللون الاسود (شغل احمد السيروان عام ١٣٢٧) وفي مركز القبة تقوم الرقبة وهي محاطة بثماني نوافذ مع سوار في اسفل النوافذ مزين بالرسوم اما سقف الرقبة فمزين بالورود ايضا . « صورة رقم ١١ »

وعند التقاء كل قوسين من الاقواس الكبرى الاربعة التي تقوم عليها القبة رسمت مجموعة من التزيينات النباتية والورود ، وفي وسطها مناظر ضمن اطار

الصورة رقم (١١)

جانب من تزيينات القبة وجزء من رقبة القبة .

جميل في ذروته زهرية مملوءة بالورود والازهار . (صورة رقم ١٢) . امـــا



الصورة رقم (١٢)

(حمام الخياطين) التزيينات في منطقة التقاء الاقواس التي تستند عليها قبة البراني.

ما تحت الاقواس الاربعة المذكورة فكان بشكل اواوين تنتظم على اطرافها المساطب عدا القوس الغربية فايوانها مقسوم بالمدخل الى قسمين شمالي وجنوبي . وقد كان يتوسط هذا البراني بركة ازيلت اليوم وكذلك الارض كسر رخامها وفرشت بالاسمنت العادي . وفي الزاوية الشمالية الشرقية مدخل لممر يتجه شرقا ثم شمالا الى ردهة فيها مراحيض وفوقها قبة مستطيلة . ثم شرقاً حيث الوسطاني الاول ويمتد من الغرب الى الشرق ويتوسطه بيت النار وفي الصدر (الشرق) بحرة صغيرة من الحجر المزي ، وفوقه قبة مستطيلة اما ارضه فمن الرخام المكحل بالاسود ويحيط به اطار من الحجر الوردي .

وفي منتصف الجدار الجنوبي لهذا الوسطاني مدخل الى الوسطاني الثاني وهو على شكل بهو مستطيل يمتد ايضاً من الغرب الى الشرق ، فوقه قبة مستطيلة ذات مقرنصات جميلة متناظرة والارض من الرخام المشقف ويتوسطها بيت النار ، مما يشكل على طرفيه ايوانين ايوان شرقي في صدره مدخلان لمقصورتين الاولى في الشمال الشرقي ، وهي ذات قبة خاصة وارضها مفروشة بالرخام المشقف بالاسود والابيض على شكل بحرة والثانية ذات قبة مربعة وارضها مثل السابقة من الرخام المشقف ولكن بألوان سوداء وبيضاء ووردية . يحيط بها اطار من الحجر الوردي . وفي الايوان الغربي مدخل لمقصورة شمالية غربية ذات قبة ، واخرى جنوبية غربية وهذه لها مدخل على الجواني ايضاً . وفي الزاوية الجنوبية الغربية بحرة صغيرة ، وفي الجدار الجنوبي منهذا الوسطاني مدخل يؤدي الى الجواني . وهو بهو مستطيل يمتد من الغرب الى الشرق فوقه قبة مستطيلة ويتوسطه بيت النار وفي صدره كانت مسطبة الحرارة وطاقة الخزانة فازيلت وفتح مكانها باب الى (القميم) وارضها من الرخام المكحل ، وعلى طرفي بيت النار ايوان شرقي يضم مقصورتين احداهما في جوار حلل الماء . وايوان غربي يضم مقصورتين الاولى

غربية والاخرى مجاورة لحلل الماء . كما يوجد فيه مدخل للمقصورة المار ذكرها في الوسطاني .

ويشغل هذا الحمام عدد من المخازن والمحال التجارية والخياطون كذلك فيه معمل لتلميع الاقمشة (منكنة) وتنفيشها .

. . .

١٤ – حمام الخراب

ويقع في الخراب جنوبي المدرسة المحسنية الى الغرب . وقد عده ايكوشار في جملة حمامات القرن ١٨ – ١٩ الميلادي ، وعلى بابه قطعة كتب عليها .

شامنا زادت سروراً   وابتهاجاً بالمنى
فاتى التاريخ بيتا   بعد هذا للبنا
عمر اسماعيل باشا   فيه حمام المنى
١١٤١ هـ

يدخل الى الحمام من باب يقع على الطرف الجنوبي للطريق المستقيم (امتداد سوق مدحت باشا) ، والباب محاط بالحجارة الملونة المنقوشة ، وقد اتخذ الان حانوتا لبيع التبغ والتنباك ، وبالتالي سد المجاز المؤدي الى البراني الذي كان عبر هذا الحانوت . واصبح الدخول الى البراني ممكناً بعد نزع واجهة الحمام التي تسد الايوان الشمالي للبراني . وهذا البراني عبارة عن بهو كبير يحيط به اربعة اقواس في الشرق والغرب والشمال والجنوب فوقها سوارة ذات ست عشرة نافذة وفوق السوارة قبة في اعلاها رقبة مسدودة. وهذه القبة مزينة بازهار وورود في زهريات .

وبالاضافـــة الى الايوان الشمالي المذكور هناك ايوان شرقي وآخر غربي اما الجنوبي فكان فيه المدخل الى الوسطاني . وقد هدم الوسطاني والجواني والقميم ولم يبق منها اي اثر يدل عليها . وانشيء بدلا منها عدد من الغرف على الجانبين الشرقي والغربي وبعض الغرف في الجنوب . وهذا الحمام كان مرآبا ثم حول الى عدد من الحوانيت لمختلف الاعمال .

. . .

١٥ ــ حمام الموصلي

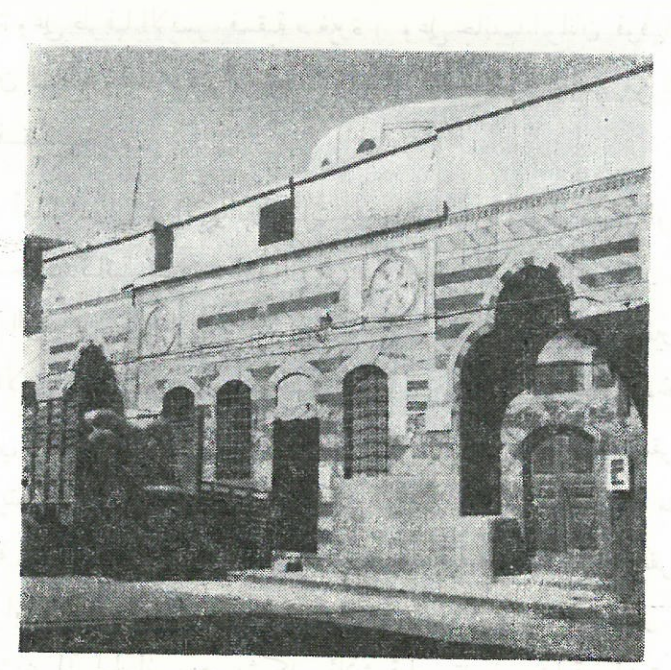
يعرف باسم حمام (ابو الوفا) ويقع في حي الميدان الوسطاني جادة (سيدي صهيب) وهذا الحمام لم يبق منه الا رسوم دارسة وقد اقيم في جزء منه حانوت بقال ، وقد ذكره ايكوشار في جملة الحمامات ذات التاريخ الظني .

. . .

١٦ ــ حمام فتحي

وهو من الحمامات الدمشقية الحديثة العهد فهو يعود للقرن الثامن عشر (١٧٤٥) الميلادي كما يذكر ايكوشار . وقد اعتبرته المديرية العامة للاثار والمتاحف نموذجاً للاثار العثمانية وسجلته برقم ٢١ . (صورة رقم ١٣)

جدد هذا الحمام كما يبدو عام ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٤ م على ايـــدي شفيق ومحمود اولاد عارف آغا النوري . ويدل على ذلك رخامة نقش عليها التاريخ والاسماء المذكورة . وهو يقع في الميدان الوسطاني غربي طريق الميدان .



الصورة رقم (١٣)

(حمام فتحي) الواجهة الخارجية

والبراني فيه عبارة عن صحن رباعي تحيط به اربع اقواس ، وتحت القوس الشمالية والجنوبية ايوانان كانت تصطف حولهما المساطب وتحت القوس الشرقية مسطبتان يتوسطهما المجاز الى ساحة البراني من الشارع ، وكذلك تحت القوس الغربية كانت توجد مسطبة الى جانبهـــا مدخل الى الوسطاني . وفي الوسط بحرة من الرخام المشقف في وسطها حشوات جميلة ، اما الارض فمن الرخام والحجر الوردي والاسود . وقـــد كانت فوق الاقواس الاربعة المذكورة قبة جميلة شوهت اثناء الثورة السورية ثم رممت .

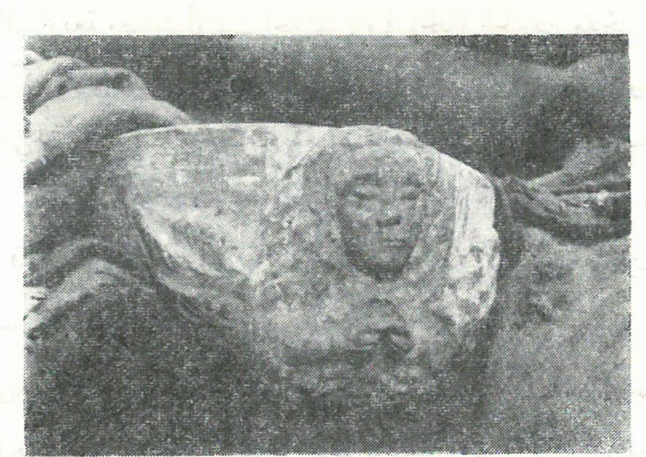
اما الوسطاني الاول فيطلق عليه اسم البراني الشتوي . وهو عبارة عن ثلاث قباب تمتد شمالا بجنوب تفصلها اقواس تستند على اقواس . والقبة الوسطى

مستديرة وعلى طرفها الايسر فسقية صغيرة (وعلى جانبيها ايوانان فوقهما القبتان الاخريان الشمالية والجنوبية وهما رباعيتان تتلاقى سفوحها وفي جانب من الايوان الشمالي فسقية صغيرة .

أما الجدران في الايوانين فذات مقرنصات نافرة وفوق مدخل الوسطاني تزيينات جصية نباتية مجردة . اما الارض فمن الحجر الاسود والوردي . ويفصل بين هذا الوسطاني والبراني ردهة صغيرة على طرفها الشمالي بجرة صغيرة وعلى طرفها الايمن مراحيض . ومن الجدار الغربي تحت القبة الوسطى مدخل الى الوسطاني الثاني ،وهو عبارة عن قبة مستطيلة تمتد شمالا بجنوب في اطرافها مقرنصات جصية ويتوسط ارضها بيت النار مما يشكل ايوانين : شمالي يتفرع عنه مقصورة ذات قبة وجنوبي يتفرع عنه ايضا مقصورة ذات قبة ، وللمقصورتين مقرنصات جصية . اما الارض فمن الحجر الاسود والوردي . وفي منتصف الجدار الغربي مدخل يؤدي الى الجواني وهو يشكل ثلاث قباب تفصل بينها قوسان تستندان على دعائم ، القبة الكبرى في الوسط ويتوسط ارضها بيت النار وفي صـــدرها مسطبة الحرارة وفوقها قوس فوقهـــا رسوم جصية نافرة لعرق نباتي وعلى طرفي هذه المسطبة مصب لجرنين لاتزال آثار صنابيرهما واضحة وبالتالي تشكل القبتان الجانبيتان مايشبه الايوانين على طرفي بيت النار ويتفرع عن كل ايوان مقصورتان لكل منها قبة . والارض مبلطة بالحجر الوردي والاسود مع تربيعات رخامية . (الصورة رقم ١٤) .

وقد حول هذا الحمام الى مستودع للحبوب منذ مدة وجيزة واعترضت المديرية العامة للاثار والمتاحف على تحويله واقامت الدعوى على اصحابه .

وقد حدثني مستأجره ان اصحابه على استعداد لاعادته حماما اذا وجد الراغب المناسب .



الصورة رقم (١٤)

احد اجران حمام فتحي وقد تكدست فوقه شوالات الحبوب

١٧ ـــ حمام الجديد

يقع هذا الحمام في الميدان الفوقاني السلطاني ،على الطريق العام غربا ،وفوق بابه تاج من الحجر النافر على شكل ورود وعروق نباتية .وقد جدده الحاج سليم النوري. وصنفه ايكوشار في جملة الحمامات ذات التاريخ الظني كما ذكره المنجد .

البراني الماثل الان على شكل بهو يتوسطه اربع اقواس يرتكز عليها منور كالرقبة تحيط به ست عشرة نافذة . هذه الاقواس تحجز ايوانا في الشمال واخر في الجنوب ، ولا تزال بقايا مسطبتين على طرفي الباب في الشمال والجنوب . وفي الغرب ايوان بالقرب منه نحو الشمال مدخل يؤدى الى فسحة فوقها قبة يتفرع عنها الى الشرق مراحيض . والى جانب منها بجرة صغيرة من الحجر الوردي ثم مدخل الى الوسطاني ، وفوقه قبة مستطيلة تمتد شمالا بجنوب وفي الجنوب بجرة من الحجر الوردي . وفي وسط الجدار الغربي مدخل الى الوسطـــاني الثاني ، وهو ردهة ذات قبة مستديرة ذات مقرنصات نافرة على شكل محاريب بسيطة ، ويتوزع

على اطرافها اربعة مصبات أزيلت اجرانها . وفي الجدار الجنوبي مدخل لمقصورة صغيرة وكذلك في الشمال وكلتاهما ذات قبة مستديرة . وفي الجدار الغربي مدخل الى الجواني (الحرارة) يتوسطه كما يتوسط الوسطاني الثاني بيت النار ، وفي صدر هذا الجواني لاتزال مسطبة الحرارة وطاقة الخزانة في مكانهما . وفوق هذا الجواني قبة مستديرة ذات مقرنصات وهذه القبة تتصل بقبتين مجاورتين الى اليمين والى اليسار منها بواسطة قوسين تستندان على دعائم مما يشكل مايشبه الايوانين على جانبي بيت النار . وفي الايوان الجنوبي باب في الجدار الشرقي يؤدي الى مقصورة صغيرة ذات قبة في صدرها مصب لجرن ازيل . اما الايوان الشمالي ففوقه قبة مستطيلة ويتفرع عنه في الشرق مدخل لمقصورة في صدرها جرن . كما يتفرع في الغرب مدخل لمقصورة ذات قبة في صدرها مصب لجرن ازيل وهذه المقصورة خلف حلل الماء كانها داخلة في القميم . « الصورة رقم ١٥ » .

الصورة رقم (١٥)

(حمام الجديد) يبدو في اسفل الصورة طاقة الخزانة والقوس التي فوق مسطبة الخزانة وبعض التزيينات الجصية النافرة

وقد اغلق هذا الحمام – كما حدثت – منذ حوالي عشرين سنة فحول الى قاعة لصنع النشاء ثم الى منشرة في البراني والوسطاني ، واتخذ الجواني والقميم دوراً للسكن .

. . .

١٨ – حمام التوتيه

ويقع في الميدان الفوقاني-سلطاني-جادة شيخ حرب، شمالي الملجأ. ويدخل اليه من باب عادي جداً الى ردهة صغيرة مسقوفة، والى الشمال منها باب يؤدي الى البراني. وهذا البراني يشكل بهواً تحيط به اربع اقواس. تحت القوس الجنوبية ايوان سقفه مدعوم بقوس اخرى ويصعد الى هذا الايوان بثلاث درجات . وفي الشرق مسطبة يرقى اليها بثلاث درجات ايضا والى جانبها (تخت العدة) ، وفي الشمال ايضا مسطبة يرقى اليها بثلاث درجات وامامها (تخت المعلم) وفي الغرب مسطبة يرقى اليها بثلاث درجات ايضا .

واثنتان من الاقواس الاربعة المذكورة (الشرقية والغربية) يستند عليهما منور على شكل رقبة يحيط بها اثنتا عشرة نافذة، اما القوسان الشمالية والجنوبية فليسا قوسين بكل معنى الكلمة بل انحناء بسيط يستند على ذروته سقف الايوانين ونهايتا هاتين القوسين تستندان على دعائم القوسين الكبيرتين الشرقية والغربية ، الارض في هذا البراني مبلطة بالرخام المكحل مع بعض تربيعات من الرخام المشقف وفي الوسط بحرة مثمنة الاضلاع وفي وسطها كأس من الرخام وهذه البحرة من الحجر المزي ويتوسط كل ضلع من اضلاعها حشوة رخامية مكحلة بالاسود والاجري على شكل متتال وفي مركز الحشوة نزلت قطعة رخامية

باللون الاجري بشكل وردة .. والاقواس مزينة بوردات وازهار واوراق متتالية . أما الجدران فمزينة بمناظر مرسومة عليها ، ومرايا مصدفة من النوع المصري وفي الشمال الشرقي باب يؤدي الى ممر في شرقه مراحيض ، واذا انعطفنا شمالا نصل الى ردهة فوقها قبة وفي القرنة الشمالية الشرقية من هذه الردهة فسقية صغيرة من الحجر الوردي ، وارض هذه الردهة من الحجر الوردي والرخام . وفي الغرب مدخل يؤدي الى الوسطاني . وهو عبارة عن بهو دائري فوقه قبة

ويمر في وسطه بيت النار وفي الجدار الجنوبي مدخل لمقصورتين الاولى مهملة والثانية للنورة .

وفي جنوب بيت النار ايوان فيه جرن فوقه مصب للمياه على شكل رخامة منقوشة بورود وعروق وفي الشرق مقصورة ذات قبة يصعد بجوار جدارها الشرقي (صليبة الفحل) المدخنة . وقدشد بجوارها شريط كانت تنشر عليه المناشف ، وعلى طرف بيت النار الشمالي شبه ايوان يتصل بواسطة قوس بفسحة ذات قبة خاصة . وفي صدره (الشمال) مسطبة وفي شرقه وغربه مكان لجرنين ، والارض هنا مبلطة بالرخام مع بعض دروب من الحجر الوردي .

وفي الجدار الغربي مدخل الى الجواني (الحرارة) وفوقه قبة مستطيلة وفي صدره (الغرب) مسطبة الخزانة ، وفوقها قوس وعلى جانبيها جرنان ، ويتوسط هذا الجواني بيت النار وعلى جانبيه ايوانان ، ايوان شمالي ذو ثلاثة اجران احدهما جرن الحرارة المذكور آنفا قرب مسطبة الخزانة من ناحية الشمال .

وفي الجدار الشمالي لهذا الايوان مدخلان لمقصورتين في كل منهما جرنان وفوق كل منهما قبة وارضها رخامية .

وفي الطرف الجنوبي لبيت النار ايوان مشابه للشمالي فيه ثلاثة اجران

احدها جرن الحرارة المذكور آنفاً بجوار مسطبة الحرارة من ناحية الجنوب . وفي الجدار الغربي مدخل لمقصورة ذات جرن واحد ارضها رخامية وفوقها قبة مقرنصة .

وقد ذكر هذا الحمام ايكوشار كما ذكره المنجد ، وقد استمر هذا الحمام يؤدي وظيفته كحمام حتى عدة سنوات خلت حيث احتج اهل المنطقة المجاورة على مدخنته المنخفضة ، ولما لم يعد بالامكان تعلية تلك المدخنة بسبب ارتفاع المباني الحديثة حوله ، اضطر اصحابه لتوقيفه عن العمل .. وهم يفكرون الان بهدمه وتشييد بناء حديث مكانه .



الفصل الرابع

الحمّام وأقسامه

اذا كان الوطن العربي مهداً لحضارات فذة ، تلاقحت مع جارات لها من اليونان والرومان ، خلال حقبة طويلة من الزمن ، فان العرب استفادوا من هذا التراث وصهروه في بوتقتهم وصبوه في قالب يناسب وجودهم .. ومن ذلك الحمام . فلقد اخذه العرب عن الرومان واليونان ثم اقبلوا عليه في عصر الحضارة وفترة الانغماس في الملذات والترف ، على الرغم مما ورد في ذمه ، فقد ورد في كتاب الاستاذ ادم ميتز استاذ اللغات الشرقية في جامعة بازل في سويسرا في كتابه (الحضارة الاسلامية) في القرن الرابع الهجري عن « مطالع البدور » انه يحكى عن الزمخشري ان رسول الله ﷺ قال انه (يكره ان يعطي الرجل امرأته اجرة الحمام لانه يكون معيناً لها على المكروه) .

وحدثني احد علماء الدين انه روي عن النبي ﷺ انه قال ما معناه : « ستفتح عليكم بلاد الشام وفيها ما يقال له الحمامات ، فاحذروها ففيها الاختلاط وكشف العورات » .

وروي ان الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال في ذم الحمام : « بئس البيت الحمام ، تكشف فيه العورات ، وترتفع فيه الاصوات ، ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله » .

وهـذا ما جعل المسلمين يتحرجون من دخول الحمامات في اول امرهـا لكثرة ما اثير حولها من نقاش . الا انها ما لبثت ان انتشرت بعد ذلك بكثرة في اصقاع العالم العربي وزادت كثرتها حتى بلغت اقصاها في بلاد الشام . كما اصبحت الحمامات بما فيها من نيران واحواض (١) ساخنة وابخرة حارة موضوعاً طريفاً للشعراء والكتاب .. وقد كان العرق المتصبب من رواد الحمام بسبب الحرارة مثاراً لقرائح الشعراء :

لم ابغ بالحـمام طيب تنعم — افنى البكاء دموع عيني اجمعـا
فبكيت فيه اسى بجسمي كله — حتى كأن لكل عرق مدمعـا

كناية عن انبثاق العرق من كل مسام الجسم حتى كأن بكل عضو عيوناً تبكي ..

وقد قال في الحمام الرقاش مدحا (٢) :

الحمام يذهب القشافة ويعقب النظافة ويفش التخمة ويطيب النغمة .

وقال فيه هجاء : يهتك الاستار ويولد البخار ويذهب الوقار .

وقال بعضهم (٣) اللذات خمس : لذة ساعة وهي الجماع ولذة يوم وهي الحمام ولذة جمعة وهي النورة (٤) ولذة حول وهي تزوج البكر ولذةابد وهي في الدنيا محادثة الاخوان وفي الاخرة نعيم الجنان .

---

(١) — ملامح من المجتمع العربي محمد عبد الغني حسن . سلسلة اقرأ العدد (١٠٢)
(٢) — القاسمي قاموس الصناعات الشامية الجزء الاول صفحة (١٠٩) .
(٣) — المرجع السابق صفحة (١١٠) .
(٤) — دواء ازالة الشعر في الحمام .

ومن جهة اخرى اضافت الحمامات الى فن الريازة (العمارة) العربي كثيرا من الغنى والجمال . بما حوته وبما ابدع فيها من الفن الانيق المترف ، على شكل نقوش وزخارف زينت بها الارض والجدران . وقد وصف عمر بن مسعود الحلبي المعروف بالمحار نقوش حمام سيف الدين بقوله :

وخط فيها كل شخص اذا — لاحظتـه تحسبه ينطق
ومثّل الاشجار في لونهـا — ولينها لو انهـا تورق
اطيارها من فوق اغصانها — بودهـا تنطق او تزعـق

زد على ذلك المقرنصات في زوايا الجـدران وعقود الابواب ، وبللور النوافذ الزاهي الالوان الذي جمع باشكال تتصل ببعضها بواسطـة اضلاع خشبية معقودة على نمط الخط العربي باشكال هندسية بديعة التكوين . مما جعل كل نافذة عندما تمر منها اشعة الشمس اشبه (بسمفونية) الوان وظلال واضواء تدفق منها الاناقة والجمال والرشاقة . اما الاثاث والرياش ووسائل الراحة ، واصول الخدمة المختلفة الظروف فلها طابعها الفريد في اصوله وتقاليده ولا تزال بقاياه سائدة حتى اليوم .

. . .

وقبل ان ندرس الحمام الدمشقي لابد من عرض سريـع لموضوع الحمامات في القطر العربي السوري فهو موضوع يعتبر من اهم المواضيـع واطرفها لان السوريين القدماء كانوا يعتبرون موضوع النظافة أمراً أساسياً ، لذا شيدوا عدداً كبيراً من الحمامات يعتبر ماتبقى منها خير دليل على مدى اهتمام السوريين بالنظافة وميلهم الى تشييد الحمامات .

وقد كانت الحمامات في اول امرها بسيطة في مخططاتها ، وتتألف من غرفتين احداهما للرجال والاخرى للسيدات وغرفة خاصة بالموقد المشترك لتزويد الغرفتين بالمياه الساخنة . ثم اخذ مخطط الحمام يزداد تعقيداً شيئاً فشيئاً على ضوء المتطلبات الحديثة وما توصل اليه الانسان من نظريات ومعارف . . حتى انه يمكن القول بان الحمامات السورية في عصر الامبراطورية الرومانية كانت تتألف من الاقسام الرئيسية التالية :

١ ــ قاعة الحمام الباردة (فريجيداريوم : Frigidarium)

٢ ــ قاعة الحمام المعتدلة (تيبيداريوم : Tepidarium)

٣ ــ قاعة الحمام الساخنة (كالداريوم : Caldarium)

وقد كانت تختلف اهمية هذه الاقسام بحسب طقس المنطقة ومستوى الحياة الاجتماعية فيها ، اضف الى ذلك أن بعض الحمامات كانت تحيط بها البساتين وتزينها الاروقة الجميلة . كما أن هناك حمامات كانت تشتمل ايضا على ملعب (جمناز Gymnasium) وقاعات اجتماعات يجد فيها المواطنون كل ما ينشدونه من راحة ولذة التمتع بالتحدث مع الاخرين . كما ان هناك بعض الحمامات التي كانت لا تخلو من مكتبة .

والجدير بالذكر ان هندسة الحمامات كانت على جانب كبير من الدراسة وكان موضوع التهوية ذا اهمية خاصة فكانت تجعل للحمام فتحة مستديرة في وسط القبة تغطى بقرص يرفع عند الرغبة في التهوية . كما ان موضوع جر المياه باقنية وتفريغ هذه الاقنية وتوزيع مياهها وزيادة حرارتها . . كان له اهميـة خاصة . فقد كان الماء يوضع في خزانات كبيرة ويوزع باقنيـة من الرصاص او غيره . . وكانت المياه تنقل من خزان الى آخر ، وكان عدد هذه الخزانات يبلغ الثلاثة ، حيث كانت المياه تنقل من الخزان البارد الى الدافيء الى الخزان الحار . وكان المهندس يهتم ايضاً بتأمين الدفء لقاعة الحمام ويتخذ كل ما من شأنه ان يحافظ على

حرارة المــاء . لذا كانت الحرارة توزع بشكل يجعل الدفء منتشراً داخل الجدران وتحت الارض .

ولا شك أن اهمية الحمام كانت تختلف من منطقة لاخرى تبعا لكثافة السكان فيها ومع ذلك فقد كانت سعة الحمام تبلغ احيانا درجة يمكن معها ان تضم سكان المدينة بكاملهم . . والجدير بالذكر انه ليس هنالك في الحمامات القديمة مكان لا لزوم له لان الحمامات كانت تبنى بعد دراسة تجعلنا نرى في كل زاوية من زوايا الحمام ترتيبا وتنظيما مسبقا . . .

واخيرا لابد ان نشيد بعبقرية المهندس القـديم الذي احسن في دراسة وبناء الحمام وربط اجزائه بممرات ودهاليز حسنة التوزيع .

ودمشق هي احدى مدن القطر العربي السوري التي تشتهر بحماماتها الانيقة البنيان والحسنة النظافة . ويتألف الحمام الدمشقي من اقسام وردهات ومقاصير لها اسماء محلية خاصة ولكل منها وظيفة تتميز بها : وسنحاول فيما يلي دراسة حمامات الدور الدمشقية والحمامات العامة وقد ذكرنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب دراسة عن حمامات القصور اعتبرنا حمام قصر العظم نموذجا لها . .

حمامات الدور الخاصة

تتميز الدور الدمشقية بتلاصقها وامتدادها الافقي وانعـدام النوافذ والشرفات المطلة على الطريق العام وسبب تلاصقها يعود الى عدم الاستقرار وفقدان الامن ايام بنائها ، ولهذه الاسباب قد تتفق عدة بيوت وتعمل لنفسها بابا خارجيا مشتركا يغلــق في المساء وفي ايام الاضطرابات . . ومن جهة اخرى كان عميد الاسرة يفضل ان يسكن معه اولاده ، وزوجاتهم في نفس الدار او قريبين منه .

وهكذا نجد المساكن متلاصقة متداخلة بحيث ترى غرفة داخلة في دار الجيران وغرفة مغطية الطريق العام (صيبات) لتركب جدار الجيران .. اما سبب امتدادها الافقي فيعود الى طبيعة المواد التي بنيت منها ؛ وقلة كثافة السكان آنذاك وضآلة اثمان الارض ايضا . أما مساحة تلك الدور وامتدادها فتتحكم فيها ظروف النفوذ وسيطرة بعض العائلات في الاحياء المختلفة من المدينة ، حتى ان المتنفذ كان يستطيع من اجل بنـاء داره او قصره ان يغتصب حقوق الدور الاخرى بل وحمامات المدينة العامة ، وبعض طواحينها ..

وانعـدام النوافـذ والشرفات (فاراندات) هو الطابع المميز السائد وان وجدت فيوضع لها خصاص خشبية تحجب عنها انظار المارة وذلك امعانا في ستر المرأة ، اما في الواجهات الداخلية فتكثر النوافذ وتنتشر الخضرة من الاشجار والزهور ، كما قد توجد بحرة كبيرة ، او اكثر في الباحة العامة تساهم في تأمين الطراوة والرطوبة وجو الالفة والانس في المنزل ..

اما المخطط والهندسة المعمارية (الريازة) فأنها تكاد تتشابه الى حد كبير في خطوطها العامة ، والاختلافات تكون في التفاصيل ومردها الظروف المادية والاجتماعية لاصحابها . وهكذا نجد مساكن الفئات الفقيرة بسيطة لاتعنى بالزخارف والتزيين .. كما نجد بيوت الفئات الغنية مستكملة لكافة الشروط الصحية وجميع ضروب الرفاهية ففيها الغرف والمربعات والصالات والقاعات .. كما انها تكون عادة مؤلفة من طابقين ، ارضي لقضاء فصل الصيف ، وعلوي لفصل الشتاء ويصعد اليه بدرج حجري اوخشبي وفيها جناح خاص لاستقبال الضيوف يسمى البراني او المضافة (السلاملك) وجناح للسيدات وهو القسم الداخلي الذي تحدثنا عنه أنفا . كما يوجد فيها مقسم للخدم والحرس (١) . ومن متممات هذه الدور : الحمامات .

(١) انظر كتابنا فنون وصناعات دمشقية صفحة (١٦٣) .

وهذه لاتختلف في جوهرها ووظيفتها واقسامها عن الحمامات العامة في الاحياء . الا ان العناية فيها اكثر والنظافة اوفر والشروط الصحية اكثر ملاءمة .. ويمكن القول انها صورة مصغرة عن حمامات السوق من حيث عـدد المقاصير والاجران واتساع الاقسام من براني ووسطاني وجواني . . وهذا طبيعي لانها خاصة بعائلة واحدة .

فالبراني يحتل جانباً من المطبخ حيث الموقد الذي يساعد على تسخين ماء الحلة وبالتالي يمكن التحكم بحرارة المياه تماما كالتنور في القميم . وفي هذا البراني بحرة (فسقية) تتمون من حق الدار من مياه المدينة الموزعة بواسطة الطوالع . وفي هذه البحرة هارب يتصل بالحلة وبالتالي ينقل اليها المياه ، التي توزع من الحلة الى المغطس والاجران بواسطه شبكة قساطل فخارية ممددة في الارض توزع بدورها المياه . كما يوجد في جانب من البراني مسطبة في اعلاها عدة مشاجب لتعليق الثياب .

اما الوسطاني : فيمثل ردهة في جانب منها بيت الراحة (مراحيض) وفي اطرافه مسطبة كالحمامات العامة تماما : وفيه تبدأ الحرارة .

والجواني يشمل ايوانا صغيرا تتفرع منه مقصورة داخلية يتصدرها جرن خاص لكبير العائلة . كما يوجد مغطس (مثل البانيو اليوم) وهو لايقل استيعابا عن قلتين من المياه وفيه تتوفر الشروط الشرعية من حيث العمق وافاضة المياة عند الغطس اذ تفيض تلك المياه الى مصرف خاص وفي نفس الوقت تتجدد . وفي هذه المقصورة ايضا طاقـة (كوة) تؤدي الى المطبخ (البراني) حيث يمكن طلب تعديل حرارة المياه او زيادتها .

اما ارضية الحمام فلا تختلف عن ارضية حمام السوق بل انها اكثر عناية واروع جمالا وتفننا من حيث الوحدات الهندسية وتناسق توزيع الوان الرخام

والبلاط . وهي مرفوعة على ركائز بحيث يصبح تحتها مفرغا يسمح بانسياب بقايا الاحتراق بين تلك الفراغات مما يساعد على تدفئـــة الحمام ، والجدران ايضا مزدوجة (اي مفرغة) مما يساعد على تصاعد الدخان والبقية الباقية من الاحتراق الى المدخنة العامة .

وسقف هذا الحمام يتألف من عدة قباب ثبت فيها عدد كبير من القناديل المقلوبة « المعروفة باسم القماري » (١) ووظيفتها تأمين الاضاءة للحمام ، وجعله كباحة الدار حسب وضع الشمس . والابواب الفاصلة بين المقاسم ستارة من الخشب تتحرك على لولبين ثبتا في اعلى الباب واسفله يطلق على الواحد منها اسم « زعرور » وتغلق بدون «دقر» ، وسبب ذلك التحسب من حدوث حوادث الاغماء في الحمام وضرورة الانقاذ باسرع ما يمكن .. اما الخروج فيكون من الجواني الى غرفة في الدار كي لا يتعرض المرء للسعات البرد ...

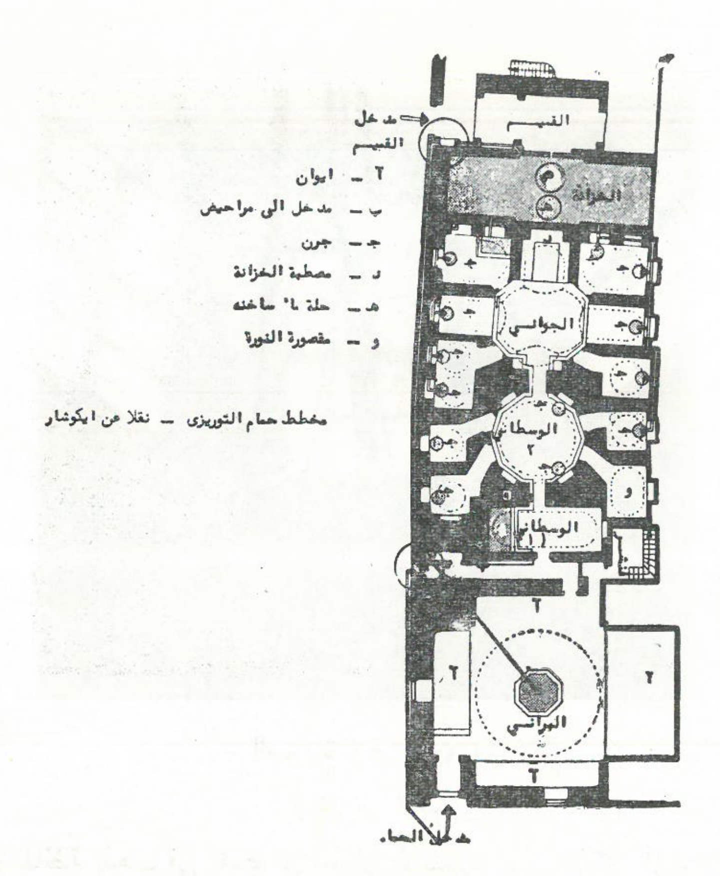
وباعتبار ان هذه الحمامات تقتصر على الدور الكبرى في دمشق فان الجوار من الحي المقربين كثيراً ما يدعون للاستحمام فيها في بعض المناسبات كالاعياد والحج وما شابه ذلك .

الحمامات العامة

ولو قمنا بجولة خاطفة في حمام ما فلا بـــد لنا من المرور في الاقسام التالية : — (رسم رقم ٢)

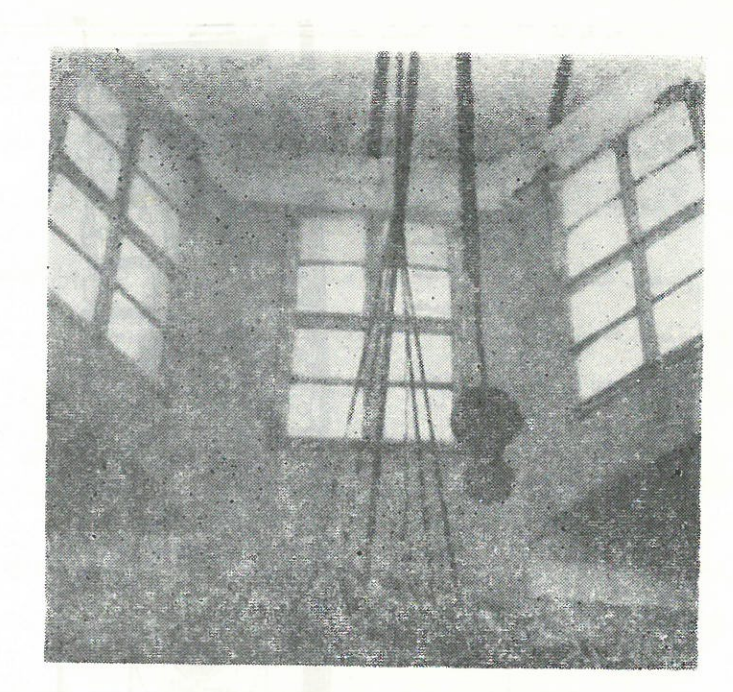
١ — **البراني** : ان الداخل الى الحمام يجد نفسه في ميدان البراني . وهو عبارة عن باحة مسقوفة بعقود تتلاقى في قبة تصطف في جوانبها النوافذ الملونة بالزجاج وفي اعلاها رقبة ترتفع مشكلة ما يشبه المنور او البرج «صورة رقم ١٦» وهو

(١) جمع قمرية تشبيها لها بالقمر ..



(الرسم رقم ٢)

مؤلف من مجموعة نوافذ تجتمع لتكون ختمة القبة ويتخذ البراني شكلا رباعيا تنتصب في وسطه بحرة من الرخام الملون المجموع على اشكال هندسية بديعة . وفي وسطها نافورة تنطلق منهـــا المياه الى الاعلى لتعود على شكل رذاذ ينشر الرطوبة والنشاط في البراني . وقد تنطلق المياه من افواه تماثيل على شكل رؤوس حيوانية .. اما اطراف البحرة فيوضع عليها اصص النباتات ، وفي احد جوانب البحرة يطفو بالوع يسمى (الفائض) ومهمته تصريف ما يفيض من المياه الى قناة خاصة تذهب بها الى اماكن الراحة (المراحيض) وقد كانت هذه

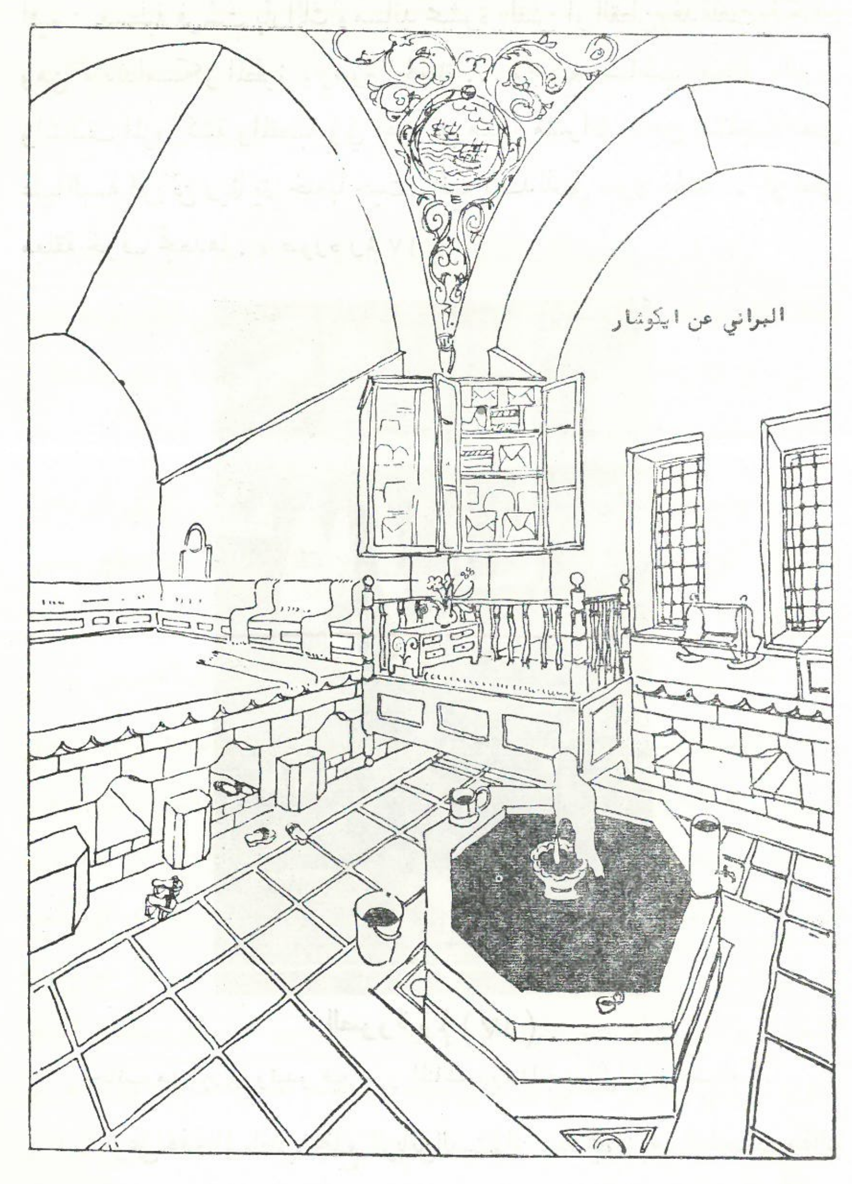


الصورة رقم (١٦)

جانب من الرقبة

المياه الفائضة تذهب في القديم الى اجران الاستحمام حيث تشكل المياه الباردة، وما يفيض منها كان يخزن في (حاووظ) تستخدم مياهه عندما تنقطع المياه لسبب ما كي لا يتعطل الحمام .. (رسم رقم ٣)

اما الارض فمرصوفة بحجارة مصقولة وردية وسوداء باشكال بديعة وقد تتخللها تشكيلات بديعة من الرخام كأنها تحرص على عدم ترك اية منطقة منها خالية من الرسوم الهندسية وهذا ما يطلق عليه اليوم اسم النفور من الفراغ .. لذا نرى الاشكال الهندسية تتالى في انتظام وتناظر بديع متشابه الوحدات .. والجدران ايضاً مزدانة بالرسوم والصور والسجاد والايات القرآنية والحكم والمرايا والثريات وعبارات الترحيب والتبريـــك للزبائن ، وهي بصورة



الوسم رقم (٣)

عامة مؤلفة من اقواس حجرية تستند عليها القبة كما ذكرنا ، وتحت كل قوس اقيمت مسطبة فرشت بأرائك ومساند محشوة بالقش او القطن وقد غلفت بالكتان ومن ثم بالدامسكو المطرز بالرسوم الجميلة ... وجميع المساطب مجللة بالفوط والمناشف المزركشة والمقصبة وفي أعلى كل منها (مشراط) من المشاجب تعلق عليها البسة الزبائن ريثما يتم خلعها حيث توضع بعدئذ في صرر خاصة . او تبقى معلقة خوف تجعدها . « صوره رقم ١٧ »

الصورة رقم (١٧)

جانب من البراني وتبدو فيه صرر المناشف ومشاجب الثياب وتخت العدة.

وعلى هذه المساطب يخلع الزبائن البستهم او يستريحون بعد استحمامهم وغالبا ما يوجد في ميدان الحمام (مشلح) منفرد يسمى القصر وهو خاص بالزبائن الممتازين ،

يصعد اليه بدرجات مجللة بالسجاد . والقصر مفروش كالمساطب الا ان العناية به مبالغ فيها والاهتمام اكثر ..

ومن القبة تتدلى ثريا تتألف من عدة (كازات) مصابيح وهذه تنزل كل يوم الى الارض بواسطة حبل وبكرة مثبتة في السقف لتزيينها وانارتها ثم ترفع ثانية .

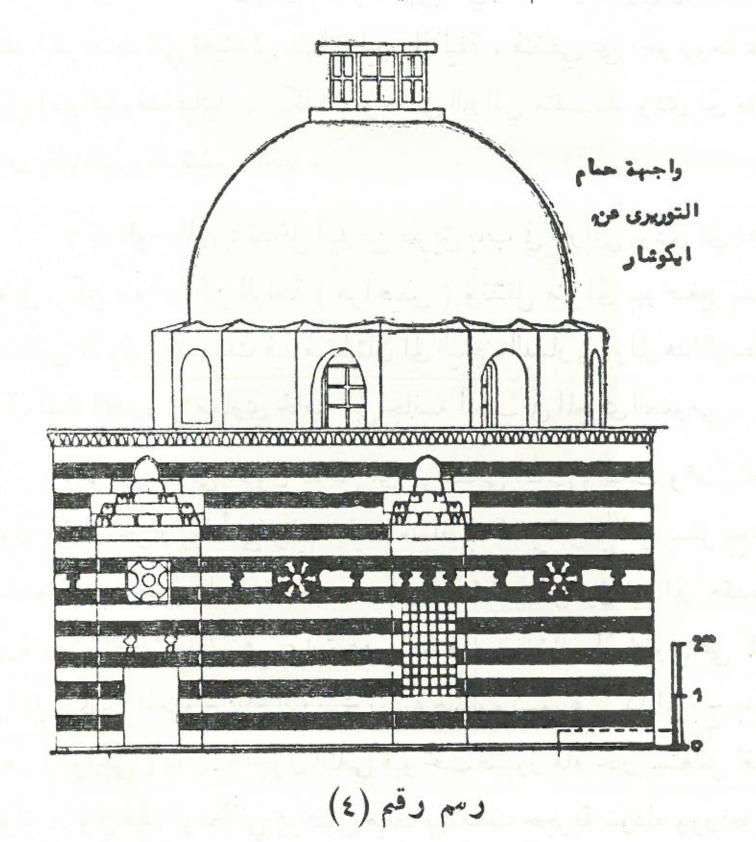
وقد اصبحت هذه الثريات تنار بالكهرباء في هذه الايام . وفي زوايا البراني تنعقد المقرنصات التي تعشعش عليها الطيور الاليفة ، فتضفي على الجو روحا عذبة بهديل اصواتها ومداعباتها .. كذلك يوجد في البراني منفذ يؤدي الى منشر خاص بالمناشف وقد تنشر داخله .

٢ ـ الوسطاني : ندخل اليه عن طريق باب في البراني يؤدي الى دهليز تقع في ركن منه اماكن الراحة (مراحيض) وتنتقل منه الى بهو صغير يسمى الوسطاني الاول وقد مدت فيه مسطبتان الى اليمين واليسار ... والى هذا الوسطاني تساق المياه القذرة في مجاري خاصة على جانبيه لتصب في المجرى العمومي .

ومن الوسطاني الاول ندخل الى الوسطاني الثاني والثالث وهما مثل الاول الا ان حرارتهما أعلى وفيهما ايضا مساطب خشبية ومجالس يستريح عليها المستحمون ليعاودوا اتمام استحمامهم .. وفي احدهما مدخل يؤدي الى مقصورة النورة (لازالة الشعر) وهي عبارة عن غرفة فيها جرنان الاول يحتوي على كمية من لبن الكلس الممزوج بمادة الزرنيخ بنسبة ضئيلة ويسمى هذا المزيج بدواء الشعر (واجبي) اما الجرن الثاني فهو تحت صنبور ماء حار يستعمل لغسل الدواء .. وفي هذا الوسطاني يمر ممشى مبلط ببلاطات حجرية سوداء ووردية يمر من تحتها الدخان ، وبقايا الحرارة التي تسخن المياه . ويسمى هذا الممر بيت النار وعلى جانبي بيت النار يوجد ايوانان (ليوانان) يحوي كل منهما اجرانا عليها

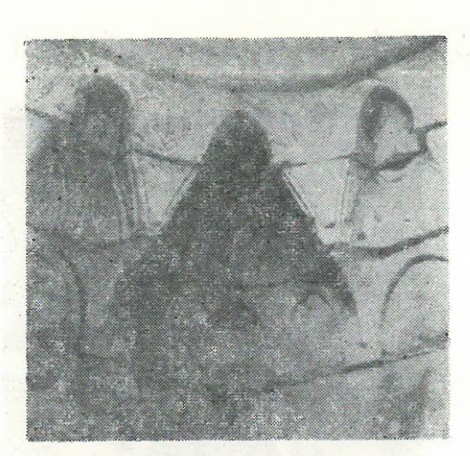
صنابير للمياه الحارة والباردة ، وكثيراً مايتحلق الزبائن حول هذه الاجران في فصل الصيف لانها ألطف حرارة من الجواني . كما يتفرع عن الايوانين عدة مقاصير تستخدم للاستحمام ايضا في فصل الصيف .

٣ ـ **الجواني** : وهو القسم الداخلي من الحمام ويتألف ايضاً من ممشى اوسط يسمى بيت النار وهو **اشد** حرارة من الوسطاني وعلى جانبيه ايوانان تتصدرهما الاجران (رسم رقم ٤) التي تتدفق اليها المياه الحارة والباردة ، ومن



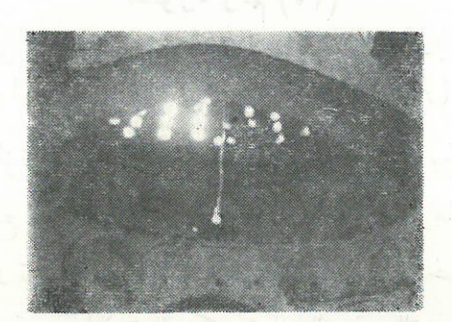
رسم رقم (٤)

حولها مجاري المياه الفائضة . وعلى جانبي كل ايوان وفي صدره تنفتح ابواب ذات اقواس (صورة رقم ١٨ وصورة رقم ١٩) معقودة من الاجر او الحجر



الصورة رقم (١٨)

بعض المقرنصات التي تستند عليها القباب

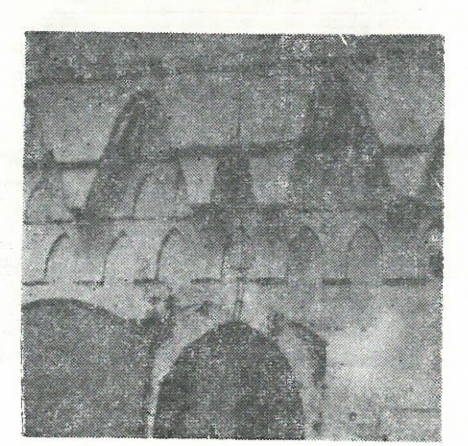


الصورة رقم (١٩)

تبدو القنطرة التي تفصل الايوان عن المقصورة
وفي الصدر تبدو بعض المقرنصات والقمريات

مزينة بنقوش من الجص . وتؤدي هذه الابواب الى المقاصير . والمقصورة هي غرفة فيها جرن او اكثر يتسع كل جرن لاربعة اشخاص .. وجدران المقاصير والجواني والوسطاني مطلية (بالكلسة العربية) المؤلفة من لبن الكلس وقشر القنب المفروم ومن القصرمل (كالاسمنت) وقد تطورت هذه الكلسة اليوم واصبحت الجدران مبلطة بالبلاط لارتفاع (٢٫٥) متر وفي الاعلى كثيراً

ماتنتشر التزينات الجصية المختلفة . (صورة رقم ٢٠) أما الارض فمبلطة بحجارة



الصورة رقم (٢٠)

بعض المقرنصات في الوسطاني ويشاهد الباب الفاصل
بين الوسطاني والجواني وكيف يدور على (زعرور)

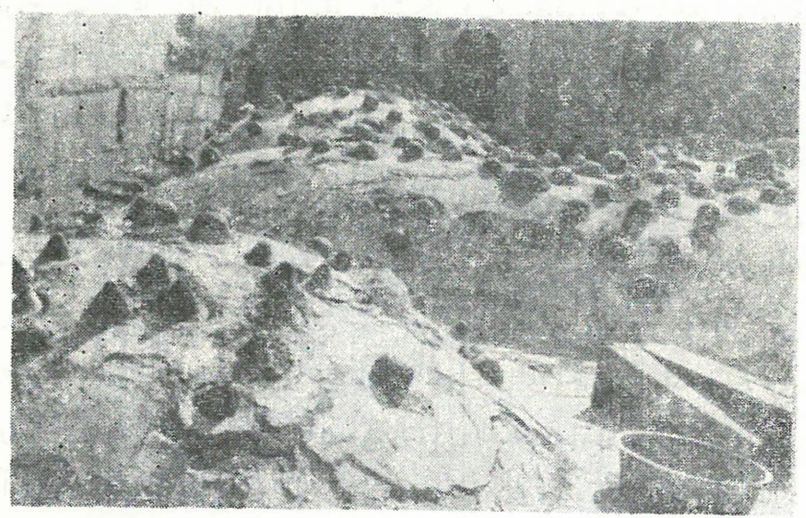
مزية (نسبة الى المزة) موردة او سوداء مع رخام مشقف وخيط عربي. وعدد المقاصير حوالي اربع مقاصير في الوسطاني الثالث او الثاني ومثلها في الجواني. وفي صدر بيت النار توجد مسطبة يستريح عليها الناس فور دخولهم الى الجواني او في فترات الراحة من الاستحمام كي يتحلل العرق والتعب من اجسامهم ، مما يسهل غسلها بسرعة وسهولة . وفي جدار هذه المسطبة توجد ثغرة (طاقة) يتراوح قطرها (٣٠ — ٤٠) سم تؤدي الى حلل المـــاء . ومنها يصرخ التبع (١) على القميمي (٢) لتعديل حرارة الماء زيادة او نقصانا حسب رغبة الزبون . ويساق الماء الى الاجران من الحلل الساخنة والحاووظ الحار بواسطة مجاري فخارية (قساطل) خاصة تمرر في الجدران . وعند الاجران تثقب تلك

(١) التبع : عامل الخدمة في الحمام . انظر بحثنا عن العمال واختصاصاتهم .
(٢) القميمي : عامل الوقود في الحمام . انظر بحثنا عن العمال واختصاصاتهم .

القساطل لتجري منها المياه الحارة عند اللزوم وتسد بسدادات خشبية على شكل (قرمية) قطرها (٢٥) سم مثقوبة بثقب يسمى (قرع) يسدباصبع خشبية عند خلو الجرن من الزبائن . . كما يدفأ الجواني برش المـــاء على بلاط بيت النار فيتصاعد البخار وتزداد الرطوبة ويدفأ الجو . اما المـــاء البارد فيصل الى الجرن بواسطة شبكة خاصة كانت تتمون من مياه الانهار عن طريق فائض بحرة البراني الا انها اصبحت اليوم تتمون من مياه الفيجة او من بئر خاصة في الحمام .

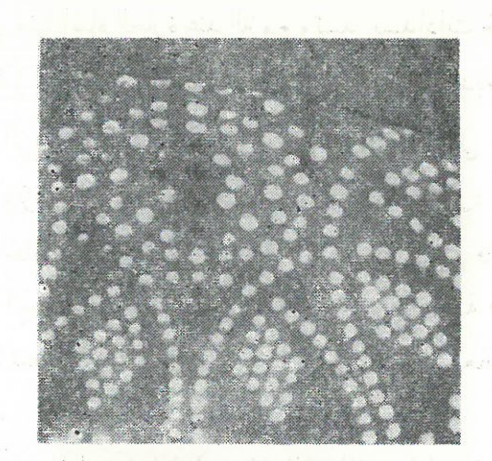
وعندما تتعطل القساطل تكرى واذا تعذر كريها يستعاض عنها بتمديدات حديثة معدنية .

اما سقوف المقاصير والاواوين في الوسطاني والجواني، فهي على شكل قباب مفرغة بنوافذ مستديرة يطلق عليها اسم (القماري) تشبيهالها بالقمر ، والقمرية مسدودة بآنية زجاجية على شكل القنديل المقلوب، ومهمة هذه القماري توفير الضياء في النهار ، وعددها يختلف باختلاف كبر او صغر المقاصير . ويتراوح البعد بين الواحدة والاخرى (٣٠-٤٠) سم تقريباً. « صورة رقم ٢١ » « وصورة رقم ٢٢»



(الصورة رقم ٢١)

القمريات من خارج الحمام



(الصورة رقم ٢٢)

مشهد للقمريات . من داخل الحمام

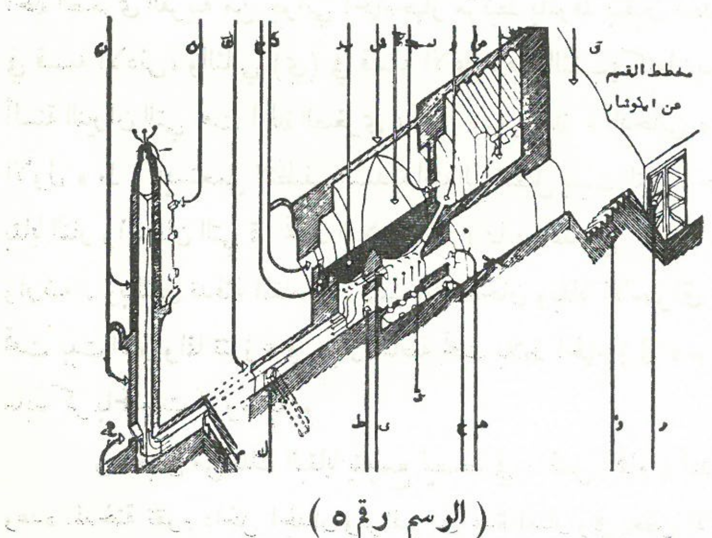
٤ ـ **القميم :** [١] وهو الجناح الخارجي من الحمام ويتألف من مدخل يؤدي الى باب فوقه ـ عادة ـ قوس حجرية ثم بهو محـــاط بجدران على شكل اقواس تستند على دعائم . اما السقف فيشكل قبـة مضفورة من الحجر والمونة العربيـة المؤلفـــة من (القصرمل والـكلس المطفأ) . ويضم هـذا القميم : الخزانة والتنور (الموقد) ودار القميمي والمنشر .

الخزانة : وهي عبارة عن حجرة يشكل سقفها قبة منخفضة تساعد على عدم تبديد بخار الماء . وفي الجدار الملاصق للجواني فتحة تسمح بانطلاق بخار الماء الى جميـع انحاء الحمام مما يساعد على تدفئة هواء الحمام . وارض الخزانة اعلى من ارض بقية اقسام الحمام وهذا ما يسهل سير الماء الحار الى اجران المقاصير .. وفي محور ارض الخزانة حلتان كبيرتان من النحاس لتسخين المياه . فالحلة الاولى (آ) موضوعة مباشرة فوق النار ولذا تسمى بحلة الناري ويصب فيها الماء البارد

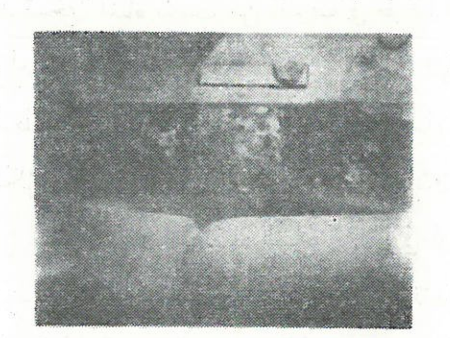
(١) عن ايكوشار بتصرف .

وما يفيض عنها بعد تسخين المياه ينصب من انبوب في طرفها الى الحلة الثـــانية (ب) وهذه تقع امام الحلة الكبرى وهي اصغر منها كما انها اقرب الى طاقة الخزانة وبالتالي لمسطبة الخزانة في الجواني . ومنها تتدفق المياه الحارة الى مسطبتين على طرفيها . وترتكز الحلتان المذكورتان على تلك المسطبتين فتتجمع المياه على شكل (حاووظ) مستودع من الميـــاه الساخنة .. وفي ارض الخزانة ثقب « خراج » « ج » يسمح للماء الساخن بالانسياب في قنوات تتصل باجران المقاصير . وفي الجدار الداخلي للخزانة قوس معقودة من الاجر تسمح بادخال الحلل واخراجها في حال تصليحها او تبديلها . كما توجد فتحة في الجدار المجاور للقميم « د » وفتحة في الجدار الفاصل بين الجواني والخزانة (دَ) وهاتان الفتحتان تساعدان على مراقبة المياه من الخارج من جهة وتفيدان في احداث البخار واتصال الحمامي بالقميمي لتعديل حرارة المياه او تسخينها من جهة اخرى . (رسم رقم ٥) (صورة رقم ٢٣)

الموقد : ويوجد بالقسم الداخلي فوهة (هـ) لايقاد الوقود ، ويتم ذلك بواسطة اداة طويلة عن طريق درج (وَ)، وبعد ان تشعل النار تغلق تلك الفوهة



(الرسم رقم ٥)



(الصورة رقم ٢٣)

صورة من الخزانة. وتبدو فيها حلة الماء « الناري »
والفتحة التي تصلها بحلة الدخـاني

باحكام ومن ثم يباشر القميمي بالايقاد من الطاقة (و) ويستمر الوقد ما دام الحمام يعمل، ولكن القميمي يبطىء في الوقد او يسرع حسب رغبات الزبائن. وارض الموقد مثقوبة بثقوب (ذ) تسمح بسقوط الرماد وصغير الجمر ويمكن سحب ذلك الرماد والجمر من الكوة (ح) التي تفيد بالاضافة الى ذلك في التهوية . وتحت الحلة الصغرى القريبة من جواني الحمام جهاز مرتبط بالموقد بثقبين احدهما (ط) في قسمه الادنى، والثاني (ي) في قسمه الاعلى وهذا الثقب يمكنه ان يستقطب بقايا ألسنة النيران التي تحت الحلة الصغرى ، ولذا تسمى حلة « الدخاني » اما الثقب الاول « ط » فيستعمل لتنظيف التمديدات التي تتصل ببيت النار ، حيث تنطلق بقايا النار والدخان التي تمر تحت البلاط « ك » مما يساعد على تسخين بلاط الحمام وارضه . وبالتالي تدفئة المقاصير ، ذلك ان الدخان وبقايا الاحتراق لا تسير فقط تحت بيت النار وانما تتوزع في مجار خاصة تحت بلاط الحمام (ل ، م) وهـذا مايذكر بالحمامات الرومانية .

وما تبقى من تلك البقايا يتجمع ليصعد في (فحل الحمام) المدخنة (ن) وهذه المدخنة تقوم داخل الجدار وترتفع الى عدة امتار وفي بعض الاحيان يثبت

على المدخنة اوتاد (س) خشبية تستعمل كسلم يساعد على الصعود من اجل تعزيلها واصلاحها كما توجد فتحة في اسفلها تغلق (بسكر) يرفع وينزل باليد ويفيد في التعزيل .

ومقابل الموقد مسكن « ف » بسيط مخصص لسكنى القميمي وعائلته وعلى الارض تكدس مواد الوقود الواجب دفعها باستمرار عن طريق الكوة (و) المذكورة آنفاً . وفي السقف كوة (ص) تؤمن النور عندما يكون الباب مغلقا ، كما توجد باحة صغيرة ملحقة بالقميم (ق) مفصولة عن الطريق العام بباب خشبي (ر) . اما ظهر الخزانة (ش) فيستعمل منشراً تجفف عليه المناشف والوقود .. وبالاضافة الى ذلك يوجد اصطبل للدواب (والطنبر) المستخدم في جمع الوقود من مصادره المختلفة .

. . .

العمّال
اختصاصهم واجورهم

يعمل في الحمام عدد من العمال ، يختلف زيادة او نقصانا بحسب كبر او صغر الحمام ولكل من هؤلاء عمل مميز مسؤول عنه لايتعداه . وهم متسلسلون في هذا العمل على طريقة مشيخة الكارات [1] . فالعامل اول مايبدأ يعمل اجيراً ثم يصبح تبعا .. ثم يترقى حتى يصبح ريساً وناطوراً ثم معلماً ..

وقد يتوارثون هذا العمل اباً عن جد .. الا ان ذلك اصبح قليلا في هذه الايام، ومن جهة اخرى كان عدد العمال كثيرا الا انه الان في تناقص مستمر ، وسببه تناقص عدد الحمامات ، وسيأتي يوم تنقرض فيه هذه الحمامات ، وينقرض اربابها وعمالها وتضيع صنعتهم وتموت .. واغلب الحمامات الحالية لا يديرهـا اصحابها بل يديرها اشخاص يستأجرونها ، منهم من توارث المهنة ومنهم من طفر فجأة واصبح يدير حماما ، ومعظم هؤلاء من القلمون وقد كانوا يعملون في القميم او في الاعمـال الملحقة به . ثم مالبثوا ان استلموا العمل لقلة مردود الحمامات وصدوف القائمين عليها وتناقصهم المستمر . فقلت اهمية المصلحة (الحرفة) ولم يعد لمشيخة الكار اهمية تذكر فاصبحت مرتبة رمزية روحية يعترف الجميع لحاملها

(١) انظر كتابنا فنون وصناعات دمشقية صفحة (٢٠٥) .

بالقدر والمحبة . وبعد ان كان شيخ الكار ملكا على تخته والمعلم اميرا في حمامه يستطيع ان (يفك مشنوقا) ، والناطور لا يحق له ان يعمل الا اذا كان رجلا « كدعا شواربه ملات وجهه » .. اصبحت الحرفة مهزلة بيد صناع جلّهم اغرار لا يعرفون قدر الزبائن ولا اصول الصنعة ..

ولعل من اهم مهام شيخ الكار في تلك الايام الاشراف على تسليم الحمام وعدته ومزبلته لان خبرته اساس في كل إشكال قد يقع بين صاحب الحمام القديم والجديد ، كما انه يشرف على حماية سمعة الحرفة وتخريج صناعها وحل المشاكل بين اربابها والعاملين بها وبين رواد الحمامات .

ولو حاولنا استعراض ما بقي من الاسر التي توارثت العمل في الحمامات لامكن تعداد :

آ — آل التيناوي ومنهم محمود الملقب بالحمامي صاحب حمام الناصري في المرجة سابقاً وقد عمل بحمام عز الدين والتوريزي والذهب والشيخ حسن والرفاعي .

ب — آل القطان ومنهم توفيق القطان الذي يدير حمام البكري ..

ج — آل كبب اصحاب حمام الملك الظاهر والسلسلة والبكري . ومنهم الان شيخ الكار وهو السيد محمد علي كبب « ابو شاكر » واخوه صاحب حمام السلسلة .

د — آل معتوق اصحاب حمام ملكة سابقاً ومنهم ابو احمد سليم واخوه ابو زكي وقد كان ابوهم « كندرجي » .

هـ — آل الموصلي اصحاب حمام الجوزة .

و — آل النوري ومنهم ابو احمد سليم واخوه ابو زكي ، وابوهم كان « صانع احذية » وجدهم كان يملك عدة حمامات في دمشق .

ز — آل الكوزلي احمد وابنه خليل وحفيده محمد علي ولهم حمام السكاكري .

ح — آل الملا ومنهم انور في حمام النوفرة وابوه من قبله في حمام نور الدين .

ط — آل الشيرازي ومنهم ابو الجد بكري والجد حسن والاب احمد والحفيد سعيد ..

ي — آل الملي المشهور بالمارديني الجد شيخو والاب عز الدين والحفيد محمد في حمام المقدم الان ..

ك — آل المارديني الجد محمد شعبو والاب ابراهيم والحفيد ياسين في حمام العفيف الان .

ل — ومؤخراً آل الخنبلي وآل سمسمية ..

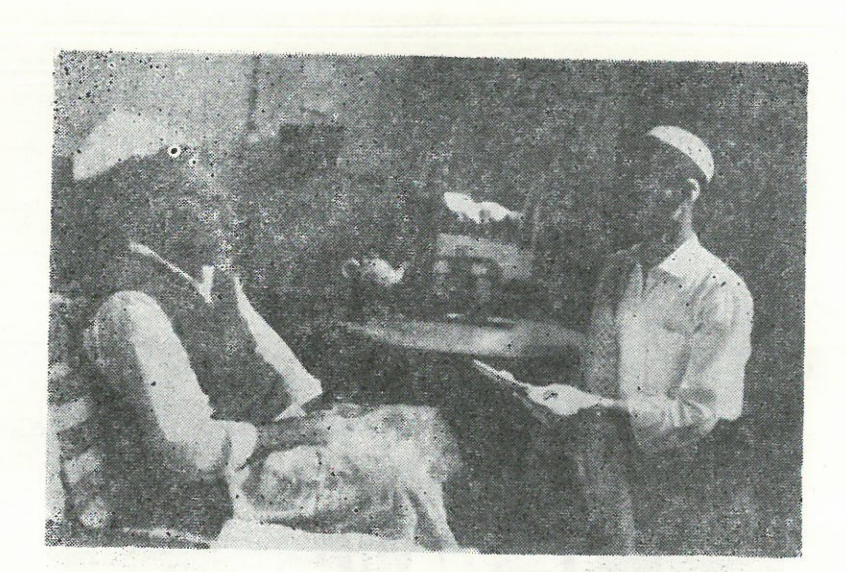
ويمكن القول ان الكثير من القائمين على العمل اليوم ، تعوزهم الخبرة في آداب الحمام التي كان عليها منذ نصف قرن او اكثر . ذلك ان متطلبات العصر تغيرت ، وبالتالي قلت الرحمة من قلوب رواد الحمامات لتغير نوعياتهم ، فلم يعد هنالك من مبرر لتلك المظاهر المبالغ فيها من آيات الترحيب والتأهيل والتوديع والركض بين يدي الزبون . وتعليل ذلك ان معظم الرواد في هذه الايام اصبحوا من العمال الفقراء ، ومن الغرباء الذين لا تسمح حالهم بالمبيت في فنادق تحوي حمامات خاصة اولغلاء كلفة تلك الحمامات ان وجدت على ابعد تقدير .. وكذلك الحال بالنسبة للسيدات فلم يعد يرتاد الحمام الا الفقيرات منهن وبالتالي قل (جبر الخاطر ..) كل ذلك يبرر قلة الاقبال على امتهان حرفة التحميم والعمل في الحمامات وخدمتها . فالعامل اليوم لا يكاد يحصل قوت يومه .. ذلك ان عمال الحمامات على قلتهم يعتبرون أبأس فئة عاملة في القطر العربي السوري .. فهم لا يزالون يعملون بدون عقد عمل وبدون عطلة اسبوعية او اجازة سنوية وبدون تعويض ..

وهكذا اصبحت آداب استقبال الزبون ، من ذكريات الماضي ولا يجيد القيام بها الا من وهب بداهة حاضرة وسرعة خاطر وشدة انتباه .. او المسنون من محترفي التحميم والخدمة في الحمامات ولكل من هؤلاء كما ذكرنا عمله الخاص واسمه الذي يتلاءم مع ذلك العمل الذي يقوم به .

آ ـ **المعلم** : وهو صاحب الحمام او مستأجره ومموله . يعمل الجميع تحت امرته لتأمين مصلحته التي هي مصلحة الحمام وبالتالي مصلحة الجميع .. والعلاقة بينه وبين الصناع مبنية على اساس متين من العون المتبادل والالفة والمحبة والاثرة .. وهو مسؤول عن حسن سلوك الجميع وتصرف كل منهم ونشاطاتهم المسلكية .. واذا كان من العمال والصناع من لا يرتبط بالمعلم باجر ما .. فانه اذا ما اخل احدهم بالاداب العامة والاصول المتبعة يستطيع الاستغناء عنه مهما جل عمله او عظم . وعلاقة المعلم بالمعلمين الاخرين في الحمامات الاخرى تقوم على الاحترام المتبادل والمحبة .. وكثيراً ما يقومون بالنزهات (السيارين) الى مقاصف ومتنزهات دمشق القريبة معاً .. صورة رقم (٢٤)

ويجلس المعلم عادة على دكة خاصـــة في البراني مستقبلا الزبائن بعبارات الترحيب . آمراً الاجير او الناطور بالمثول بين يدي الزبون وخدمته والاسراع في تلبية طلباته وتقديم احسن (الفوط) له واجدّها . كما يقوم باستلام دراهم وامانات الزبون ويكتب عليها اسمه ويحفظها في صندوقه ليسلمها اليه بعد الاستحمام .

ب ـ **الناطور** : وينوب مناب المعلم في غيابه ، فيستقبل الزبائن ويستلم الامانات ، كما انه مسؤول عن نظافة الحمام ومظهره الخارجي . وهو يقدم المشروب للزبائن بعد الاستحمام او خلاله من مرطبات الليمون والبرتقال والكازوز والقهوة والشاي . اما اجرته فليرتان ونصف الليرة السورية في اليوم يضاف اليها ارباح

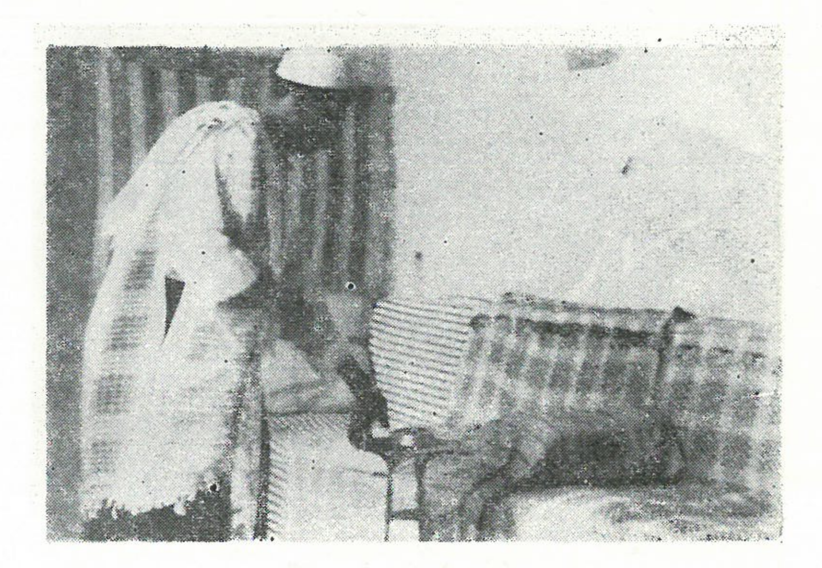


الصورة رقم (٢٤)

تسليم الامانات الى المعلم في حمام القرماني

المشروب ، التي تختلف باختلاف الحمامات ودرجاتها ، فقد تصل الى (١٠) ليرات وقد لاتزيد عن الليرة الواحدة واحيانا (لا يستفتح) اطلاقا ، وهي في المتوسطة ست ليرات سورية . وفي حال عدم تناول الزبون للمرطبات يأخذ منه اكرامية خدمة تسمى (حلوان) حيث يستلم الزبون ويكسوه بالمناشف غب نزعه ثيابه اذ يبسط له فوطة كحاجز (١) وريثما يتم خلع ثيابه وعندما يصبح عاريا يلف الفوطة حول وسطه لذا تسمى (الماوية) او الوسط كما يضع فوطة اخرى على كتفي وظهر الزبون وتسمى (الظهرية) . ومن الاعمال الملحقة بـــه نشر المناشف في المنشر المخصص لها ، كما ينشر قسما منها على باب الحمام كاعلان متعارف عليه ان الحمام في ذلك الوقت للرجال (صورة رقم ٢٥) .

(١) انظر ايكوشار في : حمامات دمشق الجزء الاول صفحة ٤١ .

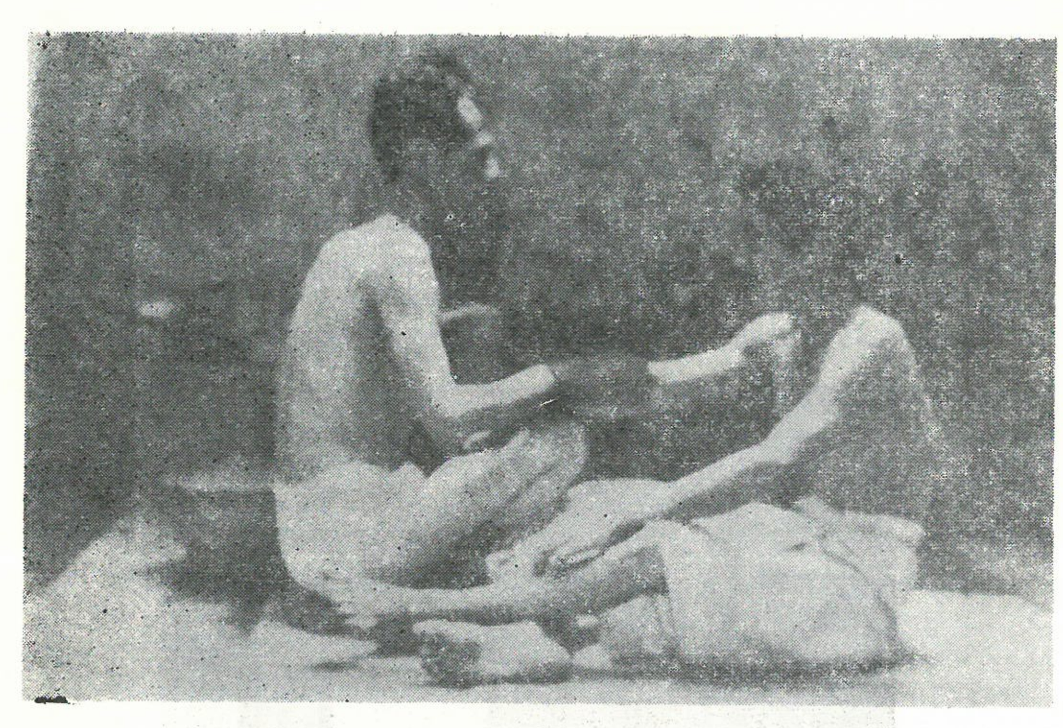


الصورة رقم (٢٥)

الناطور يقوم ببعض مهامه

ج ـ **(المصوبن) الريّس :** ويتركز عمله في الجواني والوسطاني الاخير ، ومهنته تفريك وتلييف وتغسيل الزبون اذا رغب في ذلك . وقد كان يقدم الطاسات والليفة والكيس والصابون للحمام كما كان عليه تنوير الحمام على حسابه باعتباره ان ذلك كله كان لصالحه . الا ان ذلك اصبح من اختصاص المعلم ولا سيما الطاسات والليفة والكيس والانارة . اما الصابون فيقدمها التبع كما سنرى . (صورة رقم ٢٦) ٠

ويعمل الريّس على حسابه اي بدون اجر . وعندما صدر قانون الحد الادنى للاجور منح القانون (المصوبن) الريّس اجرا قدره



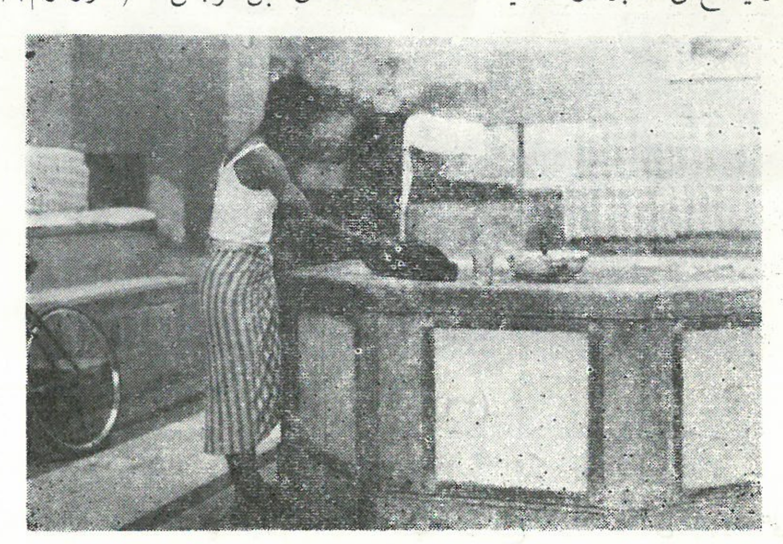
الصورة رقم (٢٦)

الريس يقوم بعملية التفريك ..

(٣٥٠) ق . س في اليوم الا انه في الواقع لايتقاضى اجرا على الاطلاق . وينحصر دخله فيما يتقاضاه من الزبائن الذين يقوم بخدمتهم وهو بمعدل نصف ليرة سورية من الزبون الواحد . وبمعدل ٦ ـ ٧ ليرات سورية شتاء و ٣ ـ ٤ ليرات سورية صيفاً في اليوم الواحد مقابل « ١٢ـ١٨ » ساعة عمل . ومن الامور المتعارف عليها ان المعلم لا يأتي بريّس جديد ما دام الريس عنده قائماً على عمله باستمرار واخلاص . وتعاون تام .

د ـ **التبع :** وعمله استقبال الزبائن ، فور دخولهم الى الوسطاني ، ويقدمهم للريس . وهو يعمل تحت اشراف الريس والمعلم والناطور ، فهو اشبه بدولاب الحمام ويطلق عليه اسم (حجر مقذاف) . فهو من جهة يقوم بغسل (شطف)

الارض في داخل الحمام وخارجه باشراف الناطور . ويقـــدم المناشف الداخلية للزبائن ويخرجهم كما كان يقوم بغسلها بعد استعمالها من جهة اخرى – الا ان غسل المناشف أصبح يتم اليوم بواسطة امرأة (غسالة) على حساب المعلم – كما انه يقوم بغسل رأس الزبون وتلييف ظهره وهو جالس خلف الجرن دون ان (يسطحه) اذ ان ذلك من اختصاص الريس . وهذا العمل يتم باشراف الريس وهو يدفع ثمن الصابون ومصاريف الحلاقة المستعملة من قبل الزبائن ..(صورة رقم ٢٧)



الصورة رقم (٢٧)

التبع يقوم بعمله ..

اما اجره فهو نصف ليرة سورية كل يوم من المعلم ويأخذ ثمن الصابون والشفرة والدواء والاكراميات، مما يؤمن له ربحاً معدله ٣ – ٤ ليرات سورية يومياً . ويصل حده الاقصى في الشتاء الى خمس ليرات سورية وحده الادنى في الصيف ٢ – ٢٫٥ ليرة سورية .

• • •

وفي دور السيدات نلاحظ نفس العدد من العاملات الا ان القابهن ونشاطهن تختلف باختلاف طبيعة ونوعية اعمالهن .. وهكذا نجد :

هـ – **المعلمة** : بدلا من المعلم وهذه تكون من قريبات المعلم ، زوجه مثلا ، او انها تعمل لحسابه وقلّ ان تكون صاحبة الحمام ، الا انها قد تكون ضامنة للفترة النسائية منه . وهي كالمعلم تشرف على الحمام وتديره وتقوم بجميع مهام المعلم ،مما كنا قد افضنا في عرضه في مجال حديثنا عن المعلم . ولكن لها مهمة عسيرة وشاقة احيانا الا وهي حل النزاعات التي كثيراً ما تحدث في حمام السيدات لسبب ولغير سبب مما سنعرض له ايضاً في بحثنا عن حوادث الحمامات .

و – **الناطورة** : ومهمتها كالناطور ايضاً من حيث استقبال الزبونات في البراني عند دخولهن الى الحمام. وهي تأخذ منهن (بقج) الملابس وترحب بهن.. و (تنطر) ملابسهن .. وبعد الاستحمام تنادي عليها (البلانة) لاحضار مناشف كل اسرة تنتهي من الاستحمام ..

ز – **الاسطه** : وهي مثل الريّس ، تقوم بالتفريك والتغسيل والليفة وتأخذ مثل اجرة المعلمة على الوفاء اي بين نصف الليرة والليرة الواحـــدة عن الزبونة .. ولها كرسي خاص تجلس عليه وراء زبونتها اثناء التغسيل ، علماً بأن السيدات يجلبن معهن الصابون والليفة والكيس و كذلك الطاسة والبقجة والمناشف كما انه لايستحم عند الاسطة الا الغنيات وزوجات (الذوات) .. ويتركز عملها وينشط في مناسبات الافراح كالاعراس وحمام الفسخ والاربعين والغمرة والحج حيث تجود لها الاكف بالمال والطعام والهدايا .. مما سنسهب في بحثه في موضوعنا مناسبات الحمام عند السيدات ..

ح – **البلانة** : وهي ايضا حجر مقذاف في الحمام ، كالتبع ، بين يدي الاسطة والناطورة والمعلمة . كما انها تحشي الحناء وتدهن النفساء (المولده) على

بيت النار بالزنجبيل والدبس والقرفة ولسان العصفورة والاس والزيت والبيض . كما كانت تحضر المياه الباردة للاجران قبل ان توجد شبكات المياه الباردة. وتأخذ على ذلك خمسة قروش من كل زبونة . عدا اجر دهن النفساء الذي يختلف باختلاف مكانة الاسرة ووضعها الاجتماعي والمادي في الحي .

ط ـ **القميمي** : ويسمى الزبال وهو الذي يقوم بجمع القمامة من الاصطبلات ومن اماكن تجميعها ، وقد وصفه القاسمي في قاموس الصناعات الشامية (١) بانه الذي يشتري الزبل من خانات الدواب ويضعه على دابة بوعاء كبير يسمى (شليفا) ويملؤه حتى يصير كالقبة على ظهر الدابة ، ولاهل هذه الحرفة مزيد اعتناء في وضع الزبل على الدابة فيفرزون حول الشليف من داخله قضبانا من عروق الذرة اليابسة وغيرها ، ويمشي خلفها متبختراً معجباً بنفسه ثم يذهب به الى قميم الحمام ويلقيه عند التنور لاجل الوقيد .. والمحترفون لهذه الحرفة هم اهل جبل قلمون خاصة كالمعظمية والرحيبة وعين التينة وماجاورها من القرى .. وقد تطور الامر فيما بعد فاستعيض عن الشليف بالطنبر يقدمه المعلم مع الدابة التي تجره واصبح القميمي ينام في القميم مع عياله كما في حمام النوفرة . وهو يعمل ليلا ونهاراً مع اسرته يساعده في ذلك الوقّاد . وهو من يوقد في تنور القميم الخاص بالحمام ولهذا التنور طاقة في اعلاه تعرف بطاقة الوقد يجلس الوقّاد بجانبها ويلقي فيها ما اعده الزبال مما جف من الزبل والقمامة لتسخين ماء الحمام .

وقد يقوم القميمي بعمل الوقد حيث يقيم مع اسرته « زوجه واولاده » في القميم فيتناوبون العمل ويستفيد من اجرة سلق قدور الفول ، فيأخذ عن القدر اجراً يتراوح بين ٣٠ ـ ١٠٠ ق . س ، وعدد هذه القدور يزداد في الشتاء الى « ٣٠ » قدرا احيانا . لذلك تنبه اصحاب الحمامات الى اهمية دخل الفول على

(١) القاسمي قاموس الصناعات الشامية صفحة ٤٩٦ رقم « ٤٢٩ » .

القميمي فاصبح من يكثر عنده سلق الفول يشترط على القميمي ان يختار بين اجرة الفول واجرته من المعلم وفي حال اختيار اجرة سلق الفول عليه ان يدفع فرق مصروف الوقود اذ ان عملية سلق الفول تتطلب سحب الجمر من تحت حلل الماء لغمر قدور الفول وهذا ما يزيد في كميات مواد الوقود المستهلكة وبالتالي اثمانها .

وعندما كان الوقود يتألف من الزبل والقمامة كان الرماد يباع ليستعمل كملاط يجبل مع الكلس (المطفأ) وهذا ما يسمى (بالقصرمل) وهذه المادة كانت تغطي نفقات الحمام ، اذ إن الحمام كان يعيش من القميم ونقصد بذلك اثمان القصرمل ، فقد كان حمل القصرمل يباع بمجيديين (١) وهو مايعادل خمس قفاف اليوم او ما يملأ (السريجة) يأخذ من ثمنها القميمي (ابو المية) اجرة سحب القصرمل وما تبقى يبقى للمعلم كمصروف للحمام اما دخل الحمام فالى جيب المعلم .

. . .

(١) الليرة الذهبية العثمانية (العصملية) تعادل خمس مجيديات وربع . ثم عندما انخفضت قيمة النقد العثماني اصبحت الليرة تعادل (٤٠) مجيدياً . واجزاء المجيدي هي : نصف وربع وهو مايعادل (٢) بيشلك ثم نصف بيشلك ويعادل برغوتين كبيرين ونصفاً أو مايسمى بأبي المية . والبرغوت الكبير يعادل (٢) برغوت صغير أي خمس نحاسات .

والقيمة الشرائية لكل نحاسة في تلك الايام تعادل القيمة الشرائية لنصف ليرة سورية من نقد هذه الايام .

تموين الحمامات
بالمياه والوقود

تموين الحمامات بالمياه :

دمشق جنة الله في ارضه،حباها الله الموقع والماء ، فأتى اهلها وتوجوها بالازاهير وكحلوها بالرياحين وفرشوا ارضها بالسندس الاخضر النضير ، حيث الظل الظليل والماء السلسبيل[1] ينساب انسياب الاراقم بكل سبيل .. قد سئمت ارضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب .

وفضل ذلك يعود الى مهارة الدماشقةبتوزيع مياه بردى ، كما تفرض عليهم ظروف حياتهم وبيئتهم ، اقساما قبل دخوله دمشق[2] ، فالقسم الاول ينفرق من قرية الهامة ، ويعرف بنهر يزيد ، ثم ينقسم من قرية دمر قسم يعرف بقناة المزة (المزاوي) وتتفرع منه بعد دمر اقسام منها الداراني (الديراني) وثورى (تورا) ، وفي الربوة ينقسم منه القنوات وبانياس ، وما تبقى يعرف ببردى حيث يحمل بقية المياه وما يفيض عليه من الاقسام السابقة الى الغوطة . . ومن هذه الفروع تتمون الحمامات .

---

(١) رحلة ابن جبير ، مطبعة ليدن ١٩٠٧ وايضا دار مصر للطباعة ١٩٥٥ ص ٢٤٨ .

(٢) قاموس الصناعات الشامية : القاسمي مادة : شاوي ، الجزء الثاني .

وقد برع الدمشقيون بتوزيع ميـــاه تلك الفروع الى الدور والقصور والمساجد والحمامات والمرافق العامة الاخرى ، في قنوات ومسارب عديدة، فقد كان في دمشق قني (١) لها اوقاف معينة ، وهي عند متولي الاوقاف (الشاوي) معلومة مبينة .. حتى انه كان في دمشق وظواهرها ما يزيد عن مائـة واربعين قناة . وهذا ما جعل دمشق (٢) جنة الارض بلا خلاف لكثرة مياهـا . فقد كان من خصائصها كثرة الانهار وجريان الماء في قنواتها (٣) ، فقل ان تمر بحائط الا والماء يخرج منه في انبوب الى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر ولا ترى مسجدا ولا مدرسة ولا خانقاها الا والمـــاء يجري في بركة في صحنهـا . اذ استخدم ابناء دمشق (٤) كل ما اوتوا من حرص وذكاء واندفاع فطري من أجل توزيع المياه .. فحفروا الصخور ومرروا الاقنية وجروا المياه الى مبتغاهم .. حتى لكأن تحت المدينة مدينة اخرى تحت الارض ، لتصريف المياه في جداول ومسارب وقنوات .. فالانسان اينما حفر وجد مجاري الماء تحته مشتبكة .

وكانت هذه المياه تصل الى الحمامات في عدانات موقوته معلومة تعارف على حقوقها القوم وحافظوا عليها . ويجري توزيع المياه بواسطة (الطالع) (٥) الموزع ويتـألف من قسمين رئيسين احدهـا يضم نهاية (السيفون) المتصل بالقساطل المتفرعة عن القناة المشتقة من النهر ، والثاني يضم مجموعة التقسيمات التي تذهب عبرها المياه الى الحمامات .. وفق حقوقها ، وهذا القسم عبارة عن بلاطة من الحجر الاسود مثقوبة من وسطها ثقبا دائريا يؤدي الى النازل المتصل بالسيفون

(١) — تاريـخ مدينـــة دمشق : ابن عساكر ص ١٥٤ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢) — معجم البلدان ياقوت الحموي المجلد الثاني طبعة ليبزيغ ١٨٦٧ صفحة ٥٨٧ .

(٣) — المصدر السابق صفحة ٥٩٠ .

(٤) — تموين مدينة دمشق بمياه الشرب : رسالة جامعية ، ساوى دهمان .

(٥) — المرجع السابق .

المذكور . ويحيط بذلك الثقب حفرة مربعة او مستطيلة لها اطراف ترتفع عن (الامّاية) — الثقب المذكور — او تنخفض وتضيق او تتسع حسب حق الماء، فالمياه تأتي من القناة الى القساطل ثم تمر عبر الثقب الدائري فالحفرة المربعة ومن ثم تتدفق الى الفتحات المحيطة بالثقب المركزي الدائري المذكور .

ويلاحظ ان بعض الطوالع مرتفع وسبب ذلك ان القناة المنشقة عن النهر قد تكون مرتفعة — كما في نهر القنوات — عن مستوى الارض . وقد تكون منخفضة كما في نهر بانياس وبالتالي يرتفع الطالع وفقاً لقناته او ينخفض .. ويبنى للطالع قاعدة قرب مفترقات الطرق تكون تارة ضمن الجدار وتارة تبرز عنه . وتضم هذه القاعدة مجموعة من القساطل تصرف المياه من القناة الرئيسية (الامّاية) حسب عدان كل مقسم . ولحفظ حقوق الميـــاه في الطالع من عبث الاولاد والمغرضين يجعل له مصراع له قفل يوضع مفتاحه مع الشاوي . ومع ذلك كثيراً ما يعتدى على حقوق المياه فيحاول امرؤ سرقة حقوق شركائه في الطالع فيسد مجاريه بالحشائش والخرق البالية ليحول المياه اليه ..

ذكرنا قبل قليل ان المياه تصل الى مقاسمها في الطوالع بواسطة القساطل والقسطل (١) هو ما صنع من التراب الاحمر يعجن بماء كاف ويخمر ثم يعرك ويعمل منه انواع القساطل بواسطة قالب لها مخصوص مجوف ، حتى اذا تم عملها يجففونها بالشمس .. ثم يشوونها في فرن مخصوص وهي انواع في الكبر والصغر ، فمنها ما يعرف بالزمر وهو اصغرها قياساً . ثم الشركسي وهو اكبر من الاول ، ثم اكبر منه يعرف بالايراني ، ومنه السبيلي والمجير والزنجاري وهو اكبرها قياساً ، ومهما تعدد قياسه يكون في احد طرفيه (اكرة) يدخل فيها القسطل الاخر عند التركيب ويتراوح قطره بين (١٥—٣٠) سم وذلك حسب كمية المياه المراد

(١) قاموس الصناعات الشامية الجزء الثاني : القاسمي والعظم صفحة (٣٥١) .

اسالتها فيه ، اما طوله فبين (٢٠–٢٥) سم . وتركيب القساطل او بناؤها من اختصاص الشاوي حيث يحفر لها خندقاً يسمونه (دمنة) الاساس فيفرشه بالحجارة والاجر والملاط ثم يصف القساطل ، حيث يضع القسطل ويدخل فيه قسطلا آخر فيكون رأس (١) القسطل ضيقاً من جانب ومفتوحاً من جانبه الثاني .. ويلحم على تلك القساطل (باللاقونة) وهي ما عملت من مدقوق القطن او قشر القنب المفروم وقليل من الكلس مع الزيت الخالص تـدق في بعضها دقا جيداً ويلحم بها تلك الوصلات فتضبطها.. ويبنى على جانبي القسطل ايضاً بالاجر و(المونة) القصرمل حتى اذا علا البناء على جانبي القسطل يقبى عليه بالاجر فيكون محفوظاً ضمن ذلك البناء .

كذلك فان الشاوي يحافظ على طوالع الماء التي تحت امرته .. ويتعهدها دائماً من الوسخ وورق الشجر كي لا يدخل في قساطلها فيسدها ، فيأتي الشاوي المذكور فيعزلها جانباً ويمخضها بواسطـة قصبة تطول عن خمسة اذرع .. يشقها الى ثلاثة شقوق (٢) يركبها فوق بعضها ويربطها بخيطان (مصيص) من قشر القنب ربطاً محكماً ، ويجعل في رأسها كتلة صغيرة من الاقمشة البالية ثم يحفر في ارض القناة ثغرة بمقدار ما تدخل فيها اليد الى القسطل ويفتح فتحة ثانية تبعـد عن الاولى من (٤ – ٧ م) ، ثم يـأتي بمرس رفيع قوي يجعل طوله ضعفي مابين الفتحتين في قناة الماء ويربط في نصف هذا المرس كتلة من (الحيش) على قدر فتحة القسطل وبعدها يبل القصب الذي كان قـد صنعه حتى يلين بالماء . ويربط به خيطا متيناً على طول مابين فتحتي القناة، ويأخذ بهذا القصب فيدخله في القناة برفق وحذر ، ولا يزال يدخله بصورة

(١) المصدر السابق ص (٣٦٤) .

(٢) تموين مدينة دمشق بمياه الشرب .. سلوى دهمان .

متتابعة حتى ينفذ من الجانب الاخر والخيط متصل به . ثم يخرج القصبة ويربط الخيط بالمرس ويسحب الخيط من الطرف الاخر فيجر المرس الى داخل القناة،ثم يدخل يده في القناة فيخرج الطين الراسب منها على قدر ما تطول يده ثم يسحب المرس حتى يصل الى كتـلة (الحيش) التي في وسطه فيسحبها رويداً رويداً ويساعده في هذه العملية شخص اخر ، فهذا يسحب من طرف والاخرمن الطرف الاخر حتى تمر الكتلة من القناةوتفتح ممراً لها ، وتعاد هـذه العملية عدة مرات حتى تنظف المسافة بين الفتحتين ثم تفتح فتحة ثالثة ورابعة .. حتى تنظف القناة.

وكثيراً ماتكون القناة(الدمنة) قديمة (١) فيضيع منها الماء.فيأتي الشاوي بقصاصات الجلود ويضع منها واحدة فواحدة بفم الطالع مكان انحدار المـاء .. وهكذا يضع كفايته فيسوقها الماء للمحل الذي ضاع الماء منه فينسد بتلك القصاصة ويسلك الماء مجراه الطبيعي .. وكانوا قديماً يستعملون عوضاً عن قصاصة الجلود روث الدواب ..

ويمكن القول ان توزيع المياه بالشكل الذي عرضناه لم يكن كذلك في اول أمره ، ذلك ان تنظيم المدينة الذي تم ايام الرومان اقتضته ظروف حياتية تخالف ظروف البلاد في ظل الفتح العربي الاسلامي . لان ذلك العهد حث على ضرورة توفير المياه في بيوتات المسلمين من أجل النظافة والعبادة .. وذلك يدفع بنا الى القول ، ان بناء الحمامات والمساجد أدى الى تطور في الشبكة الرومانية .. وزاد في ذلك كون معظم الحمامات تتمون – كما أسلفنا – من نهرين ، اذ ان الضرورة تحتم عدم انقطاع (٢) المياه عن الحمام ، لانه دار طهارة ..

كما ان تطور المدينة العمراني واتساعها الافقي أدى الى تحويل شبكات قساطل المياه ، وقد سبب هذا التحويل انقطاع المياه عن بعض الحمامات مما أدى

(١) قاموس الصناعات الشامية القاسمي الجزء الثاني رقم ٢٩٢ .

(٢) انظر بحثنا عن حمام النوفرة والسلسلة في الفصل الثاني من هذا الكتاب ..

الى عدم انتظام عملها ، ومن جهة اخرى ادى الاتساع العامودي للدور في دمشق
الى استغناء تلك الدور عن حقوقها من « الطوالع » واعتمادها على مياه نبع الفيجة
التي اصبحت شبكاتها الحديثة تمون تلك الدور مهما تعددت طوابقها ، فقل الاعتماد
على « الطوالع » فأهملت وانسد معظمها . واصبح من المستحيل متابعة اصلاحها
كما ان مصارف المياه القذرة يصب معظمها على الانهار مما ادى الى تلوث مياهها
وانعدام صفات الطهارة اللازمة فيها . واصبحت تحمل امكانية نقل الامراض
والحميات الى اماكن استهلاكها . ومنها الحمامات ...

لذا صدر قرار يمنع استعمال مياه الانهار في صنابير المياه الباردة والساخنة
في الحمامات . الا ان بعض الحمامات لايزال يعتمد على تلك المياه ، كحمام
المقدم والعفيف والجوزة واحيانا النوفرة والتوريزي . لكن ذلك يقتصر كما قيل
لي على اعمال التنظيف وبركة البراني والمراحيض . والسؤال الذي يتبادر امامنا
الان ، ما اذا كان بالامكان ان نسلم ان الحمامات تستعمل تلك المياه فقط
لاعمال التنظيف ؟. والجواب طبعا : لا . لان مياه الفيجة يكلف استعمالها غاليا.
ولان مياه الابار التي سمح باستعمالها بعد التحليل تكلف ايضا نفقات ضخ المياه
وثمن المحرك . وعلى ذلك فالامر يتطلب ، جهاز مراقبة اشد صرامة ،لتنفيذ قرار
عدم استعمال مياه الانهار في الحمامات بأي شكل ولا غرض .

تموين الحمامات بالوقود: اما تموين الحمامات بالوقود،فقد تطور مع الزمن،
اذ كان للحمام عامل خاص (الزبال) يطوف بدابته يضع عليها وعاء كبيرا
يسمونه (الشليف) يجمع فيه القمامة من الاصطبلات ومن اماكن تجميعها(١) .
ومن ثم استعيض عن الشليف (بالطنبر) ،لانه اكثر استيعابا ، واكبر مردودا،
اما مادة الوقود فتغيرت مع الزمن ،فقد كانوا يعتمدون على الوقود(الحمّاري)

(١) أسهبنا في وصفه في بحثنا عن القميمي في هذا الفصل .

المؤلف من روث الحيوانات . لكن هذا النوع من الوقود كان يصدر عنه روائح
وبعوض ، تسيء الى صحة المواطنين . فمنع وبالتالي قل الاعتماد عليه ، ثم انعدم
استهلاكه نهائيا لاستخدامه في مجالات تصنيع الاسمدة الزراعية من جهة ولتصديره
وارتفاع اثمانه من جهة اخرى. فاصبح معظم الحمامات يعتمد على نشارة الخشب
واوراق النباتات والفضلات وقشر الجوز وما شابه . وفي المدة الاخيرة ، بدأ
بعض الحمامات يستخدم (المازوت) كمادة للوقود ، لانه انظف ويوفر اجور
القميمي من جهة كما يساعد على الاستفادة من المساحات التي كانت تشغلها المزبلة
كمستودع من جهة اخرى .

. . .

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية في الحمامات

لم تعد للحمامات تلك الاهمية الكبرى التي كانت لها في السابق ، فلم يعد يزورها اشخاص لهم مكانة محترمة في المجتمع ، فقد كان السلطان سليم يتردد على حمام اطلق عليه اسم الحمام السلطاني (١) .

وفي القرن العشرين انعدمت تلك الاهمية .. ذلك ان انتشار الحمام الصغير في الدور جعل وظيفة حمام السوق في حكم المنتهية فلم يعد يتردد عليه الا بعض العمال والصناع وبعض الحجاج والفلاحين القادمين من الريف وجماعات من اهالي الاحياء القديمة .

ولقد كان لبعض الحمامات في بعض الاحياء الدمشقية جمهور خاص فعلى سبيل المثال كان يتردد الفلاحون على حمامات الميدان القريبة من (البوابة) . وكان حمام ملكة يستقبل زبائن من سوق ساروجا (حي الاغوات) . وحمام الراس يرتاده الحجاج الاكراد والايرانيون المقيمون في الفنادق المجاورة له . اما حمام

---

(١) — انظر ايكوشار في حمامات دمشق الجزء الاول صفحة «٥٤» .

السنانية فكان رواده من العربجية والحمالين وبعض نزلاء خانات الميدان قبل الظهر، وبعد الظهر ترتاده سيدات المناطق المجاورة . اما حمام المسك فكان يتردد عليه النصارى واليهود لانه في المناطق المجاورة لسكناهم، وحمام البكري كان للنصارى فقط . وفي الواقع ليس هنالك فصل بمعنى الكلمة بين المسلمين والنصارى واليهود في ارتياد الحمامات وما تردد النصارى واليهود على حمام المسك والبكري الا لانهما يقعان في مناطق سكنى اليهود والنصارى وبعيداً عن احياء المسلمين . . اذ ليس هنالك ما يمنع اختلاط المواطنين على شتى معتقداتهم الدينية في حمام واحد .

• • •

وسنحاول فيما يلي عرض ما يدور في حمامات الرجال والسيدات من عادات وتقاليد واعراف ترسبت في مأثوراتنا فتناقلها الابناء عن الاجداد وصدف عنها الابناء فاخذت تلك الرواسب تتيه في زوايا النسيان ..

وسبيلنا الى ذلك في حمامات الرجال ان نرقب عن كثب احد الزبائن حين دخوله الحمام ، ثم مراحل استحمامه وكيفيتها حتى خروجه وما يقدمون له خلال ذلك من المرطبات واساليب كل ذلك ..

• • •

حمام السوق عند الرجال

عندما يدخل المرء الى الحمام يبدأ بالسلام (السلام عليكم) فيرد عليه المعلم والناطور والحضور وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . اهلا وسهلا . ومرحباً تفضل ، شرف عالمسطبة . وينادي المعلم (١) على الناطور قائلا (عتب لو ياولد) .

(١) او الناطور في حال غياب المعلم .

وهنا يسرع الناطور فيقدم التعتيبة وهي عبارة عن بقجة من المناشف الحريرية تتألف من ثلاث مناشف واحدة لصر الثياب والثانية يحزمها على وسط الزبون وتسمى بالوسط او المالوبة والثالثة تسمى (الضهر) الظهرية اذ (يلحشها) يلقيها على ظهر و كتفي الزبون ليحمي جسمه من برد البراني ، وعندما يتم خلع ملابسه يتقدم من المعلم (١) ويسلمه ما لديه من اشياء ذات قيمة ، ساعته ودراهمه وخواتمه، اقلامه ومفاتيحه ، ومن ثم يدخل الى الوسطاني فيقضي حاجته في بيت الراحة (المراحيض) ثم يستقبله التبع قائلا : اهلا وسهلا شرفت ، ويسأله عن كيفية رغبته في الاستحمام، هل يريد مثلا دواء لازالة الشعر (٢) قبل الحمام ام يريد شفرة، وهل يريد صابونا وليفة يحمم بها نفسه، ام يريد مصوبناً يغسله (ويكيّسه) يفركه بالكيس ويصوبنه (يليفه) .وهل يريد تمسيداً (مساجاً)بعد الاستحمام .ام لا ..

فان اراد الاستحمام بنفسه يتركه التبع بعد ان يقدم له الصابون والليفة (وهذه يكون ثمنها للتبع كما اسلفنا) وان كان الزبون احضر الصابون والليفة معه فانه يخدمه ويأخذ مقابل ذلك الاكرامية .. وهذه تكون حسب كرم الزبون وتتراوح بين (١٥ — ٢٥) قرشاً سورياً .

وان اراد الاستحمام بواسطة المصوبن فانه يسلمه للريس ، واذا صدف وكان الريس مشغولا بتحميم زبائنه ، يأخذه التبع ويجلسه على مسطبة بيت النار حيث يرش له الماء على بلاطات بيت النار فيتصاعد البخار ، وبالتالي يغرق الزبون في البخار ويعرق ويتحلل وسخ جسمه .. وفي هذه الاثناء يكون التبع قد احضر

(١) او الناطور في حال غياب المعلم .

(٢) ان معجونة ازالة الشعر (الدواء) تتركب من الكلس المطفى بالماء والممزوج بالزرنيخ بنسبة ٢ الى ٥,١ كغ من الكلس الى (٥٥) غ من الزرنيخ كما ورد في كتاب حمامات دمشق لايكوشار .

آنية مملوءة بالماء الساخن (طاسة كبيرة) يضعها بين قدمي الزبون وبالتالي يضع فيها الزبون قدميه مما يساعد على تحلل تعبه ..

عندما يأتي دوره يأتيه التبع قائلا شرف سيدي الى مقصورة الصنعة (اجا دورك) جاء دورك فيسير معه الى مقصورة المكيس فيستلمه الرجل وبيده الكيس — وهو عبارة عن قطعة من القماش الصوفي او الوبر او كليهما تخاط على شكل كيس يضعه الريس في يده .. — ويبدأ المكيس بغسل الكيس بالصابون جيداً امام الزبون قبل استعماله ومن ثم يتقدم من الزبون فيجلسه وجهاً لوجه ويأخذ يده اليمنى فيفركها (يكيّسها) ثم اليد اليسرى وبعدها يمدده على قفاه ، فيأخذ صدره فوجه ساقيه . وهنا ينادي على التبع قائلاً : (هات راسية ياولد) .. فيجيب التبع ، حاضر ياريس . وبالتالي يحضر التبع الرأسية وهي عبارة عن منشفة يجعلها التبع على شكل (كعكة) يضعها تحت رأس الزبون ، بعد ان يقلبه على وجهه بحيث يضع يديه تحت رأسه فوق الرأسية ، ثم يخرج التبع ، ويتابع الريس التفريك ، وهنا يبدأ من ساقيه صاعداً الى ما بين كتفيه . ثم يجلسه ثانية وجها لوجه فيفرك له تحت ابطيه ورأسي كتفيه ووجهه اذا اراد . ومن عادته (١) ان يجر الوسخ بالكيس اولا من الكتف والظهر الى رأس اليد ويفتله بالكيس ثم يطلع المستحم عليه ليريه مهارته في تدليكه وانه متسخ بدنه ويصفف له فتائل الوسخ امامه لذلك ايضاً ..

ولا يخلو هذا العمل من ارهاق للمستحم حتى قيل في ذلك (٢) :

اشكو الى الله بلاءً نا بليت به مسّت انامله ظهري فأدماني
فلا يدلك تدليكا بمعرفة ولا يسرّح تسريحاً باحسان

(١) القاسمي : قاموس الصناعات الشامية الجزء الثاني مادة مصوبن .
(٢) المصدر السابق صفحة (٥٠) رقم (١٧).

وعندما ينتهي الريس من ذلك يصب على جسم الزبون الماء الساخن ، فيزول الوسخ . واذا رغب الزبون بالتمسيد (التدليك) يعمل المكيس على ضرب مفاصل الزبون وشدها مع الضغط عليها .. وتتم كل هذه الاعمال بحشمة تامة حتى ان الفوطة لا تفارق وسط الزبون (١) .

ثم يشرع بغسل رأس الزبون ثلاثة او اربعة (اتام) ادوار ، وبعد كل تم يسكب عليه الماء الساخن ليزيل عنه الصابون ، حتى اذا ما (زقزق) شعره ينتهي تغسيل الرأس ..

وهنا تبدأ عملية الصوبنة ، وقبل ان يشرع الريس بها يحضر له التبع طاسة نحاسية كبيرة ممتلئة بالماء الساخن وفيها قطع من الصابون الممتاز وفوقهم ليفة مؤلفة من ليف مخيط بخيطان (من قشر القنب) . فيغسل الريس الليفة امام الزبون ، ويحضر له التبع ماء ساخناً جديداً . ومن ثم يمسك الريس الليفة المغطسة بالماء والصابون بيد ويضرب بيده الاخرى الصابون والماء الساخن حتى تتشكل كمية كبيرة من رغوة الصابون . وهذا ما يسمى بالتفوير .. ومن ثم تبدأ عملية الصوبنة وهي تمر بنفس مراحل التفريك .. وعندما تنتهي (يطبطب) يدق بلطف على صلب الزبون ويقول له نعيما سيدي. فيجيبه الله ينعم عليك. وينهض الزبون ويسكب عليه الريس الماء حسب رغبته حارا او فاترا او باردا . وخلال ذلك يكون التبع يجول في مقاصير الحمام حول الزبائن يلبي طلباتهم ورغباتهم من ماء الشرب او زيادة حرارة الماء او زيادة المياه الباردة ، كما يدخل الى غرفة الريس من آن لآخر ويسأل الزبون : عاوز شي سيدي . فاذا كان قد انتهى من استحمامه يطلب اليه الريس احضار المناشف ، فيأتيه بزوج من المناشف البيضاء يلف واحدة حول وسط الزبون واخرى يلقيها على ظهره و كتفيه . ويخرجه

(١) انظر ايكوشار بحث الاشخاص الذين يعملون في الحمام في كتابه . حمامات دمشق .

الى الوسطاني ، حيث ينادي على الناطور ليغيّر له المناشف باخرى جافة بعد ان تكون الاولى قد تبللت من جسم الزبون . واذا كان الفصل شتاء ، يأتي الناطور بزوج مناشف آخر وينشف الزبون جيداً ويقول له نعيما سيدي ثم يسير به الى البراني . وان كان الفصل صيفا يسير به التبع الى البراني دون تغيير المناشف حيث يستلمه الناطور ، ويأخذه الى المسطبة ، فيجلسه عليها كي يستريح ويبرد عرقه .

وخلال ذلك يسأله الناطور قائلا : بتشرب شي بارد ام ساخن ، عندي كازوز وعصير ، شاي ، قهوه ، زهورات ، كاكاو ، يانسون ، قرفة ، زنجبيل . فان اراد يقدم له المشروب على طربيزة من الحديد مع صحن سجاير وعلبة ثقاب .. (صورة رقم ٢٨) .



الصورة رقم (٢٨)

نعيما ...

وبعد تناول المشروب يقدم له بقجة مناشف جديدة ، يجفف له عرقه ويتركه يستريح ثم يغير له ثانية وثالثة حتى يكتفي الزبون ويكون مسرورا . وان لم يرد الزبون مشروبا يغير له الناطور ايضاً مرات يريحه خلالها حتى يكتفي، ثم يقدم له بقجة ثيابه ويلبسه او يساعده على ارتداء ملابسه ، ويفرشي له ملابسه وطربوشه او طاقيته ، وبعدها ينادي على اجير الارضية قائلا : رجّل ياولد (اي قدم له الحذاء) . فيأتي الاخير بنشفة يضعها على المسطبة ويضع الحذاء على درجة امامها ، فيقعد الزبون على المنشفة ويلبسه الحذاء اذا اراد . ثم ينهض الزبون الى المعلم فيستلم أماناته تماما عدا ونقدا وجميع حوائجه . ومن ثم يدفع وفاء الحمام الى المعلم واجرة التكييس ان كان ذلك وثمن المشروب ان كان قد شرب كما يدفع قيمة ماعليه من صابون وشفرة او دواء ويسلّم الاكراميات الى من قام بواجبه نحوه . ثم يخرج مودعاً بالحفاوة والاحترام .

أما معدل وفاء الحمام فهو بين ٥٠ — ٧٥ قرشاً سورياً وقد يصل في حده الاقصى الى ليرة واحـــدة عدا اجرة الريس والخدمة والمشروب والترجيل. أما اجرة الريس فهي كالوفاء ، والتبع يأخذ من ١٥ — ٢٥ قرشاً سورياً وقد تصل الى نصف ليرة سورية ، اما الناطور فيتناول حوالي ليرة واحـــدة مع المشروب كحد اقصى ونصف ليرة بدون مشروب اجرة خدمة . وبصورة عامة فقد يدفع الزبون ١٥٠ قرشاً سورياً عن كل ذلك وقد يدفع خمس ليرات سورية وهذا يعود الى كرم وسعة ذات يد الزبون .

حمام السوق عند السيدات

اما بالنسبة لحمام السوق عند السيدات فهو ليس فقط لسد (١) حاجة الجسم من النظافـــة والصحة وانما هو كالمقهى بالنسبة للرجـــال والصالون والمنتدى

(١) — انظر ايكوشار : حمامات دمشق : الحياة الاجتماعية في الحمامات .

للموسرين ذلك انه يشغل جانباً من الصلة الاجتماعية تقضي فيه السيدات ساعاتمن السرور والبهجة والتعارف وقص السير مع الجيران والمعارف . وقد حدثتنا عنه الكاتبة الدمشقية السيدة الفة عمر باشا الادلبي في حديث لها من اذاعة دمشق[1] . وقد تكرمت باعطائنا نص الحديث وها نحن اولاء نثبته فيما يلي لما له من اهمية تلقي اضواء جديدة بالاهتمام في هذا المجال من حياتنا الاجتماعية .

« كان بيتنا يعاني مشكلة فريدة من نوعها ومشكلتنا الفريدة هذه هي ان جدتي — وقد تجاوزت السبعين من العمر — كان لايحلو لها انتستحم اول كل شهر الا في حمام عام او في حمام السوق كما كانت تسميه . هذا مع العلم ان بيتنا كان مجهزاً منذ أمد بعيد بحمام توفرت فيه جميع الشروط المطلوبة في الحمامات ولكن لحمام السوق في عرف جدتي مزية خاصة لانستطيع نحن اللواتي لم نذقها ان ندرك كنهها .

كنا نخشى على عجوزنا ان تتزحلق على بلاط الحمام اللزج — وكثيرا مايحدث هذا للمستحمات — فتتكسر عظامها وقد احالتها السنون السبعون هشة نخرة ، او ان يلفحها برد قارس حين تخرج الى الطريق مباشرة من جو الحمام الدافىء فتصاب بمرض قد لاتنجو منه ابداً . ولكن هيهات ان تقتنع عجوزنا العنيدة بهذه الحجج ، وهيهات ان تتخلى عن عادة ظلت تمارسها سبعين سنة بدون ان يحدث لها شيء مما نحذرها منه ، وقد آلت على نفسها ان تظل تمارس عادتها تلك مادامت تستطيع السير على قدميها .

وكانت جدتي تزداد تشبثاً برأيها وتمسكا به حين يأتي الاقناع من قبل كنتها اي من قبل امي التي كانت لاتمل ابداً من مجادلة حماتها ، وتبيان سخف آرائها ولو من طرف خفي ، فتروح تعدد مضار الحمامات من نواح صحية

(١) — ألقيت عام ١٩٦٤ .

واجتماعيه واقتصادية ايضا . اما الذي كان يزعج امي حقاً فهو ان جدتي كانت يوم الحمام تستأثر بخادمنا الوحيدة منذ الصباح فتدعوها الى غرفتها لتساعدها على تغيير لوازم السرير وكنس الغرفة ثم على صر بقج الحمام ثم تذهب معها الى الحمام ولا تعود بها الا في حدود المغرب منهوكة القوى لايستفاد منها في شيء .

كنت اراقب في بيتنا صراعاً عنيفاً ولو انه خفيّ يدور بين حماة وكنّة بين جدتي التي كانت تتشبث بمكانتها في البيت ولا تريد ان تتخلى عنها ابداً وبين امي التي تسعى جهدها لان تزيحها وتحتل مكانها . وعلى الرغم من أن البنات يقفن دائماً في صف امهاتهن كنت أناأشعربعطف شديد نحو جدتي التي داهمتهاالشيخوخة منذ ترملت ، وراح ظلها يتقلص شيئاً فشيئاً عن بيتنا ، بينما راح يمتد عليه ظل امي ، سنّة الحياة اخذ وتسليم ، ولكن هيهات ان تخضع لها بسهولة ويسر . وكم كان يحز في نفسي حين كنت ارى جدتي تعتكف ساعات طوالا وحيدة في غرفتها بعد انهزامها في جدال مع امي . وكنت اسمعها احياناً تحدث نفسها بمرارة ، واحيانا كنت اراها تفرغ ثورتها على سبحتها الطويلة فتسبّح بعصبية وهي تهز رأسها كأنها تستعرض في ذهنها ايامها الخوالي، يوم كانت وحدها سيدة هذا البيت وصاحبة الكلمة الاولى فيه، ثم لاتلبث ان تهدأ ثورتها شيئاً فشيئاً فلا شيء كذكر الله يعين على مصائب الدهر ..

خطر لي ذات مرة وقد رأيت جدتي تهيء حوائجها لتذهب الى الحمام ان ارافقها اليه . انا التي لم يسبق لي ابداً ان رايت الحمامات العامة ، ولعلي ايضاً استطيع ان اكتشف السر الذي يجذب جدتي الى حمام السوق . ولما ابديت لها رغبتي هذه فرحت كثيراً ، اما امي فلم تعجبها ابداً هذه البادرة ، فقالت لي على مسمع من جدتي : وهل تسرب اليك انت ايضا جنون حمام السوق ؟ ومن يدري ؟ قد تصابين بمرض سار كالجرب او غيره . واذا ابي يجيبها بحده : كنا

ذهبنا الى الحمامات في صغرنا ولم نصب باذى ، ومالك انت ؟ دعيها تذهب مع جدتها . وتسكت امي على مضض بينما تبتسم جدتي معتزة ، فقلما كان ابي ينتصر لارائها ضد امي . واذا هي تقوم وتقودني من يدي الى حيث يرتكز صندوقها الضخم ، وتخرج المفتاح من عبّها ثم تفتحه امامي ، وهذا شرف كبير فلم يسبق لهذا الصندوق العتيد ان فتح امام احد سواي . وتنبعث منه على الفور رائحة غريبة واليفة في آن واحد لا نشمها الا من صناديق العجائز كأنها رائحة القدم او الماضي البعيد والسنين المخزونة . وتخرج من قعر الصندوق بقجة من مخمل احمر طرزت زواياها بالخرز والبّراق، ثم تخرج منها مئزر حمام خمري اللون وقدانتثرت عليه نجوم ذهبية لم تر عيناي اجمل منها ابدا . وتخرج ايضاً طاقم مناشف ابيض اطرافه كلها محلاة بالقصب الفضي ، وتقول لي : هذا كله جديد لم يستعمل ابدا ، اعطيكه هدية مني ما دمت سترافقينني الى الحمام . يا حسرة علي ! . انا التي لم يعد يرافقها احد غير الخدم وتتنهد من عمق ثم ترسل زفرة حرّى ، وتنادي الخادم لتحمل لنا البقج التي تحوي ملابسنا ومناشفنا والكيس الذي يحوي الطاسة والصابون والترابة الحلبية والمشط والكيس والليفة والحناء التي ستعيد شعر جدتي الابيض اسود كالليل. وترتدي جدتي ملاءتها ونتجه الى الحمام الذي كان لايبعد عن دارنا الا بضع خطوات . ولطالما قرأت في غدوي ورواحي ما كتب على اللوحة الصغيرة التي كانت تتوج بابه الصغير :

« كل من طلب العافية من رب لطيف فليقصد الله ثم حمام العفيف »

وندخل الحمام وكان اول من يقع نظرنا عليه هو (المعلمة) وهي امرأة ضخمة قد تربعت فوق مسطبة قائمة على يمين الداخل وامامها صندوق صغير تجمع فيه الغلة ، ونارجيلة لها ناربيش طويل كانت المعلمة تداعبه بشفتيها بلا مبالاة. ولما راتنا راحت ترحب بنا بدون ان تتحرك من مكانها ثم تنادي ام عبدو — وهي

ناطورة الحمام — لتستقبلنا . وتهرع ترحب بنـا امراة نصف مزججة الحاجبين مكحولة العينين قد زينت شعرها بوردتين وعرق ياسمين ، ذلقة اللسان خفيفة الحركة كالخروف لا تهدأ ابداً ، يسمع لنقرات قبقابها الشبراوي فوق بلاط الحمام طقطقة موزونة . ويبدو انها بمثابة المضيفة بالحمام ، وتأخذ جدتي من تحت ابطها وتقودها الى مسطبة خاصة تشبه السرير ، وتسرع خادمنا فتفتح احدى البقج وتخرج منها سجادة صلاة وتمدها على المسطبة وتقعد جدتي فوقها وتروح تخلع ثيابها بينما كنت انا اتفرج على المكان الذي لم يسبق لي ان رايته قبل الان ؟ اعجبتني ردهة الحمام الفسيحة التي يسمونها البراني وكانت تتوسطه بحرة دفاقة . وقد بني لصق الجدران مساطب ضيقة فرشت عليها بسط ملونة وقد انتثرت فوقها حوائج المستحمات . اما الجدران فقد زينت بمرايا قديمة صفراء مجدورة ، وبصور لعبلة وعنترة وست الحسن ، وبعض لوحات كتب عليها بخط جميل آيات من القرآن او حكم مأثورة .

واهابت بي جدتي ان اخلع ثيابي فخلعتها والتفت بالمئزر الخمري ، ولما كنت لا اجيد لفّه كما يجب اعانتني ام عبدو فاحكمته على جسدي ورمت احد اطرافه على كتفي الايسر فجاء كالساري الهندي تماماً . ثم اعانت جدتي على النزول من المسطبة وقادتنا نحو باب صغير يودي الى ممر معتم ونادت باعلى صوتها: يا مروي !. تعالي خذي ام البيك . وتنهد امامي من العتمة فجـأة كهلة عجفاء شمطاء لها وجه كوجه الشيطان قد حفر فيه البؤس اخاديد عميقة ، عارية الا من خرقة حائلة اللون قد تدلت من خصرها حتى ركبتيها ، راحت تؤهل بنا وتثرثر بكلام ما فهمت منه حرفا لان ضجيج اصوات متنافرة تناهى الى سمعي وبخاراً حاراً كثيفاً كالضباب حجب الرؤية عن عيني ورائحة تبعث على الغثيان لم يسبق لي ان شممت نظيرها ابدا ، شعرت بدوخة وكدت اتقيأ فاستندت على الخادم ،

وما هي الا بضع ثوان حتى اعتدت على الرائحة فلم تعد تضايقني ابداً كما اعتادت عيناي على الرؤية . وانتهينا الى ردهة صغيرة فيها جرن تحلق حوله بضع نسوة واسأل جدتي لم لا نضم اليهن فتقول لي هذا الوسطاني اما نحن فقد حجزنا مقصورة في الجواني اعتدت ان احجزها كلما جئت الحمام . وندخل من باب صغير الى الجواني فتبهرني ردهته الكبيرة المضلعة ، وفي كل زاوية منها ارتكز جرن كبير سلطت عليه حنفية ماء ساخن وتحلق حوله نسوة كان منظرهن غريبا يبعث الاندهاش وهن منهمكات في التغسيل او التفريك او التليف وارفع رأسي الى السقف فاذا قبة عالية فيها فتحات مستديرة مغطاة بالبلور ينسرب منها الضوء فيضيء الردهة كلها . اما الضجة فقد بلغت هنا اشدها ، رنين طاسات وعويل اطفال وشجار عنيف ينشب بين سيدتين ضرتين يبدو انهما اجتمعتا لاول مرة في الحمام ، ويؤدي الشجار الى ضرب بالطاسات ثم تهز المروءة بعض المستحمات فيقمن ويفرقن بين السيدتين قبل ان يشفى الغليل . اما الذي طغى على كل ضجيج فكان زعيق طفل وضعته امه في حجرها ثم لفت عليه احدى ساقيها كي لا يفلت منها وراحت تدعك رأسه بالصابون وتصب عليه الماء الحار حتى غدت بشرته حمراء كالشمندر . وحولت بصري عنه فقد خشيت ان تزهق روحه امامي .

وصلنا المقصورة وشعرت بانقباض حين دخلتها فقد كانت غرفة صغيرة جدا في صدرها جرن صغير ايضا . ميزتها انها تفصل المستحمات فيها عن بقية الناس . استقبلتنا في المقصورة سيدة ضخمة مجدورة الوجه خشنة الصوت عرفت فيما بعد انها الاوسطه ام محمود ، تناولت جدتي من البلانة مروي وكان النداء ينهال على مروي من كل صوب بارد يامروي بارد يامروي وراحت المسكينة تلبي الطلب فتزود المستحمات بالماء البارد من سطلين كبيرين كانت تنوء بحملها مما اثار في نفسي كثيراً من الشفقة عليها .

عدت الى جدتي فوجدتها قد قعدت على البلاط امام الجرن واسلمت رأسها الى الاوسطه ام محمود التي قعدت خلفها على كرسي من خشب وراحت تدعك رأسها بالصابون سبع اتمام متتابعة يجب ان لاتنقص ولا تزيد . ووقفت أنا على باب المقصورة أتفرج على المستحمات . بعض الصبايا كن في غدو ورواح يخرجن بين الفينة والفينة الى البراني للترويح عن النفس يتمايلن بمآزرهن الملونة كهنديات في معبد . اما العجائز فكن يثرثرن ومعجون الحناء على رؤوسهن يزيدهن بشاعة . كنت ساهمة أتفرج فاذا زغاريد تنطلق فجأة من خلفي والتفت فاذا بضع سيدات يحطن حلوة يزغردن لها واهرع الى الاوسطه ام محمود أسألها عن سر الزغاريد هذه ، فتقول لي : حمامنا اليوم عامر ، عندنا عروس ونفساء وستي ام البيك الله يخليها لنا . وبديهيا ان تنتفخ اوداج جدتي وقد قورنت بالعروس والنفساء .

عدت الى مكاني اتفرج فاذا العروس وصاحباتها حول قصعة فيها اقراص الصفيحة ، وتنشط احداهن واخالها ام العروس توزع اقراص الصفيحة يمينا ويسارا وقد نابني واحد منها .

ولفت نظري صبية صغيرة حلوة جلست على مسطبة لزق بيت النار تبدو ضجرة ضيقة الصدر من شدة الحرارة ، حولها ثلاث نسوة كانت احداهن تفرط في تدليكها كأنها امها . ثم راحت تطلي لها جسدها بمعجون اصفر تنبعث منه رائحة الزنجبيل فحزرت ان الصبية نفساء وان هذا المعجون هو الذي يسمونه (الشداد) فقد سمعت من جدتي ان له مفعولا عجيبا فهو يشد عروق النفساء ويعيدها خيرا مما كانت قبل الحمل . ثم جاءت الناطورة ام عبدو تتفقد راحتنا وتحمل الينا اكواب العرق سوس هدية من المعلمة فجدتي على مايبدو لي زبونة مرموقة في الحمام .

كان قد حان دوري فتنحت جدتي وجلست مكانها واسلمت رأسي الى ام
محمود لاستوفي اقامي السبعة بينما جاءت مروي تجبل الحناء لتضعهـــا على رأس
جدتي . اما الذي اعجبني تماما عملية التفريك التي تبدأ بعد غسل الرأس ، كانت
مروي تلبس يدها كيسا خشنا ثم تروح تمرره على الجسد تبدأ مستأنية ثم تسرع
فتظهر تحت الكيس فتائل رمادية صغيرة لاتلبث ان تكبر وتهرهر على الارض.
بعد التفريك يجب ان نعود كرة اخرى الى الاوسطه ام محمود وهذا مما اثار
عجبي تماما اما هذه المرة فسنكتفي بخمسة اتام فقط كما تقتضي الاصول المتبعة ثم
تأتي عملية التليف ثم سكب عدة طاسات من الماء الساخن على الجسد وآخر
طاسة تحل فيها الترابة الحلبية التي تترك عطرها في الشعر عدة ايام . وبهذه تنتهي
العملية وكأننا قد خرجنا من معركة حامية وتقف الاوسطة ام محمود بباب
المقصورة وتنادي بصوت طغى على كل ضجيج الحمام : يامروي مناشف لام
البيك . وتقفز مروي بخفة الى الوسطاني وتنادي باعلى صوتها : ام عبدو مناشف
لام البيك .

وتهرع الينا ام عبدو وعلى ذراعها كومة مناشف ناولتنا اياها وهي تقول :
نعيما ، حمام الهناء ان شاء الله . ثم تتناول جدتي من تحت ابطها وتسير بها الى
البراني ثم تعينها على الصعود الى المسطبة وتروح تساعدها على تنشيف جسدها .
بعد ان ارتدينا البستنا الكاملة وقفت جدتي تنتظر دورها لتدفع الحساب .
وكان جدال عنيف يدور بين المعلمة واحدى زبائنها وهي امرأة كهلة معها ثلاث
صبايا ، وفهمت من متابعة الحديث ان العادة جرت ان تستوفي المعلمة الاجرة
كاملة من المتزوجات اما الارامل والعزباوات فيدفعن نصف اجرة ، والمرأة
تدّعي انها ارملة وبناتها غير متزوجات والمعلمة تشك في قولها ثم اضطرت ان
تقبل ادعاءها والامتعاض باد على وجهها .

ثم تتقدم جدتي فتدفـع الاجرة الى المعلمة قائلة لها : الاجرة مـع البارد
والنظارة ويبدو ان المعلمة كانت راضية كل الرضى عن الاجرة لاني سمعتها
تقول لجدتي : الله يديم عزك يا خانم وعقبال كل شهر . ثم راحت جدتي توزع
البقشيش على الناطورة والاسطة والبلانـة اللواتي خرجن من الجواني ليودعنها
وكانت تتلقى الدعوات منهن راضية باسمة ، ثم تنظر اليّ مستعلية وكأنها تقول :
هل عرفت الان مكانة جدتك وهلا ذكرت ذلك الى امك التي بدأت تستهتر بي.
ثم تخرج من الحمام تتبختر مزهوة كالطاوس منتصبة القامـة وقد عهدتها في البيت
محنية بعض الشيء . الان ادركت السر الذي كان يجذبها الى حمام السوق هنـا
كانت تستطيـع ان تستعيد امجادها الماضية وان تمارس وجاهتها التي لم تعد تستطيـع
ان تمارسها ابداً في مكان آخر غير حمام السوق . »

مناسبات الاستحمام عند السيدات

ومناسبات الاستحمام عند السيدات، تـكاد تكون مقصورة على الافراح
كما ان القيام بها ليس شرطاً اساسياً لاتم الافراح ولا تقام الليالي الملاح الا اذا
تحقق ذلك الشرط . اذ انها في اساسها مظاهر للتعبير عن الابتهـاج . والفرحة
والمشاركة يقوم بها اهل الفرح واحباؤهم واذا لم يكن بالامكان احياؤها على
الشكل الافضل ، فالاجدر الا تقام وذلك على مبدأ أهل دمشق القائل :
« اذا بدك تساوي شيء يافتاح بابك وافتخر ، ياسكّره وانستر .. »

١ ـ حمام العرس :

ويكون قبل العرس بيومين حيث (تعزم) تدعو ام العريس (الاهلية)
من اهل العريس والعرس (العروس) كاخواتها وزوجـة اخيها وصديقاتها
والجيران والمحبين . وعند دخول الحمام تبدأ ام العريس الزغاريد ..

اوها : شوها النهار اللايبيء (اللائق) .

اوها : فرحت لنا فيه الخلايبيء (الخلائق) .

اوها : طئت ألوب الاعادي (طقت قلوب) .

اوها : من حين حئت الحآيبء (حقت الحقائق)

لي لي .. ليش

وتجيب اخته او احدى قريباته :

اوها : يا ما اعدوا جنبي (قعدوا) .

اوها : يا ما حرؤوا البي (حرقوا) .

اوها : وآلو « فلان » ما بيتجوز .

اوها : تجوز ونصرني ربي ...

لي لي .. ليش

ويخلعن ملابسهن وهن يهزجن ويزغردن ويغنين الاغاني الشعبية مثل (هيها واسم الله اسم الله يازينة ..) وعندمايدخلن الوسطاني ينطلق صوت مزغردة:

اوها : زأزأ العصفور تانفلق .. (زقزق)

اوها : وتخبأ بين الدوالي والورق .

اوها : والعدو ما نال مرادوا .

اوها : وكل يوم عنا فرح ..

لي لي .. ليش

ويدخلن الى الجواني في شبه موكب صاخب طروب ، مترع بالنشوة فتسرع الناطورة والريسة والبلانه في ركابهن فتفتح لهن المقاصير .. او يحجزن لهن جناحاً خاصاً يأخذن فيه حريتهن ويحيين فرحتهن .. بين زغاريد ام العريس واخته واقاربه وقد يشاركهن اهل العروس في ذلك عندما ينسجمن معهن ..

وهكذا يحمم بعضهن بعضاً ، في حين تجلس الريسة العروس امامها وتشرع في تحميمها على اصداء الاهازيج والمواويل والعتابا والميجانا وبين الزغاريد المتجاوبة :

اوها : حصنتك بياسين ..

اوها : يا زهر البساتين ..

اوها : يا مصحف زغير .. (صغيّر)

اوها : ويا عروس السلاطين ..

لي لي .. ليش

اوها : يا صحن توت ..

اوها : محلل بياقوت ..

اوها : كبرو اليتامى ..

اوها : وفتحوا بيوت ..

لي لي .. ليش

وخلال ذلك يكون الغداء قد جهز وأرسل الى الحمام . وهو يختلف في نوعيته باختلاف الوضع الاجتماعي والمادي لاسرة العريس ، فقد يكون عدة صدور من الخاروف المحشي (١) أو الصفيحة ، وقد يكون عادياً يقتصر على الكشكة الخضراء وتوابعها مع المجدرة أو يهودي مسافر وبعض الفواكه والكرنب والجزر وما شابه ..

عندئذ تدعو ام العريس او احدى قريباته الى الغداء بزغرودة :

اوها : ياصحن حليب ..

اوها : كل مابرد بطيب ..

(١) – اسماء لمأكولات دمشقية شعبية ..

اوها : نحنا اهليه ..

اوها : مافي حدا غريب ..

لي لي .. ليش

وترد اخرى :

اوها : ام العريس انا جوعانه .

اوها : بدي صفيحة مقمرة .

اوها : انشاء الله اتمي سالمة (تبقي) .

اوها : وديارك معمرة ..

لي لي .. ليش

فتجلس ام العريس ام العروس بجانبها ، والى جانبي العروس تجلس اخواته واخواتها وصديقاتها ، وتتحلق (الاهلية) ،فيما تبقى من المكان، ويشرعن يتداعون (يعزمن بعضهن) ويلقمن بعضهن البعض مقسمات الايمان والدعوات المحببة ، كما يتخلل ذلك بعض الزغاريد للدعابة والمناسبة ..

اوها : فصلتلو قمباز ..

اوها : ومالو ركوبات ..

اوها : تغدوا ياجماعة ..

اوها : ولا تسرقوا الخبزات ..

لي لي .. ليش

وزغرودة زقزق العصفور ، وحصنتك بياسين .. وهكذا حتى يفرغن من طعامهن .. حيث يعدن لاتمام استحمامهن ، في حين تنفرد احدى الصبايابجبل (عجن) الحناء لصبغ شعور السيدات المسنات المقدرات . ثم يخرجن الى البراني كما دخلن بالزغاريد والاهازيج ، فيرتدين ملابسهن في مهرجان حافل،ثم تتقدم ام

العريس من الناطورة والريسة والبلانة فتكرمهن بما يتناسب ولهفتهن ، وتقدم للمعلمة وفاءين .. وبالتالي يودعن بأحسن مما استقبلن به ..

واذا زاد بعض الحناء ، تأخذه الصبايا لصبغ ايديهن به ، ومن لم تتحنّ منهن تذهب الى النقاشة في اليوم التالي التي تضع لهن على ايديهن عروقا من النقوش، ازهاراً واشعاراً ومواويل ..

٢ – حمام الغمرة :

وهو يعتبر سداداً لدعوة ام العريس لحمام العرس ، من قبل ام العروس، ويكون بعد العرس بحوالي الاسبوعين ، وتجري فيه نفس العادات والتقاليد التي اوردناها في حمام العرس ..

٣ – حمام الفسخ (النفاس) :

وهو خاص بالنفساء (الواضع) ويكون اعتباراً من اليوم السابع للولادة حتى اليوم الحادي والعشرين ، على ان يتم في يوم افراد ، اي سبع ، تسع ، احد عشر .. وهكذا. وتفسير ذلك اعتقادهن ان الاستحمام في يوم من ايام الافراد الواقعة بين اليوم السابع من الوضع واليوم الواحد والعشرين . يجعل الحليب كامل التكون ..

كما يسمى حمام الفسخ ، لان حليب النفساء في الايام الاولى من الوضع (النفاس) كما يعتقدون يكون بشكل صمغة مفيدة لغذاء ابن او بنت النفاس، لكن اقل هزّة (رعبة) تصيب الواضع ، قد تسبب هروب حليبها من صدرها ، لذا تقوم بحمام النفاس لفسخ الصمغة وتحويلها الى حليب كامل التكوين .

وفي هذا الحمام تؤخذ النفساء مع بعض اقاربها من زوجها واهلها الى الحمام ، حيث تدهن بمزيج مائع صلب القوام مؤلف من الزنجبيل والدبس وحبة البركة ، من قبل البلانة . ثم تجلس على بلاط بيت النار بعد ان يوضع تحتها

بعضاً من الكمون المكسور عليه بيضة دجاج نيئة • وتبقى جالسة حتى تعرق ، ويسحب العرق من تحتها وبعد ذلك تحمم ويستحم من معها ويخرجن • حيث تجد في انتظارها طعاماً خاصاً يتألف من مرق اللحم المسلوق او المقادم فتشرب منه ماتستطيع كي يكثر حليبها كما يعتقدن ثم تدثّر حتى تعرق من اثر الطعام•

٤ _ حمام الاربعين :

وقبيل صباح يوم الاربعين للولادة . بايام يتداعى اهل النفساء واهل زوجها كامها وحماتها واخواتها وبنات حميها وخالاتها وخالات زوجها والداية ومن يردن من الاحباب والاعزاء والجيران •• الى حمام الاربعين • وفي الحمام يحيين فرحتهن بالاهازيج والمرح والمداعبات والزغاريد :

اوها : يادايتي الله يعطيكي ••

اوها : والسعادة تواتيكي ••

اوها : انشاء الله يحجك ••

اوها : نجي نكافيكي ••

لي لي •• ليش

وترد عليها اخرى :

اوها : تستاهلي يادايه .

اوها : شالة حريرية .

اوها : وزيارة محمد .

اوها : خير البرية .

لي لي .. ليش

بينما تلف الواضع بفوطـة مقصبة وتصمد على المسطبة والى جانبيها اخواتها ورفيقاتها يشاركن بالاحتفال ، وتنطلق من امها زغرودة :

اوها : ياما دبّكو برجليهن .

اوها : وياما تغامزوا بعينيهن .

اوها : وآلوا (فلانة) مابتجيب ولاد .

اوها : جابت وطئت عينيهن .(طقت)

لي لي .. ليش

ثم تؤخذ النفساء وتدهن بالشدود (الشداد) وهو مؤلف من نفس مواد دهون حمام النفاس تقريباً • وقد يضاف اليه العسل ، ويوضع قسم منه تحتها ، ثم تجلس على بيت النار حتى تعرق ، وفي اثناء ذلك تسقى الحليب المغلي وبضع بيضات نيئات وبعد ذلك تغسّل وتخرج بالزغاريد :

اوها : حطي لباسك على راسك • (ثيابك)

اوها : مافرحنا بالبنت ولا بالصبي •

اوها : فرحنا بخلاصك •

لي لي •• ليش

الى الوسطـاني في موكب حافل ، حيث تنشف النفساء ، بناشف مقصبة خاصة ، وفي البراني تستقبلهن المعلمة والناطورة والبلانة والريسة فيساعدنهن على ارتداء ملابسهن ، ويأخذن الاكراميات مضاعفة ولا سيما اذا كان المولود ذكرا •

غداء حمام الاربعين : اما غداء حمام الاربعين فيختلف باختلاف مكانة الاسرة وامكاناتها المادية وهكذا نجد من يطبخ الرز بفول او يعد الصفيحة ، ومن يطبخ المجدرة بالزيت والكشكة الخضراء مع الزيتون والبصل، وطواحين المخلل والبرتقال والكرنب والجزر والليمون. وهذا مايسمى بصرة حمام الاربعين.

ففي وقت الغداء نجد الجماعة في شغل شاغل ، هذه تمسك براس كرنب وتضرب به حافة المسطبة كي ينكسر ، واخرى تمص برتقالة وتلك تهرش جزرة كبيرة .. في حين انهمكت الباقيات منهن في اعداد الطعام . وما ان يتم حتى يتحلق الجميع حوله على غرار ما ذكرنا في حمام العرس ..

اما الاولاد ففي عـــالم آخر من الصخب والضجيج والمرح تصوره لهم مخيلاتهم فمنهم من يلعب (الطمّيمة) ومنهم من ينفخ فقاعات الصابون في الهواء ، ومن يزدرد (عرائس) لفائف الخبز المرقوق مع الزعتر والزيت ، ومن حرد عن الطعام لانه لم يعجبه ما قدم له . او من يتشاجر مع اقرانه و ... و ..

* * *

الفصل السادس

حوادث الحمّامات

١- سرقات الحمامات عند الرجال :

اذا كانت الحمامات احدى ميزات الاحياء الدمشقية الشعبية اليوم ، فانها كانت حتى عهد قريب ظاهرة اشتهرت بها دمشق اكثر من سائر مدن الشرق . وباعتبار ان هذه الحمامات عامة ، تستقبل سكان الحي بالاضافة الى الغرباء والعامة والطارئين على دمشق من الارياف ، فان ذلك أدى الى توفر بيئة خصبة لما يسمى بلصوص الحمامات . وهؤلاء كانوا يسرقون مايقع في ايديهم من الثياب والمناشف والاحذية وغير ذلك مماخف وزنه وغلا ثمنه .. وقد يتركون بدلا منها ثيابا أعتق واخلق .. في غفلة من قوّام الحمامات ونواطيرها ..

وليست هذه الفئة وقفا على حمامات دمشق ، بل ان السرقات مألوفة في الحمامات اينما كانت ، ولعل اطرف ماذكر عن السرقة ، حادثة محمد بن سكره الشاعر الظريف ، الذي دخل الحمام ، فسرق (١) مداسه (حذاؤه) فخرج من الحمام حافيا اشبه بالمتصوف الزاهد بشر الحافي وقد قال في ذلك :

(١) محمد عبد الغني حسن : ملامح من المجتمع العربي .

اليك اذم حمام ابن موسى — وان فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى — ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن — دخلت (محمدا) فخرجت (بشرا)

اي دخل محمدا فخرج حافيا مثل بشر الحافي المتصوف الزاهد ..

والسرقات مألوفة في حمامات الرجال والسيدات على حد سواء . فمما يذكر عن حمامات الرجال سرقات الملابس التي كانت موضوعا لذيذاً للتندر والمداعبة بين الادباء والشعراء .

فقد سرق شاش عمامة متولي دمشق وهو في احد حماماتها . فكتب في ذلك جمال الدين ابن نباتة في القرن الثامن الهجري (فما عبر المملوك في عمره احر من هذا الحمام ، ولا نكس في رأسه العلية مثل هذه الايام .. فياللعواطف العربية ويالمراحم النفوس الابية ، فوالله لقد خف رأس المملوك من الجهتين عقله وشاشه ، ولقد تعوض من تاج عمته العربية مخدة فراشه !..) .

فاذا كان هذا شأن متولي دمشق المملوكي ، فالامر اهزل وامرّ بالنسبة لسواد الشعب . فكم من كيس نقود تبخّر دون اثر وكم من (ميتان) وسروال (١) وشملة فصلت لفرحة العيد او العرس غدا صاحبها (رب كما خلقتني) .. ليجد مكانها ما خط فيه الف رقعة من خلق الثياب ورثها ..

٢- سرقات الحمامات عند السيدات :

والطريف في هذا المجال ان نذكر ما يحدث في حمامات السيدات من سرقات وما قد ينجم عنها من مشاهد مذهلة بعض الشيء . والسرقات هنا تشمل كل شيء من البقجة حتى الاولاد. بل ان الامر كثيرا ما يتعداه الى سرقة المعلمة نفسها.. وخبر ذلك انه قد تلجأ بعض المستحمات الى تهريب الاولاد من دفع الوفا

(١) اسماء لملابس شعبية دمشقية .

(اجرة الحمام) او التلاعب على المعلمة بالادعاء ان بعضاً من حاجاتهن قد سرق . ويصرون على اخذ البديل عنها . فتستنكر المعلمة الحادثة محاولة تهدئتهن وتطيب خاطرهن ، مؤكدة في نفس الوقت ان الغرامة غير واردة خوفاً على صحة السيدة المسروقة وصحة ابنائها طالبة اليها اعتبارها زكاة عنها وعن اولادها .. فتقابل بالرفض ، ومن ثم يعلو الضجيج ويختلط الحابل بالنابل ، وفي هذه الاثناء تهرب من دفع الوفا مع من تستطيع الهرب في حين يتوسط البعض الاخر على اساس حل الموضوع على حساب المعلمة التي بدورها تسامح صاحبة الغرمة من دفع الوفا وتعتبرها ضيفة على الحمام ..

اما بالنسبة لسرقة الزبائن . فلا تتم عفو الخاطر بل ان السارقات كثيراً ما تراقبن زبونات الحمام من طرف خفي ، حتى اذا ما وقعن على صيد . . يعلمنّه ويدخلن الحمام ، وبعد فترة يرسلن واحدة منهن (١) لتأتي بالبقجة المطلوبة . فاذا صدف وشوهدت ، ادعت انها (توهة) غلطة غير مقصودة وبالتالي تصب على نفسها سيلا من الدعاوي البشعة مبررة تضييعها ، كقولها (.. يي .. يي يبعت لي داء ما ابرا منو .. يبعت لي الف حمه .. يي .. يي يقطعوني ، يفرموني على هالعملة .. ياسواد وشي .. آه على ما تنشق الارض وتبلعني ..) ثم تقول (لا تآخذيني يا اختي والله غصب من عني) .. والاّ تأتي بالبقجة المطلوبة الى الوسطاني . في حين تخرج زميلتها وتأتي ببقجتها الاصلية ، فتأخذان من تلك وتضعان في هذه .. وهكذا حتى يتم الامر . ثم تعاد البقجة المسروقة وقد حشيت باشياء تافهة الى مكانها ومن ثم ترتديان لباسها كأن شيئا لم يحدث ، وبعدها تخرجان من الحمام بهدوء.

وقد تكون السارقة لوحدها فتستبدل حاجاتها بحاجات اخرى، كذلك قد تبدل حذاءها بحذاء اجد بعد ان تتأكد ان صاحبته غير موجودة في البراني،

(١) قد يكون عدد السارقات اكثر من امرأة من اجل سرقة واحدة .

ثم تخرج . وفي المساء تقع الواقعة بين صاحبات الاشياء المسروقة والمعلمة وتكون المشكلة امرّ عند البحث عن ثياب تخرج بها السيدة المسروقة الى منزلها دون ان يعلم زوجها بسرقتها .

ومن هنا نشأت عادة تسليم المعلم او المعلمة الاشياء الثمينة كالنقود والدمالج والقلائد وغير ذلك من قطع المصاغ والاشياء الثمينة الغالية لتحفظ في الصندوق الخاص . وبالتالي استلام الناطور والناطورة ملابس الزبائن وحفظها في بقج خاصة او تعليقها بمشاجب لايقربها الا الناطور او الناطورة فقط او باشرافه .

٣ – سرقات الاولاد :

لكن اغرب ما يذكر في هذا المجال ما كان يحدث في حمامات السيدات من سرقات الاولاد او تركها .. فالمعروف ان اهل دمشق يعتزون بالابناء والرجل عندما يتزوج يهدف ان يكون له ولد يحمل اسمه ان كان غنياً ويعينه على تحمل مشاق الحياة واعباء مصاريف الدار ان كان فقيرا . كما ان الولد عند معظم الاسر الدمشقية امل الاسرة في حمل اسمها وشرفها ، لذا كانت الاسرة تجهد في تعليم الولد القرآن وحفظه ومن ثم تعليمه حرفة ابيه بعد الاحتفال بختمه القرآن .. وتعتبر البنت همّا على اهلها في صغرها ومجلبة للمشاكل والعار في كبرها . بل ان بعض الاباء كما علمت يرفضون البحث في امر تزويج بناتهن بل مجرد الحديث في هذا الموضوع ، حتى انه قد يمر على الزيجة وقت طويل ولا يزورها .. كما علمت ان اهل دمشق اعتادوا ان يصمتوا صمتاً تاما عندما تلد الحامل بنتاً ، اي يستقبلونها بالصمت والوجوم حتى لكأنهم في مأتم ، بل يضربون في ذلك المثل القائل (ساكتين مثل اللي جابت لنا بنت) .

اما الولد فالبشارة لمن تسبق وتخبر والده بولادته والزغاريد تطلق والمرطبات تدار وسفرة الخلاص تكون عامرة ...

لذا تحرص الام على وضع الذكور ولا سيما الولد البكر . . وفي سبيل ذلك توزع الخبز على الفقراء وتنذر الزيوت والشموع والنذور لاولياء الله الصالحين . بل تحمل الرقى وتشرب منقوع التمائم .. الى غير ذلك من امثال هذه الامور .. لان الولد في اعتقادها يثبّت حياتها الزوجية ..

وكم من رجل اقسم ، لئن انجبت زوجه بنتاً ليطلقها !! وهكذا تحترق تلك الزوجة رغبة لعقب ذكر .. وكم من سيدة استبد بها اليأس من حياتها الزوجية بعد ما وضعت بنتاً بسبب اصرار زوجها على الوليد الذكر !.. او طلاقها .. فاذا حدث حادث من هذا النوع وكان الزوج غائباً عن زوجه وكذلك آله . فان العجائز ينصحن بالحمام ..

فالنفساء تقوم ، بعد سبعة او تسعة ايام من وضعها بما يسمى حمام الفسخ كما رأينا ، حيث تتحين الفرصة لتبديل وليدتها بذكر ، وتخرج . ذلك انه كانت العادة ان يصف الاطفال بعد تغسيلهم على مساطب الوسطاني ، اذ لا يتحملون حرارة ورطوبة الجواني وصخبه . في حين تكون امهاتهم في الجواني يستحممن ، فتغتنم الفرصة وتبدل البنت بصبي بعد ان تُلبّس البنت لباسه وتؤنده (تلفه) باندائها . ثم تخرج الام السارقة بالوليد تاركة وليدتها ، كما حدث في احد حمامات سوق ساروجا . وهذا لعمري اشد انواع الاجرام عتوا ، ولا يعادله وحشية الا عملية الوأد التي كانت معروفة في جاهلية قبيلة من قبائل العرب قبل الاسلام .

ولتلافي امثال هذه الحوادث اصبحت الام ترسل من آن لآخر من يتفقد طفلها ويسكته ان كان باكيا بل انها اخذت تعمد الى وضعه في البراني واجلاس احدى معارفها او اولادها قربه بالتناوب والاّ تسلمه الى المعلمة بالذات .

ومن جهة اخرى قد تجد المعلمة نفسها امام امر واقع ، حيث تترك لها احدى الامهات وليدها او ابنتها في الحمام مع بعض المال ، اخفاء لعار ارتكبته خوفا من اهلها او من نقمة المجتمع عليها وحرصا على حياتها .

٤– الزلق في الحمام :

وباعتبار ارض الحمام مبللة بالماء والصابون دائما فانها غالبا ماتكون زلقة لايكاد الانسان يتملك عليها توازنه اثناء سيره من مكان الى آخر . وكانت حوادث الزلق والسرقة من الكثرة بالحد الذي قيل فيها .

(دعوتان مغفول عنها عند دخول الحمام : سلمك الله من الزلق ، وحرس ثيابك من السرق) . وهكذا لاتكاد ترى امرءا يسير الهوينا على بلاط الحمام الا وتجده قد اختل توازنه فانكفأ على قفاه او على عجزه او ذقنه ورأسه مستقبلا طرف المسطبة او حافة الجرن او جانبا من سطح بيت النار واحيانا يندفع كالصاروخ على المستحمين ولا يكاد يمضي يوم دون حادثة من هذا النوع ..

٥– مشاجرات السيدات في الحمام :

ومشاجرات السيدات في الحمام اكثر من ان تحصى . فهي لابد واقعة وضرورية كالملح للطعام.واذا مضى يوم دون مشاجرة ، تتندر السيدات عن ذلك بقولهن (اليوم ماصار شيء بالظاهر ميت يهودي) .

والسبب الذي تدور حوله تلك المشاجرات هو خرق ما تعارفت عليه السيدات من عادات وتقاليد مرعية . الا ان ذلك ليس شرطاً . فقد يحدث شجار بدون سبب معقول . بل قد تكون الاسباب مضحكة واهية ومع ذلك تؤدي الى نتائج مؤسفة اذا لم تفلح المعلمة وبنات الحلال بانهاء الموضوع ، فقد تستدعى الشرطة ويجري التحقيق . وقد تنتقل الحادثة الى الشارع فتقع الواقعة بين ازواجهن ..

وعلى سبيل المثال نسرد قصة بعض من تلك المشاجرات ، لنلقي ضوءاً على جوانب منها . ولنجلو جوانب اخرى من نفسية المرأة الدمشقية التي تأصل فيها حب الاخذ والرد والقيل والقال ، وديمومة حركة اللسان حتى ساعة القيامة .

آ– حول مياه الجرن :

يتجمع في المقصورة اكثر من سيدة منهن من تنتظر حتى يسترخي جسمها مع اولادها ومنهن من تتحلق حول الجرن ، وباعتبار ان جرن الحمام كبير ويتحلق حوله اكثر من سيدة فان الاصول المتبعة والمتعارف عليها ان تغرف كل منهن (طاسة) ماء من الجرن بدورها .. وهكذا لا يجوز لواحدة ان تغرف طاستي ماء على طاسة جاراتها ومن جهة اخرى فالمعروف ان تكون الطاسات متقاربة الحجم واذا صدف وكانت طاسة احداهن اكبر من اللازم فلا يحق لصاحبتها ملأها تماماً .. وان غرفت احداهن اكثر من دورها فان المياه لا (تدور) لا تتوفر في الجرن وبالتالي لا تكفي . ويبرد عرق اجسام المستحمات فلا تنظف .. وهكذا تقع المعركة بعد ان يمهد لها بدعاوي (الحمى وداء السل والافرنجي)على الحمام وعلى ساعة انشائه ثم (تلطيش) الكلام فالتزاور فاحمرار العيون وشد الشعر والعض وضرب الطاسات .. فتسيل الدماء وفي هذه الحال يستدعى رجال الشرطة لاخذالمتخاصمات . وقد يتعالق نتيجة لذلك الرجال في الشارع وتكبر المشكلة ويصعب حلها .. كما حدث ذلك في حمام الخانجي الكائن في رأس سوق الهال منذ خمس عشرة سنة مع عائلة نمسك عن ذكر اسمها..

ب – من الصغار الى الكبار :

قد تحدث المشاجرة بسبب الاولاد . كأن (يتحركش) يتحرش ابن احدى المستحمات باولاد جيران الجرن فتتدخل امه او اخته الكبيرة ، فتبدي اسفها وعتابها بشكل لاذع مثير ، فان كانت ام الولد المعتدي عاقلة زجرته وحذرته من الاعتداء على غيره مع تقديم ضروب من كلمات الملاطفة والمسايرة لاهل الطفل المعتدى عليه . وتنتهي المشكلة .. والا يبدأ الشجار بالشتائم المقذعة القذرة وبعدها الضرب بالطاسات والعض وشد الشعر والرفس بالارجل ، بل وقد تلقى

المياه الحارة جداً على بعضهن ويتخلل ذلك الزعيق والصراخ الشديد .. حتى تاتي المعلمة وتصرخ فيهن صوتا جهوريا فيخلدن الى الهدوء تقديراً واحتراماً . مع بعض التزاور والشتائم والعتاب . وهنا تنبري المعلمة الى الطرف الاقوى وتطيب خاطره بصبها الدعاوي على نفسها من اجل زعلهن ، وامعانا في تكريمهن تفتح لهن مقصورة خاصة .. ومن ثم تطيب خاطر المغاوبة ، وآلها بقولها (شو وصلك لهيك جماعــات ، (انتي ادهن" ، هدول بيقتلوا القتيل وبيمشوا بجنازتو ، لك وحياة عيونك لا تزعلي) وتقبلها وتفرد لها جرنا خاصاً .

ج ـ كبر سن الاطفال :

ومن الاسباب الداعية الى الشجار في حمام النساء كبر سن احد الاولاد الذكور ، اذ لا يجوز ان يدخل حمام السيدات من تجاوز السابعة من عمره . لكن بعض الاطفال يكون حجم اجسامهم اكبر من المعتاد فيبدو الواحد منهم اكبر من عمره . وهكذا تتغامز عليه جارات الجرن ويقربن لامه ويباعدن حتى تصرخ احداهن قائلة :

ـ اشو هاد يا جماعة ، والله حرام ، لمين هالولد ، وين امه .. (ابن امه)

فتجيب الام قائلة :

ـ شو بتأمري يا حبيبتي ؟..

ـ المحروس ابنك ؟..

ـ نعم ..

ـ اسم الله عليه شو ما احلاه .

ـ الله يسلمك يا ستي ..

ـ اديش عمره البركة ؟.. (كم عمره)

ـ والله يا عيوني لسعته زغير اول مشيو . (لايزال صغيراً)

ـ ليش ما بتجيبي ابوه تغسليه معو ..

ـ يه ابوه كبير ..

لا اصغر منــه .. اسم الله .. الله يسلم .. آه يا فاعله يا تاركه .. ويا كذا وكذا .. معلوم عمـا تجيبيه لحتى يعرف المنيحة من الردية . ، لبره .. يالله لبره وتجرها مع رفيقاتها الى البراني ويسلمنها الى المعلمة اذا لم تقاوم . والا أكلت علقة حطمت جسمها بسبب ذلك ..

واورد محمد كرد عــلي في مذكراته ان والدته اخذته معها الى حمام السيدات فقالت لها احداهن لماذا لم تأت بابيه معه ؟ فانقطعت عن اخذه معها الى الحمام منذ ذاك اليوم .

٦ ـ الخطبة في الحمام :

بعد ان عرضنا جانبا من الوجه الاجتماعي للحياة في الحمام نأتي فيما يلي على ذكر بعض من ملامح وجه آخر من تلك الحياة ، ونقصد بذلك الخطبة .

فالام اذا اصبــح ابنها في سن الشباب تشرع في البحث عن (ضلعه القاصر) وشريكة حياته تتخذها كنة تساعدها في تصريف شؤون المنزل وادارته من جهة ، وتفرح بابنها على حياتها ، وترى اولاده قبل مماتها من جهة اخرى . وهكذا تنطلق الام في الاحياء المجاورة وفي حيها باحثة عن (قسمة) ابنها اعتقادا منها ان قسمته خلقت من ضلعه وهي لابد له ، وما عليها الا البحث عنها فتعثر عليها ، وقد تصادف ضالتها في الحمام ، بين الفتيات اللواتي يأتين مـع امهاتهن بغية الاستحمام . وفي الحمام تتأمل الام في تلك الفتيات الواحدة تلو الاخرى : في قوامها وتناسق جسمها وحركاتها العفوية ومشيتها ، حتى اذا صادفت بغيتها من حيث المظهر الخارجي اومأت اليها بنظرة حنو باسمة ، ومن ثم تتحين الفرصة لمحادثتها ، حتى اذا تم لها ذلك تلاحظ نبرة لسانها وطلاقتها وغنة صوتها ومن خلال

هذا تستطيع ان تعرف اسمها ، وعمرها ، واسم عائلتها وعما اذا كان لها اخوة وهل هي قادمة الى الحمام مع امها. ثم تسأل عن امها : المعلمة والبلانة والناطورة بل والريسة فتتعرف على مكانة اسرتها الاجتماعية وطباع امها واخلاقها . فاذا راق لها ذلك تحاول خلق مناسبة للتعرف على الام . وكثيرا مايكون هذا وقت الغداء فتفرد (صرة) طعامها وطعام من معها بالقرب من ام الفتاة فتسكب لها (تضيفها) بعضاً من طعامها من باب اللياقة مبررة ذلك انها اشتهت ذلك لها ، فان وجدت تجاوبا تذوق من طعامها وتبدي اعجابها وتتبادل معها اطراف الحديث . وبعد الغداء تحاول مساعدتها في تحميم الاولاد ان وجدوا او تدعوها الى جرنها مما يفسح المجال لها للاقتراب من الفتاة بصورة اكثر ، فتغسلها كم(ثم) وخلال ذلك تشم رائحة فم الفتاة واذنها ونَفَسها وعرقها وتحت ابطها. فان راقت لها تبدأ بخوض الموضوع بصورة جدية بعد الصلاة على النبي ﷺ وتحويطها باسماء الله الحسنى ، قائلة : البركة صارت صبية الله يسلملها لك .

وتجيب الام : اي والله . يالطيف على جيل هالايام شو بيشمط طول ، يلي بيشوفها بيحسبها بنت (٢٠) وهي بنت (١٤) .

وكلمة من هنا ، واخرى من هناك وبعد تقريب وتبعيد تسأل الخاطبة الام عما اذا كان هناك مانع من ارسال من يتفق مع والدها ويطلب يدها ، بعد ان تذكر لها اسم عائلتها ومكانتها الاجتماعية . فان اعجبها ذلك اتفقت معها على موعد . وتنقل الخاطبة لزوجها او ابنها ما رأت وما تم عليه القول ، فيذهب مع بعض المقربين الى والد العروس . والا تدّعي ام الفتاة ان البنت لابن عمها او صغيرة . او غير ذلك من الاعذار المألوفة .

٧ – طعام الحمام :

وتناول الطعام في حمام السيدات يمثل وجها آخر من جوانب الحياة الاجتماعية الدمشقية في الحمام ، له طابعه ونكهته ومآكله . ومن خلاله تستطيع

استشفاف الكثير من حياة القوم وتقاليدهم واخلاقهم وسلوكهم ومستويات حياتهم وهي في جوهرها لاتختلف عن غداء حمام الاربعين الذي اتينا على ذكره قبل قليل من حيث مد الاسمطة على الارض وتحلق المستحمات حولها يزدردن مافرد امامهن من صنوف الاطعمة والمقبلات . الا ان ألوان اطعمة الحمام العادي تختلف الى حد ما عن مثيلاتها في حمام الاربعين . ومرد ذلك ان السيدات في الظروف العادية يكون طعامهن بسيطا . في حين يكون في المناسبات للتظاهر اكثر من سد الجوع .. لذا تسود في الاحوال العادية الوان الزيتون . والمجدرة واليهودي مسافر (برغل بالكوسا) او الكشكة الخضراء المرقشة بالجوز والزيتون والبقدونس والنعناع والزيت .. مع طواحين المخلل او الفليفلة المكبوسة وارباع البصل الرخص البض والنعناع الاخضر . . لكن الجديد في الامر هو نوعية حلقات المستحمات من حيث مكانتهن الاجتماعية .فالفقيرات ينفردن في اركان منعزلة عن العيون يتناولن طعامهن مع اولادهن بهناء وقناعة ونفس رضيّة ..اما الميسورات (المسعدات) فيعرضن اطعمتهن مستعينات بالبلانة واحيانا الريسة في شبه مظاهرة تثير اللعاب،في مكان بارز من مكان الطعام سواء الوسطاني او البراني ..

ويحتل الزعتر مع الخبز المرقوق المدهون بالزيت مكانة خاصة لانه طعام الحمام التقليدي المفضل عند الاغنياء والفقراء على حد سواء . بل كثيرا ما نلاحظ الاولاد وقد امسك الواحد منهم (بعروسة) لفافة الزعتر يسد جوعه ريثما يحل وقت الطعام ...

وينتهي الطعام عادة بتناول الفواكه كالبرتقال او البطيخ الاخضر او الاصفر او الخيار والقثاء كلّ في موسمه الا انهن يتناولن خلال فترات الاستحمام انواعاً اخرى كالكرنب والجزر والليمون الحامض بل والحس ايضا . . بطرق ومظاهر اتينا على ذكرها ...

الفصل السابع

في طريق الميثولوجيا

يتناقل ابناء دمشق واصحاب وعمـــال حماماتها بعضا من الاقاصيص والحوادث الخارقة التي قد تخرج عن نطاق العقل والمنطق في بعض الاحيان ، ومع ذلك يرددونها بايمان يزداد عمقا ورسوخا في كثير من الاحيان . وهي في مجموعها نابعة عن الوحدة والانعزال التي قد تفرضها طبيعة اعمالهم ، في فترات الليل والنهار المختلفة .. فوجود شخص ما بصورة منفردة في مكان واسع هادىء لاحياة فيه .. كالحمام .. وهو مستسلم لذلك الهدوء وغارق في ديمومة من الراحة والاسترخاء الحالم من شدة التعب .. فان صدور حركة اوحفيف اوصوت ما من خلفه او امامه دونما انتباه او توقع سرعان مايقطع سلاسل ادراكه ويشد اعصابه ويوتر كيانه ، فيهتز هزا عنيفا يشل مطابقات عقله ونشاطه من اجل التلاؤم مع ذلك الوضع الجديد الناشىء عن تلك الحركة .

وهكذا يجد نفسه امام امر او وضع (يكبرفيه رأسه) فيقفي شعر جسمه وتتجسم الحالة في عقله الباطن وتنتقل الى عقله الظاهر فيصبح آلة مسيّرة لاشباح وكوابيس لايعي من امرها الا الخوف منها ، ويدفعه هذا الخوف الى حالات هيستيرية تستبد به وتجعل الرؤى الغريبة تتداعى في مخيلته على اشكال وهمية

مجسمة تدفعه الى تصورات اشد غرابة فيعاني المرء حالات مزاجية خاصة لاتجعل الحياة جديرة بان تعاش الا من خلال رقى سحرية .. يقوم باعدادها اناس وقفوا حياتهم لها .. وكنتيجة حتمية تتألف في رأس المرء افكار يرويها على شكل اساطير يعتقد انه رآها بأم عينه وعاشها بنفسه .

وها نحن نورد بعضا من تلك الاقاصيص على سبيل المثال لا الحصر اذ يلزمنا لو اردنا ايرادها والتعليق عليها مجلدات خاصة .

* * *

١ ــ حدثنا احد الحمامين ان جد السيد فارس الملط ناطور حمام الحدادين (الدرويشية) الذي عرف عنه (ثقل الرأس) والرزانة ورباطة الجأش، انه بينما كان ذات يوم نائماً في الحمام بعد منتصف الليل ، طلع عليه عدة عفاريت صغار ، فحاولوا ايقاظه بنغزه بالدبابيس فصحا لكنه لم يتحرك وتظاهر بالنوم . فاعادوا الكرة مراراً دون جدوى ثم طفقوا يلعبون ويمرحون ، حتى خطر لأحدهم اكل الكنافة . وهنا وزع كبيرهم العمل على كل منهم فكلف واحداً باحضار السمن من متجر معين وكذلك الكنافة والسكر والحلل والنار من محلات مختلفة ، وبدأوا يعملون .. وعندما انتهوا من عملهم قال كبيرهم ايقظوا الانسّي ليأكل فنغزه احدهم بالدبوس فنهض صاحبنا قائلا (بسم الله الرحمن الرحيم على المكبتل وغير المكبتل) . فاختفوا جميعاً . وفي الصباح زار الحمامي اصحاب السكر والكنافة والسمن والحلل واذا بهم يقولون ان حوانيتهم مسروقة فناداهم لاخذ حوائجهم .

٢ ــ حدثت ان صاحب حمام البزورية (ابو فهد) كان ذا شعر طويل اشعث . وذات يوم بينما كان جالسا على سدته قبيل بدء دور الرجال في المساء ،

احس بألم في معدته فقال في نفسه لعل الدفء والبخار يخفف عني ذلك ، فدخل الى الجواني وصعد المسطبة التي فوق بيت النار ومنها دخل في النافذة (الخزانة) المؤدية الى الجراجين حيث البخار الشديد .. وفي هذه الاثناء دخل احد الزبائن فقعد على المسطبة ليستريح ، وطال مكوثه وبالتالي تضايق ابوفهد حتى كاد يفقد وعيه من شدة الحرارة وضغط البخار فحاول ان يخرج دون ان يرعب الرجل ، لكنه لم يستطع ، فمد رأسه من الطاقة ليستنشق بعض الهواء فتساقطت بضع قطرات من الماء فوق الزبون فارتعد .. وما ان رآه حتى جمد الدم في عروقه وصاح باعلى صوته صيحة زحلت حنكه وجعلته عند اذنه وبالتالي خرج الى الزقاق عارياً .. دون وعي يروي للملأ قصة الجني الذي رآه بأم عينه .

٣ ــ القصة الثالثة من حمام فتحي بالميدان السلطاني وقيل انها حدثت في حمام البزورية مع والد ابي فهد المذكور آنفاً . ومجملها ان احد المصوبنين كان يعدّ الطاسة ويضرب فيها الصابون ليليّف زبونا كان مستلقيا على وجهه يستريح من عناء التفريك . واذا بالمعلم ينادي على الريس (المصوبن) لأمر ما، فخرج تاركا قطع الصابون في الطاسة المملوءة بالماء وخلال ذلك اتى جرذ ضخم يحاول أخذ الصابون من الطاسة فانزلقت منه مرات ادت الى قلب الطاسة عليه واصبح تحتها يركض ويجرها فوقه .. ولما عاد المصوبن وجد الطاسة تركض من اول المقصورة الى آخرها فخرج مسرعاً الى الشارع مناديا مستغيثا .. فأتى المارة والحارس وتجمهروا مع المستحمين وهم يهربون ويهجمون امام الطاسة وخلفها وقد علت وجوههم امارات الهلع والاصفرار منهم من يبسمل ومنهم من يحوقل وآخر يقرأ اسماء الله الحسنى وقد ألمت به رجفة افقدته الصواب ومنهم من يطلب احضار واحد من ابناء النسب والحسب والطريقة لانقاذ الجني من تحت الطاسة .. وبينما

كان القوم في هرج ومرج تقدم احدهم ورفع الطاسة واذ بالجرذ يهرب والنفوس تهدأ والهمسات تتناقل انقلابه الى جرذ بقدرة قادر .

٤ – ويروي الحماميون فيما بينهم ان احد المصوبنين كان ينام في داره عندما طرق عليه الباب في منتصف الليل ، ولما سأل عن الطارق طلب اليه ان يوحد الله وان يصحو من نومه فقد اوشك الفجر ان يبزغ وانه يريد الاستحمام والحمام بدون ريس .. فما كان من صاحبنا الا ان قال له : اسبقني وسألحق بك ، ثم ارتدى ملابسه على عجل وانطلق بسرعة الى الحمام ، فوجد الزبون على الباب .. ففتح الريس الباب ودخلا ثم انزل الريس الثريا واشعل فتائل الاسرجة(١) بعد ان زيتها وفعل مثل ذلك في الوسطاني والجواني ونادى على القميمي بالتعجيل في الوقيد .. ومن ثم شرع يحمم الزبون وعندما بدأ بتفريكه اخذ ضوء السراج يخفت وعندما اراد النهوض لاصلاحه قال له الرجل : لاتتعب نفسك فسأصلحه عنك . وهنا مد الزبون يده ليصلح السراج واذ بها تمتد عدة امتار وتنتهي بحافر حمار . فذعر المصوبن من هول المفاجأة وانطلق الى البراني فاعترضه المعلم وسأله عما به فقص عليه القصة ، فاظهر المعلم دهشته من وجه الغرابة في ذلك قائلا: أليست كهذه .. ومد يده فاذا هي تصل الى سقف قبة البراني وتنتهي بحافر كالاول . فهرب المصوبن بلا وعي الى السوق فناداه بائع الحمص والفول مستفسراً عن ذعره وركضه في ذلك الوقت شبه عار حافي القدمين ولما قص عليه خبر الزبون والمعلم قال له أليست كهذه ومد له يداً انتصبت امامه عدة امتار كسابقاتها . فهرب الى داره ففتحت له زوجه الباب وقص عليها ماحدث وهنا ايضاً مدت يـداً مشابهة .. فهرب من الحي كله ..

(١) كانت الحمامات تنار بالسراج قبل انتشار الكهرباء .

جرن الشيخ :

في معظم حمامات دمشق جرن يطلق عليه اسم جرن الشيخ ، كانوا يوقدون له قنديلا او شمعة ليلة الاثنين والجمعة ، وقد يتجاوز ذلك الى اكثر من جرن كما في حمام التوريزي(١) ففيه الى جانب جرن الشيخ جرن العاشقة وجرن ستي عاتكه .

والى اليوم لايزال لهذا الجرن اهميته في بعض حمامات السيدات اللواتي يتباركن فيه ويحجزنه سلفا ، وهذا مايسمى بالحماية عند سيدات دمشق ، ويدفعن من اجله الاكراميات ويقدمن له نذور الزيت والشمع .. ولاتزال آثار بقايا القنديل والشمع ماثلة تشهد على ذلك . وقد ينذرن سكب عدد من الطاسات اذا تحققت لهن رغبة يتمنينها . وهذا الجرن غالبا مايكون في الجواني (الحرارة) اما قرب مسطبة بيت النار او في مقصورة خاصة ، وقد يشاركه جرن آخر اذا كانت تلك المقصورة كبيرة .

وينسب هذا الجرن الى شيخ يكون مقامه (قبره) في جوار الحمام او قريبا منه . وربما يعود ذلك الى ان حمامات دمشق كانت تبنى لخدمة المصلحة العامة ولاسقاط الجنابة ولتحقيق الحديث النبوي الشريف « النظافة من الايمان » فقد يكون هذا الشيخ له فضل في بناء الحمام او وقفه لوجه الله تعالى ، فحملت معظم الحمامات اسماء اولئك الصالحين من اهل الخير .. لكننا نلاحظ من شذ عن هذه القاعدة فاطلق اسم جرن الشيخ على اشخاص لم يكن لهم اية علاقة في بناء الحمامات او وقفها ، كما هي حال حمام الدرب في الميدان السلطاني حيث نسب جرن الشيخ الى المرحوم محمد الاشمر المجاهد المعروف ضد الاستعمار الفرنسي ،

(١) الاسم الدارج عند الدماشقة (التيروزي) .

والذي توفي منذ فترة وجيزة ، ولعل سبب اطلاق اسمه على هذا الجرن هو مكانة هذا الرجل الروحية في نفوس ابناء حي الميدان فاستغل القائمون على الحمام هذه المكانة واطلقوا اسم محمد الاشمر عليه .

وهكذا نجد ان حمام السروجي ينسب جرن الشيخ فيه الى الشيخ احمد السروجي (بطّاح الجمل) . وحمام المقدم ينسب جرن الشيخ فيه الى الشيخ المتصوف محيي الدين بن عربي .. وقد لاحظنا خلال تطوافنا في حمامات دمشق المعاصرة ان بعضها خال من جرن الشيخ كحمام البكري لوقوعه في حي مسيحي و كذلك الحال في معظم الحمامات التي تستقبل الرجال فقط . ومن جهة اخرى بدأ الاهتمام يقل بهذا الجرن في بعض المناطق الاكثر تطورا في الحياة والتفكير الاجتماعي كحمام العفيف في العفيف وحمام الجوزة في سوق ساروجا .

ومع ذلك لايزال رواد الحمامات يتناقلون بعض الاقاصيص عن هذا الجرن . فلقد حدثت ان شخصا(١) كان يستحم في حمام العقيل في الايوان الشمالي ليلا فشاهد شيخا مسنا مجللا بالبياض ، خلع ثيابه وبدأ يستحم على جرن الشيخ ، فارتعش الرجل وقرأ آيات من القرآن الكريم وتقرب من الشيخ وقبل يده وطلب اليه ان يحممه فاعتذر الشيخ واختفى ولم يعد .

وحدثت في حمام عز الدين ان المصوبن بينما كان نائماً افاق على صوت مياه تتدفق من جرن الشيخ ، فظن انه نسي المياه مفتوحة فذهب الى الجرن فرآه فارغاً والمياه مغلقة ، ثم عاد لينام فسمع صوت المياه ثانية فعاد الى الجرن فوجد صنبور الماء مغلقاً والمياه تتدفق من قعر الجرن ، فسمى بالله وسكب ماء الجرن تبركاً وخرج ..

(١) قيل لي ان اسمه فارس البغدادي .

وفي حمام الدرب حدثني السيد يوسف النوري وهو من ارباب هذه المهنة ان السلطان (١) (سليما) زار مرة حماماً متنكراً وكان يستحم فيه الشيخ القيصري ، فاتاه السلطان ودلّك له ظهره وقال له هل خدمت شيخاً في عمرك ، فاجابه الشيخ تأدب ياسليم (لأن الشيخ من اهل الحظوة) فسأله السلطان ان يطلب منه مايشاء ويتمنى ، فخرجا الى بئر فطلب الشيخ من السلطان سحب دلو من الماء ليتوضأ فدنا السلطان من البئر فلم يستطع سحب الدلو لثقله وبعدمحاولات عدة استطاع رفع الدلو واذا به مملوء بالمجوهرات ، فتعجب السلطان من ذلك واخذته الدهشة ، فقال له الشيخ لاتعجب ياسليم ، بل اتني بماء كي اتوضأ . فاتاه بالماء من بئر آخر وتوضأ وصليا معاً ، وخلال الصلاة اراه كنوز الارض .. ثم دعاه للطعام واذا به عبارة عن خل وزيت و كسرات خبز فتعجب السلطان .. فقال له الشيخ لو اردت المال والجاه لاخذت ماشئت مما رأيت فاتق الله ياسليم في رعيتك ..

وفي حمام النوفرة حدثني السيد انور الملا صاحب الحمام (القائم عليه) انهم كانوا يوقدون السراج لسيدنا يحيى لان جرن الشيخ منسوب اليه كما انهم يتركون امام الجرن قبقابا ومنشفة ليلة الاثنين والجمعة ..

وحدثت ان السلطان سليما كان يستحم في حمام باب الناطفيين (المؤيد) السلسلة ، اليوم فظهر عليه الشيخ محيي الدين بن عربي في هيئة رجل مسن فاقترب منه السلطان وقال له : بتريد (فرّك) دلّك لك ظهرك ، فاجاب الشيخ بالايجاب ، ففعل السلطان ثم طلب اليه ان يحممه ولما انتهى طلب اليه ان يقلم له اظافره فلما انتهى سأله السلطان فيما اذا كان يريد شيئاً فقال له (الشيخ اسمع ياسليم بكره

(١) لم يتأكد من الاسم .

انت بتركب حصانك وبتضّل ماشي الى ان يتوقف الحصان ويضرب ثلاث ضربات بحافره الايمن ، وهنا بتقيم مقامي وانا اسمي محيي الدين بن العربي . اساسي قتلت من اجل كلمة « معبودكم تحت قدمي » وانا ماقلتها عن عبث بس النـــاس تعلم الظاهر والله اعلم بالسرائر . ومطرح ماانا الت لك الت هالخطبة .. كان يوميتها يوم جمعة .. نزلت النــــاس فيني قتل وقتلتني ، وانا تحت مني كنز بتحفروا وبتجعلوه نفقة لمقامي ..) واختفى ..

وفي اليوم الثاني ركب السلطان سليم واتجه بحصانه حتى توقف وضرب ثلاث ضربات بحافره الايمن وهنالك بني المقام سنة ٩٢٣هـ (١) ولايزال قائماً ..

* * *

ويظهر ان هناك صلة بين اسماء بعض الحمامات واعتقادات القوم فقـد ذكرنا ان حمام السلسلة سمي كذلك لأنه كان ببابه الخارجي قنطرة تتدلى منها سلسلة يقسمون عليها اذا اختلفوا في امر ، فان كان القسم صدقاً بقيت السلسلة على حالها، وان كذبا ارتفعت . وذات مرة اختلف اثنان على دين لاحدهما فادعى المدين انه سدد ماعليه من دين . فاحتكما الى السلسلة .. فما كان من المدين الا ان وضع ماعليه من دين في عصا محفورة فاغلقها دون علم صاحبه . وما ان وصلا ودنا المدين ليقسم امسك غريمه العصا واقسم انه سلم غريمه ماله في ذمته يداً بيد . فارتفعت السلسلة ولم تعد تنزل ..

وكذلك الحال بالنسبة لحمام الذهب اذ يعتقد بعض الدمشقيين انه صدف ذات مرة ان ذهبت صاحبة الحمام لقضاء حاجة لها في السوق وتركت ابنتها فطلع على وجهها كنز فشعل في وجهها نور قوي . فنزلت في درج واخذت تخرج الذهب

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية صفحة ٦٤ — ٦٥ .

من الكنز وتضعه في الايوان وفي هذه الاثناء حضرت امها وصرخت عليها ، فلما ردت البنت على امها انغلق الكنز على جسدها فطمرت وظل شعر رأسها خارجاً فارتسم على البلاط واختفى الذهب ، وقيل انه سُمعت البنت تستغيث قـــائلة : عطشانة عطشانة ، فحفروا مكان الشعر فلم يجدوا شيئاً فشيدوا بجرة مكان الشعر ولذلك سمي الحمام بحمام الذهب ..

* * *

ويظهر ان هناك علاقة بين التوزع الجغرافي للحمامات وما كان عليـــه الدماشقة من تقى وورع وتمسك بالدين ، ويكفي ان نعلل ذلك بكثرة الحمامات حول المسجد الاموي فقد كان هنالك حمام نور الدين وحمام باب البريد وحمام العقيق (الملك الظاهر اليوم) وحمام باب الناطفيين (السلسلة اليوم) وحمام منجك ، وحمام سامي ، وحمام درب العجم الكبير (النوفرة اليوم) ، وغيرها من الحمامات التي لم تتصل اخبارها . ويربط الدمشقيون بين هذا التكاثف وبين القول بان هنالك رصداً كان في الجامع الاموي يفضح كل من يدخل المسجد جُنباً بان تحل عقدة سرواله ، تشهيراً به وما وجود هـــذه الحمامات حول المسجد الا لاسقاط الجنابة حتى انه كان للحمامات التي تحيط بهذا المسجد حقان للمياه من نهرين مختلفين فاذا انقطعت المياه من نهر تبقى من نهر آخر وبذلك لايغلق الحمام بسبب الكري .. اما مصير ذلك الرصد فقيل لي انه صدف ان دخل المسجد احد اولي الامر وكان جنباً فحل سرواله فشهر به فامر باحضار الرصد وتحطيمه .

الفصل الثامن

مستقبل الحمامات

ان موضوع الاغتسال قديم جـــدا ، يعود الى اقدم العهود التي كان الانسان فيها يعتقد انه خلق لعبادة الآلهة ، لكن اضطرار الانسان الى القيام باعمال لاعلاقة لها بالعبادة . في سبيل حفظ بقائه .. تجعله ملزما بالاغتسال لتطهير نفسه كي يعيد الى ذاته روحها وليستطيع دخول بيوت العبادة ..

والاسلام جعل « النظافة من الايمان » والطهارة ركناً اساسيا لاتصح العبادة بدونها لذا كثرت الحمامات — كما رأينا — وازداد عددها حول المساجد خاصة ، وصاحب هذا التزايد تطور في اساليب البناء والتزيين يتلاءم مع مختلف العهود الاسلامية .

ودمشق هي احدى كبريات المدن الاسلامية العربية التي كانت تفاخر بحماماتها منذ القدم .. لكن التطور الاجتماعي والعمراني الذي طرأ على المدينة جعل فعالية تلك الحمامات تتضاءل ، ونتج عن ذلك توقف(١) هذه الحمامات عن

(١) من تقرير الاستاذ عبد القادر الريحاوي المفتش الاول لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف رقم ٧ تاريخ ٢٢ — ١ — ١٩٥٩ .

العمل الواحد تلو الآخر . نظرا لقلة الزبائن وضعف المردود وخسارة اصحابها او مستأجريها .. وبعض هذه الحمامات له قيمة اثرية ، ونحن لانتوقع ان يمتثل القائمون عليها الى المادة الثانية عشرة من قانون الآثار التي توجب بقاء الابنيـــة الاثرية المسجلة مستعملة للغاية التي انشئت من اجلها ،اي ان على اصحاب الحمامات ان يستمروا على فتحها وتشغيلها رغم خسارتهم .. وكذلك المادة الثالثة عشرة التي توجب عليهم ترميمها وصيانتها .. لذا سيسعى اصحابها الى استغلالها في شؤون اخرى تعوض عليهم مافقدوه .. كما حدث في حمام نور الدين في البزورية وحمام الخياطين والقاشاني ، وكما حدث في حمام فتحي مؤخرا .

وادى ارتفاع الابنية الحديثة عن مستوى مداخن الحمامات الى جعل سكان تلك الابنية يتذمرون من بقايا الاحتراق كالدخان والهباب الذي يسيء الى صحتهم واثاثهم ايضا . وسيؤدي ذلك الى اغلاق عدد آخر من حمامات المدينة كما حدث بالنسبة الى حمام التوتية وكما يحدث الآن بالنسبة الى حمام الدرب ونظن ان الدور آت الى حمام التوريزي وحمام الذهب .

واذا لم يكن هنالك اصلاح مستعجل(١) فان كل حمامات المدينة ستزول بعد فترة وجيزة ، ولبقائها يجب ان يطرأ عليها تعديل اساسي لا يستطيع القائمين عليها ان يتداركوه بل يجب على الدولة ان تأخذه على عاتقها ، كي تحافظ تلك الحمامات على وظيفتها كدور طهارة ،ويرى ايكوشار حلّين :

الاول : يقضي بازالة الحمـــامات واستبدالها بنوع من المؤسسات تلبي حاجات المواطنين في هذا المجال .. وهذا يتطلب اموالا طائلة .

(٣) انظر ايكوشار : حمامات دمشق ، بحث مستقبل الحمامات بتصرف .

والثاني : ان تتبنى الدولة الحمامات وتدخل عليها التعديلات اللازمة التي يتطلبها التطور الحديث ، وخاصة تزويد الحمامات بالمياه التي لاغنى للصحة الاجتماعية عنها .

وفي بعض الحالات يجب التنبؤ بتعديلات المخطط يسمح باضافة حمام بخاري واحواض صغيرة .. وهذه الاعمال يجب ان تؤخذ على سبيل التجربة في حمامات مختارة في المدينة لتحل محل الحمامات القديمة في الاحياء الشعبية .. على ان تصبح تلك الحمامات ملكاً للدولة التي تقوم باعمال المحافظة على قيمتها الاثرية وهي تتحمل تزويدها بماء الفيجة وتعهد بادارتها الى ارباب الحرفة بعد تحديد الشروط وتعرفات اسعار ارتيادها .

ومن البديهي ان كل تعديل في المخطط تجب دراسته من قبل دوائر الآثار وامانة العاصمة بغية الحفاظ على وحدة البناء . والا فيجب أن تتخذ (١) التدابير والتشريعات التي تحقق المحافظة على عدد من الحمامات يتوخى في انتقائها قيمتها الاثرية وتوزعها في الاحياء الشعبية الدمشقية .. لتستحم فيها الطبقة الفقيرة مقابل اجر زهيد . على ان تحل مشكلة الترميم على اساس تعاون كل من المديرية العامة للآثار والمتاحف وامانة العاصمة ومالك الحمام بشكل يحقق العدل والانسجام .

وبذلك نحقق هدفين الاول يتضمن المحافظة على الحمامات كأبنية اثرية والثاني استثمارها .

وثمة امر آخر يتعلق بسمعة الحمام الدمشقي الادبية ، فالمعروف ان

(١) ايضا تقرير الاستاذ الريحاوي المذكور آنفا .

الحمام يفتح من الساعة الخامسة صباحاً ويستمر في عمله حتى منتصف الليل، والواقع ان مسألة الافتتاح ليست منتظمة فهي على مزاج الصانع (الناطور) فالصانع الغيور على المصلحة ينظم عملية افتتاح الحمام . في وقته المحدد له .. والا يفتح الحمام على مزاجه في اي وقت يريد وهذا مايسيء الى سمعة الحمام . واذا ماحدثه المعلم عن سبب ذلك ، ترك (٢) الصانع الحمام ليعمل في غيره .

اما اغلاق الحمام ، فهو منتصف الليل – كما هو متفق عليه بين الحمامين وشرطة البلدية – لكن بعض الحمامات تفتح بعد هذا الوقت . وهذا مايجلب لها شبهات تسيء الى سمعة الحمام الدمشقي ، اذ يتردد في هذه الاوقات على بعض الحمامات المقامرون واللصوص واللوطيون ، وبعض اصحاب النفوس الوضيعة مع العاهرات وغير ذلك .. وحبذا لوتنظم شرطة البلدية امر اغلاق الحمامات في ساعة واحدة لايجوز لاحد ان يتعداها وتنظم الضبوط الرادعة بالمخالفين .

واذا ما اهمل المسؤولون الحمامات وتركوها بين ايدي القائمين عليها وجلهم من غير ارباب المهنة ، فمن البديهي ان يغلق معظمها ابوابه ويتناقص عددها ولا بد ان يأتي يوم تنقرض فيه البقية الباقية وما نظنه ببعيد .

اذ لايمكن ان يعيش الحمام الدمشقي على من يرتاده من فقراء القوم والغرباء ذلك أنه ليس في مقدور اي منهم دفع ما كان يدفعه الاغنياء في السابق كوفاء للحمام بل ان معظمهم يدفع في حدود نصف الليرة السورية .. وبالطبع ان هذه الحال تجعل الحمام خاسراً ولا سيما في فصل الصيف حيث يقل رواد الحمام .

(٢) لأنه غير مرتبط بالمعلم اذ لايتقاضى راتبا بل يعيش على الاكراميات .

المصادر والمراجع

١ – ابن عساكر : الحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي .

« تهذيب التاريخ الكبير » المجلد الاول ، ترتيب وتصحيح الشيخ عبد القادر بدران مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ .

وايضا النسخة التي حققها الدكتور صلاح الدين المنجد . المجلدة الثانية القسم الاول – خطط دمشق – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٤ .

٢ – ياقوت الحموي : الشيخ الامام شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي .

« معجم البلدان » المجلد الثاني – ليبزيغ ١٨٦٧ م .

٣ – ابن جبير : ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الاندلسي .

« رحلة ابن جبير » الطبعة الثانية مطبعة ليدن ١٩٠٧ م .

وايضاً تحقيق الدكتور حسين نصار دار مصر للطباعة ١٩٥٥ م .

٤ – ابن شداد : عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم .

« الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » القسم الثاني – تاريخ مدينة دمشق . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان. مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية . دمشق ١٩٥٦ .

٥ – الاربلي : ابوعلي الحسن بن زفر الاربلي الشافعي .

مخطوطة « جزء يشتمل من محاسن دمشق على عدد من مدارسها وربطها ودور الحديث النبوي بها وعدد جوامعها ودور القرآن وعدد حماماتها » وهي محفوظة بدار الكتب الظاهرية في دمشق برقم عام ٦٦٩٢ .

وايضا الاربلي المطبوع باسم « مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها » تحقيق الشيخ محمد احمد دهمان . مطبعة الترقي – دمشق ١٩٤٧ م. نشر مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق رقم (٧) .

٦ – ابن عبد الهادي : جمال الدين يوسف بن حسن بن احمدعبدالهادي الشهير بابن المبرد الصالحي الحنبلي .

مخطوطة «عدة الملمات في تعداد الحمامات» محفوظة بدار الكتب الظاهرية في دمشق برقم عام ٤٥٣٥ .

٧ – ابن عبد الهادي : في مخطوطة : «آداب الحمام واحكامه» محفوظة بدار الكتب الظاهرية تحت رقم عام ٤٥٤٩ وهي تقع في خمسين بابا ...

٨ – النعيمي : عبد القادر بن محمد النعيمي ..

« الدارس في اخبار المدارس » في جزأين .. تحقيق جعفر الحسيني مطبعة الترقي دمشق ١٩٥١ م حقوق الطبع محفوظة للمجمع العلمي العربي بدمشق .

٩ – ابن طولون : محمد بن طولون الصالحي .

« القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية » القسم الاول . تحقيق الشيخ محمد احمد دهمان – منشورات مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق .

١٠ – ابن كنّان : محمد بن عيسى بن محمود بن كنّان .

« المروج السندسية الفسيحة في تلخيص تاريخ الصالحية » عني بتحقيقه

وتعليق حواشيه ووضع ملاحقه وفهارسه الشيخ محمد احمد دهمان..مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٧ م . الحقوق محفوظة لمديرية الآثار العامة .

١١ ـ **القاسمي :** محمد سعيد القاسمي « قاموس الصناعات الشامية » الجزء الاول . حققه وقدم له الدكتور ظافر القاسمي :

Paris - Mouton und co. - La Haye , 1960

١٢ ـ **القاسمي والعظم :** جمال الدين القاسمي وخليل العظم « قاموس الصناعات الشامية » الجزء الثاني حققه وقدم له الدكتور ظافر القاسمي :

Paris - Mouton und Co. -*La Haye , 1960

١٣ ـ Les Bains De Damas . Par : M . Ecoehard, Et cloude Le Cœur . Beyrouth , 1942 .

١٤ ـ **لالا مصطفى باشا :** كتاب «وقف الوزير لالا مصطفى باشا» . وقف على طبعه خليل بن احمد مردم بك ، مطبعة الترقي في دمشق ١٩٢٥ م عن دائرة الاوقاف الاسلامية في دمشق .

١٥ ـ **المنجد :** الدكتور صلاح الدين المنجد : « حمامات دمشق : نصوص قديمة من ابن عساكر وابن عبد الهادي » المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٤٧

١٦ ـ **ميتز :** آدم ميتز « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري الجزء الثاني » ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابوريده ـ منشورات لجنة التأليف والنشر ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٧

١٧ ـ **بدران :** الشيخ عبد القادر بدران : « منادمة الاطلال ومسامرة الخيال » مطبوعات المكتب الاسلامي ـ دمشق

١٨ ـ **كرد علي :** محمد كرد علي : « خطط الشام » المطبعة الحديثة بدمشق ١٩٢٥

١٩ ـ **كرد علي :** محمد كرد علي : « المذكرات » الجزء الاول مطبعة الترقي ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

٢٠ ـ **كرد علي :** محمد كرد علي : « دمشق مدينة السحر والشعر » سلسلة اقرأ العدد « ١٦ » دار المعارف بمصر ١٩٤٤

٢١ ـ **حسن :** محمد عبد الغني حسن : «ملامح من المجتمع العربي» سلسلة اقرأ العدد «١٠٢» دار المعارف بمصر ١٩٥١ م

٢٢ ـ **مرزوق :** الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق : « الفن الاسلامي ـ كتاب الشعب » ٦٧

٢٣ ـ **سوفاجيه :** جان سوفاجيه : « دمشق الشام » ترجمة فؤاد افرام البستاني ـ بيروت

٢٤ ـ **زهدي :** بشير زهدي : مقال « بناء وتنظيم المدن في العصر الهلنستي » مجلة الحوليات الاثرية، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية المجلد السادس ١٩٥٦ ، دمشق ـ مطبعة الترقي .

٢٥ ـ **المؤلف :** «فنون وصناعات دمشقية» مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية ـ منشورات دار الفن الحديث العالمي .

٢٦ ـ **الحموي:** محمد ياسين الحموي « دمشق في العصر الايوبي » المطبعة الهاشمية في دمشق .

٢٧ ـ **توتل :** فرديناند توتل « المنجد في الادب والعلوم » معجم لاعلام الشرق والغرب . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٦ .

٢٨ ــ **دهمان** : سلوى دهمان « تموين مدينة دمشق بمياه الشرب » رسالة جامعية ١٩٥٨ .

٢٩ ــ **طالو** : وفيق طالو « المنطقة الجنوبية الغربية من دمشق » رسالة جامعية ١٩٥٥ .

٣٠ ــ **عوا** : سعاد عوا « حي سوق ساروجا » رسالة جامعية ١٩٥٨ .

٣١ ــ **ابودان** : سعاد ابو دان « حي القيمرية » رسالة جامعية .

٣٢ ــ **ريحاوي** : عبد القادر الريحاوي تقريره عن حمامات دمشق رقم ٧ تاريخ ٢٢ / ١ / ١٩٥٩ .

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	٤	الصيفي	الصفي
٢٢	٦	الشرقي	الشرقي » .
٢٣	٣	الهادي	الهادي » .
٢٦	٣	بفا	بغا
٢٦	١١	تلاثة	ثلاثة
٢٧	٩	عربي .	عربي) .
٢٩	٧	/ الـ /	(الـ)
٣٠	٣	الدبن	الدين
٣٠	٦	شداد	شدّاد
٣٠	١٠	نو ر	نور
٣٢	١	الخ(١)اس	(الخ)(١) امس
٣٢	٣	السا(٢)دس	(السا)(٢)دس
٣٢	٥	السابع (٣)	(السا)(٣)بع
٣٢	١٠	الاربلي (٤)	ال(اربلي) (٤)
٣٢	١٦	وابو علي الاربلي(٥)	وا(بو علي الاربلّي) (٥)
٣٢	١٨	وابو علي الاربلي(٦)	و(ابو علي الاربلّي) (٦)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٢٠	الاربلي(٧)	الـ (اربلي)(٧)
٣٣	٩	الثـ(٣)ـاني	(الثـ)(٣)ـاني
٣٣	١٥	(الخـ)(٥)ـامس	(ا)(٥)لخامس
٣٦	١	الثا(٢)لث	(الثا)(٢)لث
٣٦	١٢	التـ(٣)سعون	(التـ)(٣)سعون
٣٦	١٩	الاربـ(٥)ـلي	الاربلـ (ي)(٥)
٣٧	٢	وخمسمابة	وخمسماية
٣٧	١١	/.../ (٤)	(...)(٤)
٣٩	٢٣	انشاً	أنشأ
٤١	٩	القديم	القديمة
٤٢	٢	جدده	جددها
٤٢	١٤	الحسني	الحسيني
٤٨	١٥	ذكره	ذكرها
٧٥	١٠	الصناديق .	الصناديق » .
٧٧	٢١	رخامي	رخامية
١٠٢	١	الرفاعي	الرفاعي .
١٠٢	١٤	منه	فيه
١١٧	٩	ويشتمل	« ويشتمل
١١٨	٧	للمترددن	للمترددين
١١٨	١٨	وبالجانب	« وبالجانب
١١٨	٢٢	طسيّة	تشطيّة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٢	٦	بغرب	بغرب
١٤٠	١	(وعلى	وعلى
١٧٦	٦	ومصاريف	ومصاريف
١٨٦	٢١	الوفود	الوقود
١٩١	٣	الماوبة	الماوية
٢٠٣	٢	والنظارة	والنطارة
٢٠٨	٤	تعرق من اثر	تعرق إثر
٢١٤	١٦	بناتهن	بناتهم
٢١٤	٢٠	لنا	لهم
٢١٨	٦	(انتي	انتي
٢٢٠	٢	تم	ثم
٢٢٩	٢١	يتأكد	يتأكد
٢٣٦	٩	بن	إبن

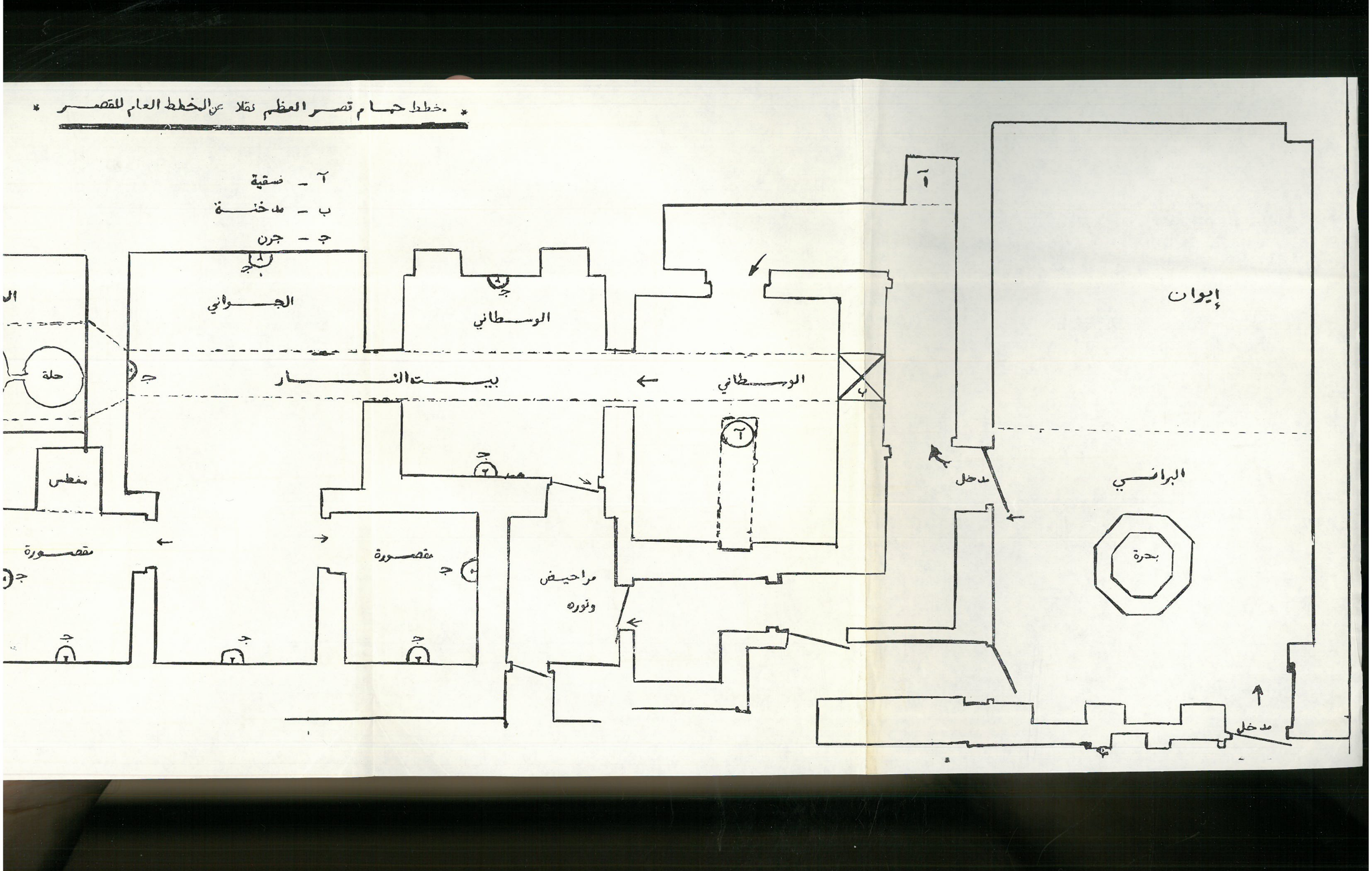
الرسم الموجود في الصفحة (٩٣) وضع سهواً أثناء التنضيد مكان الرسم الموجود في الصفحة (١٦٠) كذلك الرسم الموجود في الصفحة (١٦٠) مكانه في الصفحة (٩٣) مع بقاء ارقام كل من الرسمين في مكانه :

الفهرس

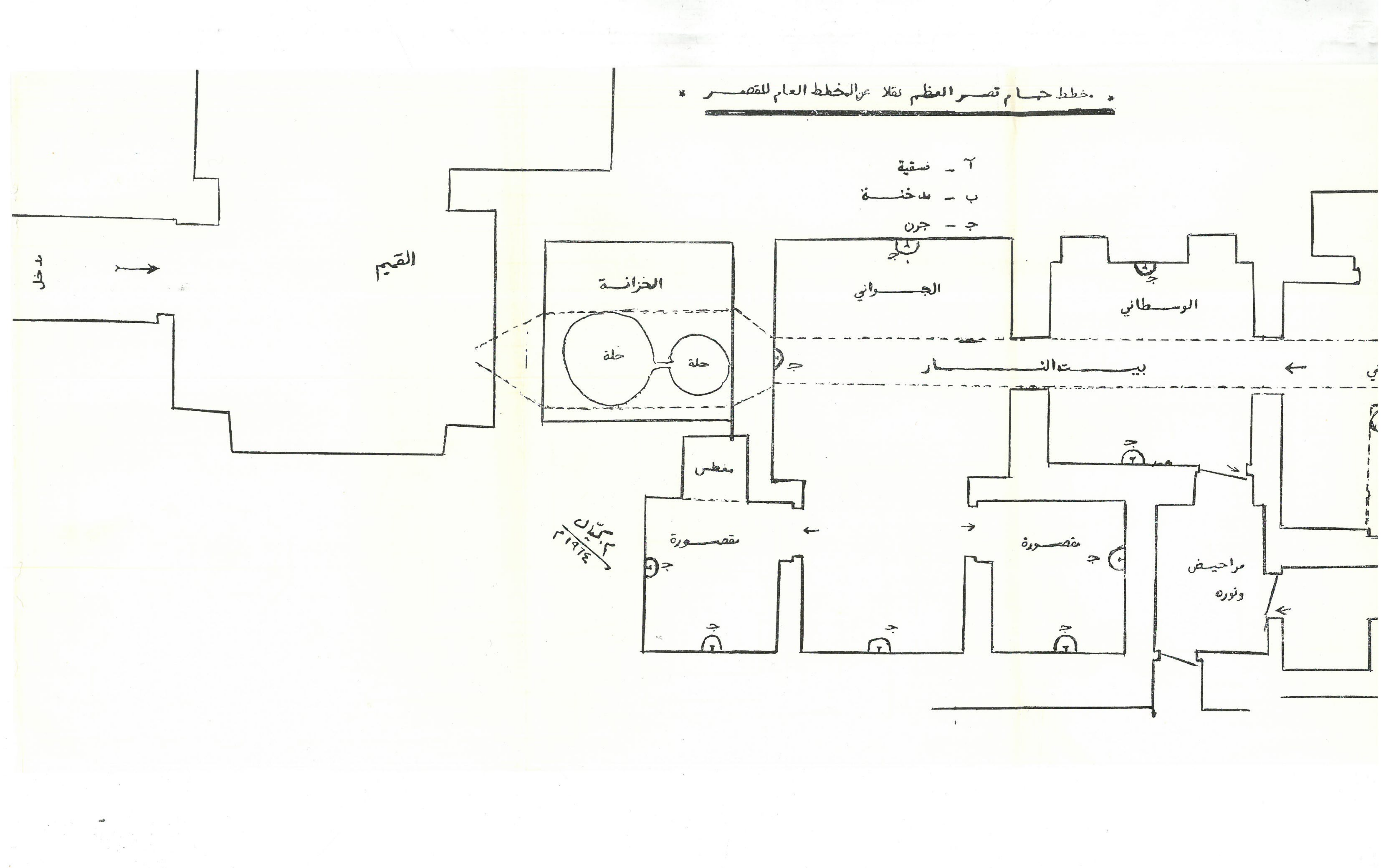
الفهرس

٢٠٠٠/٩/١٩٦٦

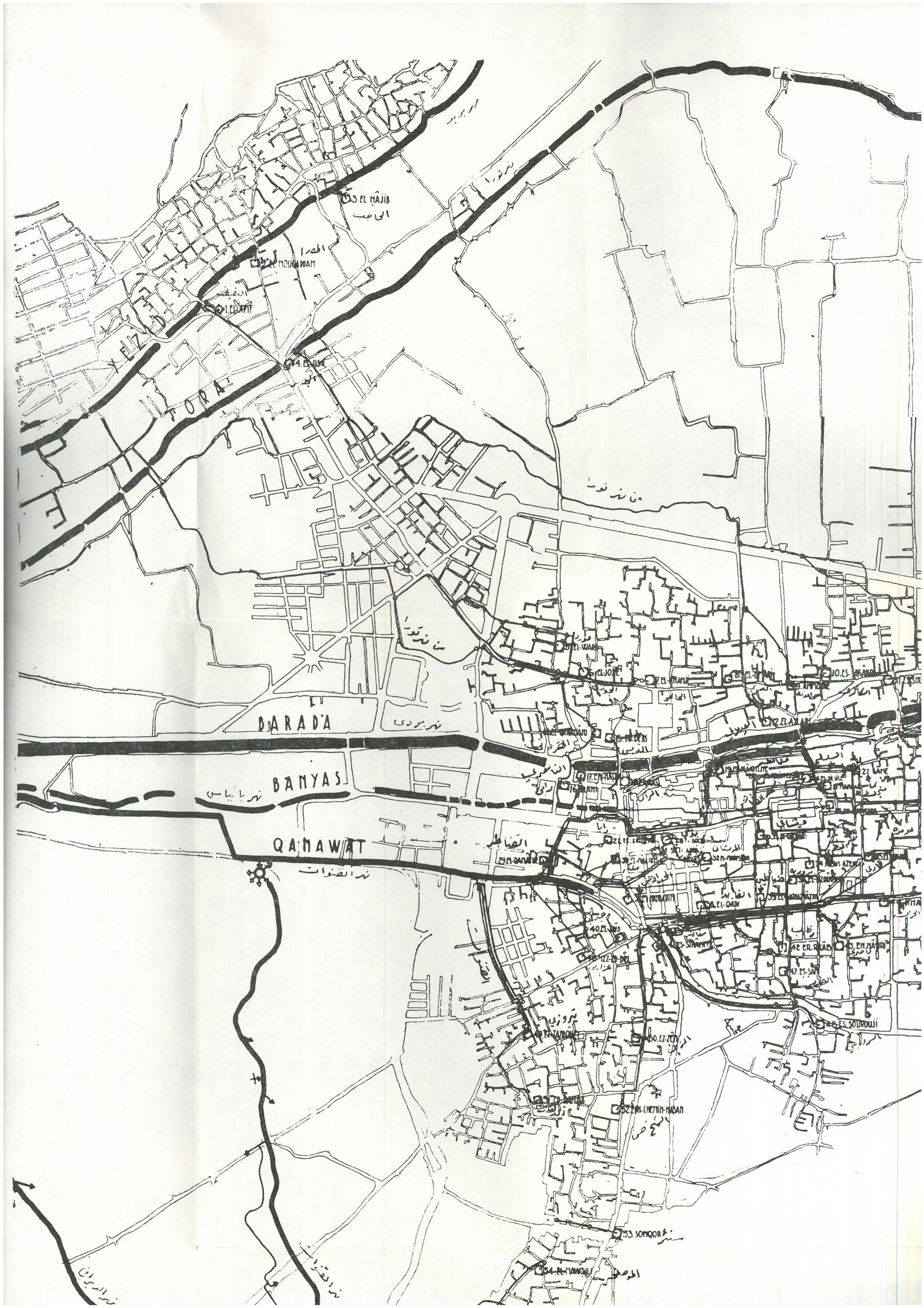
وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي



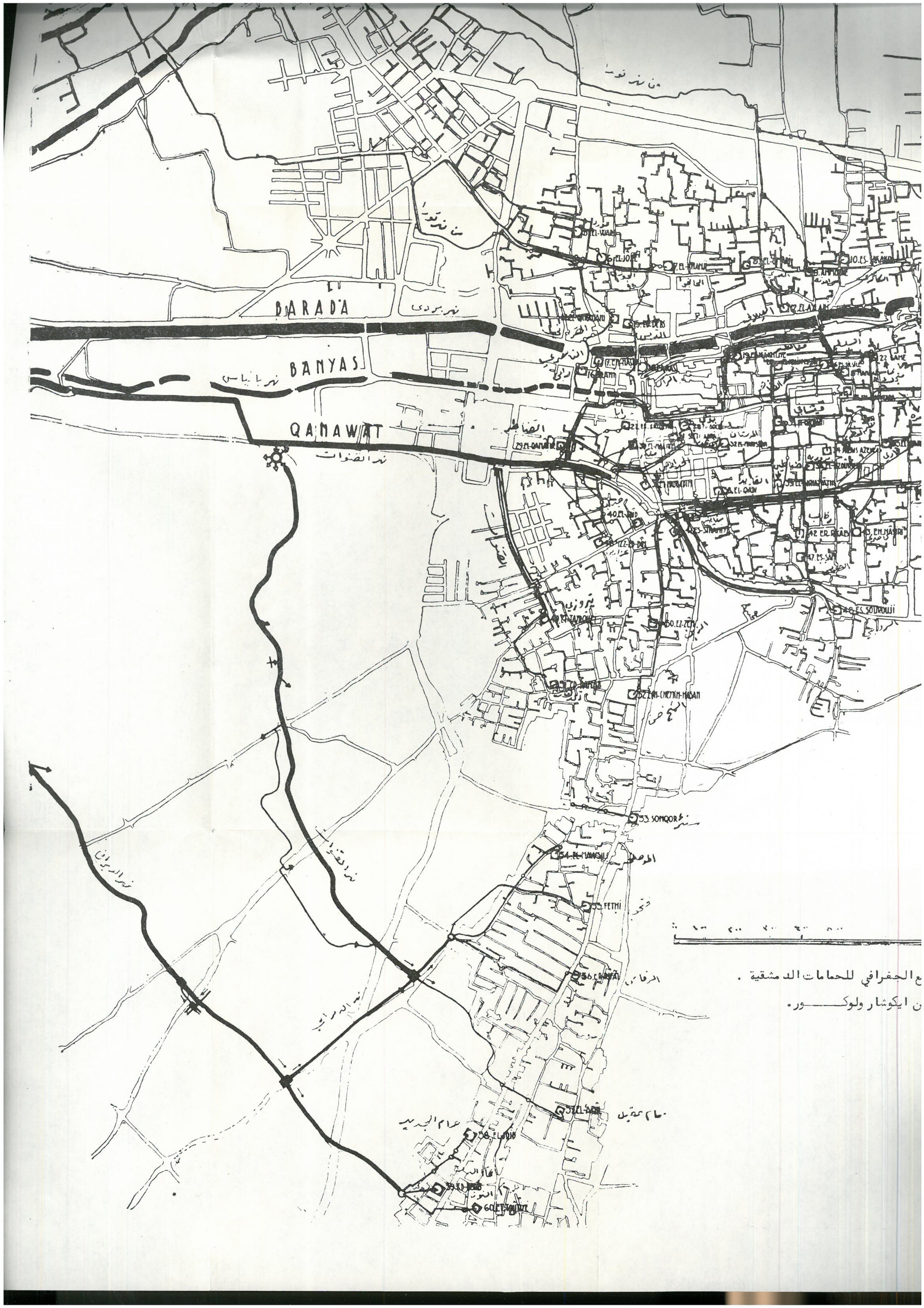
* مخطط حمام قصر العظم نقلا عن المخطط العام للقصر *
آ - ضقية
ب - مدخنة
ج - جرن
الجواني
الوسطاني
إيوان
حلة
بيت النار
الوسطاني
مغطس
البراني
مدخل
مقصورة
مقصورة
بحرة
مراحيض ونوره
مدخل



* مخطط حمام قصر العظم نقلا عن المخطط العام للقصر *
آ - فسقية
ب - مدخنة
ج - جرن
مدخل
القميم
الخزانة
حلة
حلة
الجواني
الوسطاني
بيت النار
مغطس
مقصورة
مقصورة
مراحيض ونوره


YEZID
TORA
3 EL HAJIB
2 EL MOUQADDAM
1 EL AFIF
4 EL JISR
BARADA
BANYAS
QANAWAT
53 SONQOR
54 EL MANSUR
48 ES SOUROUJI


BARADA
نهر بردى
BANYAS
نهر بانياس
QANAWAT
نهر القنوات
53. SOMQOR
54. EL-MAWSILI
55. FETHI
56. CHAFAI
57. EL-AQIL
58. EL-JADID
40. ES-SOUROUJI
52. ECH-CHEYKH-HASSAN
...ع الجغرافي للحمامات الدمشقية .
...ن ايكوشار ولوكـــــور.



ع الجغرافي للحمامات الدمشقية .
ن ايكوشار ولوكـــور.